العرب الأسبوعي
alarab.co.uk
أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
الأحد 2016/09/25 – الموافق لـ 23 ذي الحجة 1437
السنة 39 العدد 10405
Sunday 25/09/2016
39th Year, Issue 10405

رأس المال العراقي المهدور

سعدي بابلي: الثقافة ضحية الفساد والتطرف

تحسين الخطيب: تحليل الأدب عبر الوسائط الرقمية
أمير العمري: كينيث برانا ممثل بألف وجه ووجه
لطفية الدليمي: المواطنة العراقية الفولكلورية
طاهر علوان: صورة أوسكار وايلد في سجنه
عبدالله مكسور: الرواية العربية المفقودة
ص 11 إلى 16

وجوه

نعمت شفيق ص 7
أول امرأة في تاريخ إنكلترا تتولى منصب إدارة كلية لندن
ميشيل بوتور ص 8
تغيير العالم عبر شعرية اللغة
جميل راتب ص 9
عائدا من العالمية إلى المحلية
محمد القاسمي ص 10
من أزرق السماء إلى صلصال الأرض

الفلسطينيون في سوريا.. دور ملتبس في الحرب

• لواء القدس يشارك الجيش السوري في اقتحام مخيم حندرات بحلب

❑ **دمشق** – تلعب الفصائل الفلسطينية الموجودة في سوريا أدوارا ملتبسة في الحرب المستمرة منذ خمس سنوات بين داعم للرئيس بشار الأسد، وبين مؤيد لجماعات معارضة له، أو منفذ لأجندات دول خارجية.

ومثلت مشاركة لواء القدس الفلسطيني في السيطرة على مخيم حندرات في ريف حلب الشمالي آخر فصول تورط الفصائل الفلسطينية في الحرب.

وقاتل اللواء إلى جانب قوات الأسد في العديد من المعارك داخل مدينة حلب وفي ريفها. ويتركز عمل مقاتليه في محافظة حلب، وينحدر معظمهم من مخيم "النيرب" للاجئين الفلسطينيين، في المحور الشرقي للمدينة.

وتأتي أهمية مخيم حندرات الاستراتيجية من إشرافه المباشر على منفذ المسلحين الوحيد بين حلب وريفها، والسيطرةُ عليه تُمكّن الجيش والميليشيات الحليفة من عزل المجموعات المسلحة عن بعضها.

وانتزع الجيش السوري والجماعات المتحالفة معه منطقة إلى الشمال من حلب السبت فأحكم حصاره لشرق المدينة الخاضع لسيطرة المعارضة في ظل قصف جوي مكثف وهجوم كبير تدعمه روسيا.

وتمثل السيطرة على مخيم حندرات الواقع على بعد بضعة كيلومترات عن حلب أول تقدم بري كبير للحكومة في الهجوم الذي أعلنته يوم الخميس.

ويقول سكان الشطر الخاضع لسيطرة مقاتلي المعارضة إن الطيران الحربي يقصف بقوة لم يسبق لها مثيل.

وقال مراقبون إن مشاركة لواء القدس إلى جانب قوات الأسد امتداد لأدوار أخرى لعبتها الجبهات اليسارية الفلسطينية في دعم الرئيس السوري وربط مصيرهم ببقائه.

ولم يستفد الأسد لوحده من الإسناد العسكري لجماعات فلسطينية، فقد حصلت المعارضة المسلحة على دعم من كتائب ومجموعات إسلامية مرتبطة بحماس أو مقرّبة منها.

وكان الإسلاميون الفلسطينيون قد استفادوا من الأسد وكانوا سببا من أسباب قطيعته مع دول الخليج والسعودية تحديدا ثم ارتدوا عليه ما إن تخلت قطر عن دعمها له، وبقي قسم منهم في وضع بين بين لأنهم لا يريدون التفريط لا بقطر ولا بإيران والاحتفاظ بدعمهما معا.

ولعبت حماس دورا لافتا في التحريض على الفلسطينيين الموجودين بسوريا من خلال استدارتها المباغتة باتجاه الموقف المعادي للرئيس السوري، فضلا عن الدور الذي لعبته في اليرموك ورعايتها لمجموعات مسلحة في المواجهة مع داعش في أبريل 2015.

وتتهم أوساط في السلطة الفلسطينية حركة حماس في قطاع غزة بالمسؤولية عن التسبب في حصار مخيم اليرموك، من خلال دعمها للتنظيم المسلح "أكناف بيت المقدس الذي سبق أن قاتل إلى جانب فصائل المعارضة وخاصة جبهة النصرة.

وكانت داعش اقتحمت المخيم وقامت بتصفية عناصر تابعة لحماس.

واتهمت دوائر سورية بأنها شاركت في تدريب عناصر من المعارضة السورية، وأن هذا الدور ربما يقف وراء اغتيال أحد قياداتها في دمشق في 2012 وهو كمال غناجة. وغادر العشرات من قيادات الحركة وأسرهم دمشق.

وأحدث الموقف المفاجئ من الأسد، والذي لم يراع الدعم الذي قدّمه للحركة، خلافات كبيرة داخل حماس خاصة من القيادات التاريخية في قطاع غزة، ومن كتائب القسام الذراع العسكرية للحركة.

واشتعل الصراع بين الفريقين بسبب قرار مشعل، الذي يعيش في فيلا فخمة بقطر، بأن تقف حماس في المعسكر المعادي للأسد دون أن يقرأ حسابا لنتائج قراره وبينها الطرد الجماعي لقيادات حماس من دمشق.

ووجدت حماس نفسها في خدمة أجندات التنظيم الدولي للإخوان الذي تحول إلى ما يشبه الخاتم في إصبع قطر.

وكان من ضمن الغاضبين على إدارة الظهر للأسد القيادي محمود الزهار الذي أكد أكثر من مرة أن قيادة الحركة أخطأت عندما خرجت من دمشق إلى الدوحة.

ورأى الزهار في تصريحات صحافية في 2014 أن الذهاب إلى بيروت أولى من أيّ مكان آخر بعد الخروج من دمشق.

واعتبر التصريح حينها على أنه إشارة واضحة لبناء جسر سياسي وعلاقة وطيدة وطيبة تربط الحركة مع حزب الله. وفعلا بدأ الحديث عن محاولة إيران وحزب الله تطوير العلاقة مع حماس.

ويحث الزهار، وقيادات نافذة في كتائب القسام، على رأب الصدع مع طهران باعتبارها "الداعم الحقيقي" للحركة، فيما يكتفي شق مشعل من قيادات الصف الأول في الحركة بالصمت في ظل محدودية الدعم القطري وعدم انتظامه.

الحشد الشعبي يستعرض أسلحته لمعركة الموصل

❑ عنصر من قوات الحشد الشعبي يستعرض، السبت، في مدينة النجف أحد الأسلحة الذي ستستخدمه القوات المدعومة من الحكومة العراقية في عملية استعادة السيطرة على مدينة الموصل من تنظيم الدولة الإسلامية ضمن استعراض عسكري حمل عنوان "من النجف إلى كربلاء".

اليمن بعد عامين من ظهور الإمام..
خيرالله خيرالله
ص 5

البرق الخاطف تقرّب حفتر من موسكو

❑ **موسكو** – أحدث النجاح العسكري في الهلال النفطي وضعا مريحا للمشير خليفة حفتر على المستوى الإقليمي والدولي، وجعله طرفا أساسيا في مشاورات الحل السياسي.

وساعدت عملية "البرق الخاطف" في الهلال النفطي من تقريب قائد الجيش الليبي من موسكو، وهو الذي لم يخف رغبته في أن تلعب روسيا دورا أكبر في ليبيا بمواجهة الجماعات الإرهاب مثلما يجري في سوريا.

والتقى عبدالباسط البدري المبعوث الخاص لحفتر السبت في موسكو ميخائيل بوجدانوف نائب وزير الخارجية الروسي والمبعوث الشخصي للرئيس فلاديمير بوتين للشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

وحمل البدري، الذي يشغل منصب سفير ليبيا لدى السعودية، رسالة خطية من حفتر لبوتين ووزير دفاعه سيرجي شويجو.

وكشف مصدر مقرب من السفير البدري، أنه قام خلال الأسابيع الماضية بمحادثات في العديد من العواصم الأوروبية في إطار دعم الجيش الوطني وحربه على الإرهاب. كما وسبق للبدري زيارة العاصمة الروسية موسكو في العديد من المرات حيث اتسمت بالسرية في معظمها.

وسبق أن أعلن حفتر أن قواته مستعدة للتعامل مع روسيا في مسألة محاربة الإرهاب في ليبيا إذا تقدمت موسكو بطرح حول هذه المسألة.

وقال حفتر "الذي نراه بالنسبة إلى الروس هو أنهم يقومون بعمل جيد جدا ضد الإرهاب ونحن مشكلتنا الأولى هي الإرهاب".

ولا شك أن التقارب بين حفتر وموسكو، بعد سيطرته على آبار النفط، سيدفع الدول الغربية المختلفة إلى السعي لفتح قنوات التواصل معه، ليس عبر المبعوث الدولي إلى ليبيا مارتن كوبلر الذي لا يتحمله حفتر ولا يريده لقاءه، ولكن عبر لقاءات مباشرة سرية وعلنية، خاصة أن الأمر يخص النفط الذي كان المبرر لدعم ثورة 17 فبراير والإطاحة بالعقيد الليبي الراحل معمر القذافي.

وخفف حفتر نفسه من لهجته مع صعود نجمه تدريجيا فيما تخوض قواته حربا طويلة ودامية في شرق ليبيا ضد الإسلاميين المتشددين ومعارضين آخرين.

وقال حفتر في تصريحات نشرها الجيش الوطني الليبي على الإنترنت إن "خطوة الاستيلاء على الموانئ كانت تستهدف حماية الموارد الوطنية وإنهاء حصار أدّى لحرمان ليبيا من العائدات وأدى لأزمة مالية". وأضاف أن "القوى الغربية يمكنها أن تطمئن تماما إلى أن تلك العملية ليست ضد المصالحة وليست لها أيّ أهداف سياسية".

قطر قلقة على مصير الإخوان وتحاول لمّ شتاتهم

• الدوحة تجمع الإسلاميين لبحث أسباب الفشل في استثمار «الربيع العربي» • الدعم المالي عاجز عن إنقاذ جماعة معزولة اجتماعيا

❑ **الدوحة** – تحاول قطر أن تعيد تجميع الجماعات المرتبطة بالإخوان المسلمين الذين ضربتهم الانقسامات بسبب فشلهم في ركوب موجة الربيع العربي والاستئثار بحكم دول مثل مصر وتونس وليبيا.

وترعى قطر ندوة عن "التحولات في الحركات الإسلامية" تحتضنها الدوحة منذ السبت. ووجهت الدعوات من خلال مركز الجزيرة للدراسات إلى عدد من قيادات الحركات الإسلامية ومجموعة من المفكرين والأكاديميين والباحثين المتخصصين في فكر الجماعة والمرتبطين بها من بعيد أو من قريب.

وقال متابعون للشأن الإخواني إن هذه الندوة محاولة لتطويق الانقسامات التي شهدتها فروع الجماعة خاصة في مصر. واشتعلت الخلافات بين جيل الشباب والشيوخ، والداخل والخارج، بسبب نتائج المواجهة مع الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي.

ويتهم شباب الجماعة جيل الشيوخ من القيادات بأنهم ألقوا بأبناء التنظيم في المحرقة ثم تراجعوا وبدأوا يبحثون عن وساطة مع السلطات، دون أن يعتذروا أو يعلنوا استقالاتهم كما يفترض أن يكون.

وآخر فصول هذه المواجهة، إعلان شباب الجماعة "وساطة" القيادي في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين محمد الحسن ولد الددو الشنقيطي والتي دعا فيها إلى نقل القيادة من محمد عزت (75 سنة) إلى إبراهيم منير (79 سنة).

وفي تونس، تعيش حركة النهضة، ذات الخلفية الإخوانية والقريبة من قطر، على وقع صراعات كبيرة بسبب المشاركة في الحكم مع نداء تونس على وقع انشقاقات وتصريحات غاضبة من رئيس الحركة راشد الغنوشي.

ولم ينجح إخوان ليبيا سياسيا وعسكريا في تحقيق مكاسب ملموسة، ولم يمكّنهم التحالف مع المجلس الرئاسي من تأهيل أنفسهم خارجيا خاصة مع دول الجوار.

ويعترف منظمو الندوة التي تستمر يومين بأن الأوضاع لم تسر وفق ما خطط لها الممسكون بشؤون الإسلام السياسي في المنطقة، سواء من القيادات الإخوانية أو من الدول الداعمة مثل قطر وتركيا.

وقال المنظمون إن الندوة ستناقش "التحديات التي تواجه حركة الربيع العربي"، والتحولات العميقة "في صلب الكيانات والقوى التي تنتسب إلى ما يُعرف بالتيار الإسلامي".

وأوحت الورقة التي قُدّمت للندوة بأن الإخوان يبحثون عن مراجعة مواقفهم وأساليبهم على ضوء النتائج التي تحققت من تجاربهم في الحكم.

واعترفت بأن التغييرات طالت "مستويات متعددة من الظاهرة الإسلامية السياسية، سواء على صعيد الأفكار والأهداف التي ينشدها الإسلاميون، أو على مستوى الهياكل والتنظيمات ونسق العلاقات مع الدولة، من جهة، والقوى الاجتماعية والسياسية، من جهة أخرى. بل إن تلك التغيّرات طالت مكونات الحركة الإسلامية الواحدة".

وأشار المتابعون للشأن الإخواني إلى أن فروع الجماعة المختلفة تشعر بخطر المرحلة خاصة بعد التغييرات الحاصلة في ليبيا وسوريا واليمن، حيث غيّرت دول مثل الولايات المتحدة من تحالفاتها، ولم تعد تراهن على جماعات الإسلام الإسلامي المسلحة وغير المسلحة، وبدأت بالانفتاح على دوائر أخرى مثل الأكراد.

وبان بالكاشف أن الإخوان لا يمثلون ثقلا شعبيا يمكن الرهان عليه من دوائر أجنبية، فقد خسروا انتخابات تونس البرلمانية والرئاسية، وحصلوا على نتائج مخيّبة في الأردن.

وفي المغرب، تقول مؤشرات كثيرة إن نتائجهم ستكون محدودة بعد الفشل في إدارة الحكومة، فضلا عن استمرار الشكوك في امتدادهم الخارجي. ويعتبر الأصالة والمعاصرة الإسلاميين "خطرا" على المجتمع المغربي الذي يسعى إلى "أسلمته"، و"امتدادا" لتنظيم الإخوان المسلمين.

وما يزيد من مخاوف الإخوان أن الدول الأوروبية بدأت بفتح ملف شبكاتهم المالية وامتداداتهم الخارجية وأيّ صلة لهم بالإرهاب، ما قد يقود إلى تصنيفهم كمنظمة تمثل خطرا على أمن أوروبا، وطرد قياداتهم الهاربة من أحكام في دولها الأصلية.

وقلل المراقبون من الدور الذي تلعبه قطر في لمّ شتات الجماعة وفروعها المختلفة، مشيرين إلى أن الأمر يتجاوز الدعم المالي السخيّ إلى ما هو أهمّ، وهو عجز هذه الفروع عن مجاراة الواقع وتقديم حلول عملية للدول التي حكمتها.

داعش محنة ثقافية وليست عسكرية
أسعد البصري
ص 6

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

أزمة «بتروفاك» تعكس فشل الحكومات المتعاقبة منذ 2011

غياب استراتيجية عملية لحل أزمة التشغيل يضر بالاستثمار في تونس

تعكس أزمة شركة بتروفاك البريطانية في تونس، فشل الحكومات المتعاقبة على البلاد منذ العام 2011، والتي عمل كل منها على اتخاذ إجراءات تسكينية مؤقتة، كادت تنهي عمل الشركة، ويستبعد متابعون أن تغير الحكومة الحالية من نهج سابقاتها في التعاطي مع ملف التشغيل الأمر الذي ينذر بموجة إضرابات واعتصامات جديدة.

مشهد متكرر

□ **تونس** – أسدل الستار أخيرا على أزمة شركة بتروفاك البريطانية في تونس، بعد أن توصلت الحكومة التونسية إلى اتفاق مع محتجين عاطلين عن العمل، كانوا عرقلوا عمل الشركة الأمر الذي كاد يتسبب في خروجها وبالتالي خسارة المئات من العمال لمواطن شغل، في ظل ظرفية اقتصادية واجتماعية صعبة تعيش على وقعها البلاد.

وسحبت الشركة التي توفر نحو 13 بالمئة من احتياجات البلاد من الغاز، إعلانها بالخروج من تونس من بورصة لندن في وقت متأخر من ليل الجمعة.

وكان وزير الشؤون الاجتماعية التونسي محمد الطرابلسي قد أعلن في وقت سابق عن توقيع اتفاق يقضي بإنهاء جميع القضايا التي كانت تمثل عائقا في جزيرة قرقنة أمام إيجاد الحلول لاستئناف نشاط بتروفاك.

وقال الوزير الطرابلسي في تصريح للصحافيين إنه "تم الاتفاق على استيعاب 266 من طالبي الشغل وتسوية وضعيتهم على امتداد 3 سنوات وبالتدرج".

ويعتصم العشرات من العاطلين عن العمل أمام مصنع بتروفاك في جزيرة قرقنة منذ ثمانية أشهر، للمطالبة بالتوظيف، وتسوية وضعية عدد من العمال ما أدّى إلى توقف الإنتاج نهائيا.

وكانت شركة بتروفاك البريطانية أبلغت تونس هذا الأسبوع أنها بدأت في إغلاق عملياتها المحلية بعد شهور من الاحتجاجات التي عطلت إنتاجها من الغاز. لكن رئيس الوزراء يوسف الشاهد أنشأ خلية أزمة لإيجاد حل للموضوع.

وتسبب هذا الاعتصام المفتوح الذي خاضه معطلون عن العمل، في خسائر كبيرة للشركة البريطانية، الأمر الذي دفعها إلى اتخاذ خطوة الخروج من البلاد.

ومعلوم أن الأوضاع المالية للشركات المنتجة للنفط والغاز، سيئة للغاية على مستوى العالم، نتيجة الانخفاض المستمر لأسعار النفط، وقد اضطرت العديد من الشركات العالمية إلى تقليص مشروعاتها الاستثمارية إلى النصف، في محاولة للتخفيف من نسب خسائرها.

ويقول مختصون إن شركات النفط والغاز اليوم لا تملك ترف التعاطي مع تحركات احتجاجية مثل تلك التي جرت مع بتروفاك، لأن ذلك سيكلفها خسائر مضاعفة.

> شركات النفط والغاز اليوم لا تملك ترف التعاطي مع تحركات احتجاجية مثل تلك التي جرت مع بتروفاك، لأن ذلك سيكلفها خسائر مضاعفة

وكان قرار مغادرة الشركة سيمثل ضربة مالية أخرى للبلاد في الوقت الذي تتعهد فيه حكومة يوسف الشاهد باتخاذ القرارات اللازمة لتوفير الوظائف والمضيّ قدما في إصلاحات اقتصادية وتعزيز النموّ الذي تضرر جراء هجمات شنها إسلاميون خلال العامين الماضيين.

وقال وزير الشؤون الاجتماعية محمد الطرابلسي إن "الوفد الوزاري الذي توجه إلى جزيرة قرقنة توصّل لاتفاق مع المعتصمين يقضي بتشغيل عاطلين عن العمل وإنشاء صندوق تنمية محلي بقيمة 2.5 مليون دينار" مضيفا أن الجميع وقعوا على الاتفاق الذي يقضي بإنهاء الاعتصام.

وأثار الاتفاق ارتياحا في صفوف التونسيين، الذين بات الكثير منهم غير مقتنع بجدوى مثل هذه الاحتجاجات والإضرابات التي أدت إلى هروب العديد من المستثمرين إلى دول إقليمية.

وقال النائب عن كتلة حرة صلاح برقاوي "لا يمكن لأيّ تونسي يهمه خير البلد ألا يكون اليوم قد فرح بالنهاية السعيدة لماراطون المفاوضات التي آلت إلى الاتفاق على إيجاد حل مقبول من جميع الأطراف للأزمة التي عطلت إنتاج الغاز بجزيرة قرقنة على مدى أشهر طويلة".

وأوضح النائب أن "هذا الاتفاق أوقف نزيف الخسائر وأعاد عجلة إنتاج الغاز بحقول قرقنة إلى الدوران مع ما يمثله ذلك بالنسبة إلى المجموعة الوطنية من موارد نحن في أشد الحاجة إليها في هذه الظروف الاقتصادية العصيبة".

وأضاف النائب عن حرة في تدوينة له على موقع التواصل الاجتماعي فايسبوك "الآن وقد انتهت الأزمة، يجدر بنا جميعا أن نستخلص الدروس من هذا الذي جرى في قرقنة في الأشهر الأخيرة حتى يكون ذلك عونا لنا يهدينا إلى اجتناب تكراره في قرقنة وفي غيرها من جهات البلاد التي تعرف أو يمكن أن تعرف أزمات مماثلة".

ورأى أن "أول هذه الدروس هو ضرورة الاقتناع بصورة نهائية بأن تعطيل الإنتاج ليس الوسيلة الاحتجاجية المناسبة أو المجدية للمطالبة بالتنمية والتشغيل. فمثل هذه الأعمال من شأنها أن تزيد في تعميق صعوباتنا ولا يمكن أبدا أن تنهيها فضلا عن أنها يمكن أن تكون سببا في تدمير حياة الكثيرين".

ومنذ يناير 2011 علّقت أكثر من 2500 شركة نشاطها واتجه معظمها إلى المغرب، وفقا لأرقام غير رسمية، ما زاد من معاناة الدولة.

وكانت الاستثمارات الأجنبية في تونس تقدر بـ1.58 مليار دولار في 2010، لتنخفض إلى حوالي 900 مليون دولار العام الماضي.

ويرى كثيرون أنه لا بد على المواطن أن يدرك أن تعطيل الدورة الإنتاجية للشركات الاستثمارية التي توفر عائدات للدولة، ليس في صالحه، فمثلا لو تم إغلاق شركة بتروفاك فإن ذلك سينعكس مباشرة على الجميع باعتبار أنها توفر 13 بالمئة من الغاز للبلاد، وهنا ستضطر الدولة إلى التوريد وذلك بتكلفة عالية.

ويقول مختصون في علم الاجتماع إن المشكل الرئيسي في تونس هو غياب ثقافة العمل لدى المواطن، لافتين إلى وجود تقصير كبير من الدولة، في هذا الصدد.

ويلوم كثيرون الحكومات المتعاقبة منذ العام 2011، حيث لم تكن لها رؤية استراتيجية لحلّ ملف البطالة، وعملت كل منها على إعطاء جرعات تسكينية مؤقتة ما أدى إلى تفاقم الظاهرة.

وبدل التشجيع على الاستثمار الخاص وفتح المجال أمام القروض الصغيرة، انبرت الحكومات إلى اتخاذ إجراءات أثقلت كاهل الدولة، منها إغراق المؤسسات العمومية بالموظفين، فضلا عن اعتماد سياسة اليد المرتعشة التي شجعت البعض على التمادي وتعطيل العمل في أكثر من مؤسسة اقتصادية كبرى، بداعي طلب التشغيل.

ويعتبر هؤلاء أن أزمة بتروفاك تتحمل تلك الحكومات المسؤولية الكبرى عنها، حيث حرصت كل منها على ترك الملف مفتوحا، ما كاد يؤدي إلى خروج الشركة نهائيا من البلاد.

ويضيف هؤلاء أنه لا يمكن تجاهل عملية التوظيف السياسي للتحركات الاحتجاجية، فقد وجهت اتهامات لأطراف سياسية في قرقنة من بينها أن أنصار حزب التحرير السلفي والجبهة الشعبية كان لهم حضور بارز في قضية بتروفاك، وفي قضايا أخرى ممثالة بدعوى حق الإضراب الذي ينص عليه الدستور.

ويسعى كل منهما إلى تحصيل مكاسب سياسية وشعبية، وذلك دون مراعاة لوضع البلاد الدقيق، اقتصاديا واجتماعيا.

وجدير بالذكر أن نسبة النمو في تونس لم تتجاوز سقف 1.4 بالمئة خلال الربع الثاني من العام الجاري، وفق البيانات الرسمية. وقد استبعد رئيس الحكومة يوسف الشاهد أن تتجاوز نسبة النمو مع نهاية العام الحالي 1.5 بالمئة في ظل الظروف الحالية.

ولا تبدو المؤشرات مطمئنة حيال تغيّر في نهج الحكومة التونسية الحالية تجاه ملف البطالة، الأمر الذي يعني أن تونس ستشهد المزيد من الإضرابات والاعتصامات التي قد تكلف الكثير.

يشار هنا إلى أن عمال شركة ونستار للخدمات البترولية (كندية) قد دخلوا في إضراب عن العمل ابتداء من السبت ولمدة ثلاثة أيام في حقلي "الشويش" و"البرمة" بمحافظة قبلي الجنوبية، للمطالبة بتفعيل اتفاق ممضى بين الجهات المعنية منذ العام 2012 ويقضي بترسيم المتعاقدين.

المغرب حريص على محاصرة خطاب الانفصاليين من داخل الاتحاد الأفريقي

محمد بن امحمد العلوي

□ **الرباط** – في خطوة كانت منتظرة قدم المغرب رسميا طلبا للعودة للاتحاد الأفريقي، الجمعة، وكان قد انسحب من منظمة الوحدة الأفريقية أو ما يسمى الاتحاد الأفريقي حاليا في العام 1984 بعدما تم قبول عضوية جبهة البوليساريو التي تدعو إلى انفصال الصحراء عن التراب المغربي.

وقام مستشار الملك محمد السادس الطيب الفاسي الفهري، بتسليم رئيسة مفوضية الاتحاد الأفريقي دلاميني زوما؛ خطابا رسميا لعودة المغرب إلى الاتحاد، وأكدت الأخيرة تسلّم الطلب بمقر الجمعية العامة للأمم المتحدة في مدينة نيويورك الأميركية على هامش اجتماع للجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الـ71.

استراتيجيا لا يمكن الحديث عن عودة الرباط إلى هذا الهيكل المؤسساتي الأفريقي بمعزل عن التحولات التي تشهدها المنطقة منذ العام 2001 حتى 2011 مع ما يسمى الربيع العربي التي تعززت فيها الرغبة لدى صانع القرار عبر ما يمكن تسميته بالتخطيط الخماسي لاستعادة مقعده الأفريقي لمواجهة التحديات الأمنية والاقتصادية والسياسية القائمة.

وقال رضا الفلاح، أستاذ القانون الدولي والعلاقات الدولية، بجامعة ابن زهر في أكادير، في تصريحات لـ"العرب" إن حرص المغرب على استعادة مقعده بالاتحاد الأفريقي يأتي في إطار "رغبته في تعزيز حضوره في استراتيجية التعاون جنوب جنوب".

ومن ضمن الشروط المعززة لاستعادة المغرب لمقعده تطور العلاقات المغربية الأفريقية عبر الشراكات المتعددة في إطار "رابح رابح" وعلى كل المستويات الاقتصادية والتنموية والزراعية، وتوطيد التعاون البيني سياسيا وأمنيا وكذلك عسكريا في إطار جهود أممية لإرساء الاستقرار والسلم.

ويعتبر مراقبون أن تبني المغرب دبلوماسية هجومية ضد خصوم وحدته الترابية، كان لغايات عملية من ضمنها تهيئة الشروط الموضوعية لعودته للاتحاد الأفريقي ومحاصرة البوليساريو ومن يدعمها من داخل هذا المنتظم وإحباط كل محاولات بث الروح في جسم جبهة انفصالية لا تملك شروط ومقومات الدولة تلقت ضربات مؤلمة خلال السنوات الخمس الأخيرة ومنها سحب دول عديدة الاعتراف بها.

ويبقى السؤال مطروح حول تجميد عضوية ما سمّي بـ"الجمهورية الصحراوية"، وهنا يؤكد رضا الفلاح، أن المغرب أراد بطلب انضمامه للمنظمة القارية، أن يلقي بثقله من الداخل لترجيح كفته لتدارك خطأ سابقة خطيرة في القانون الدولي.

وكان الرئيس الغابوني قد تقدم بعريضة تتضمن استبعاد جبهة البوليساريو لأنها غير معترف بها من قبل الأمم المتحدة، وحظيت بتوقيع أكثر من 28 دولة، لكن برز هنا واقع جلوس ممثلي المغرب إلى جانب ممثل البوليساريو داخل اجتماعات لجان الاتحاد ومؤتمراته، ويتساءل البعض هل يمكن إعطاء ذلك الزخم السياسي والدبلوماسي، وفي هذا الإطار يجيب أستاذ العلاقات الدولية بأن المغرب لا يتعامل مع البوليساريو كدولة وإنما كجبهة انفصالية وبالتالي هذه فرصة لإنضاج شروط تجميد عضويتها بفضح المغالطات التي تروّج لها بدعم من بعض الدول.

وكان الملك محمد السادس قد شدد في رسالة إلى القمة 27 للاتحاد الأفريقي التي انعقدت في يوليو الماضي في العاصمة الرواندية كيغالي على أن "المغرب يتجه اليوم، بكل عزم ووضوح، نحو العودة إلى كنف عائلته المؤسسية، ومواصلة تحمل مسؤولياته بحماس أكبر وبكل الاقتناع".

وأشار إلى أن قرار العودة "تم اتخاذه بعد تفكير عميق، وهو قرار صادر عن كل القوى الحيّة بالمملكة"، مضيفا أنه "من خلال هذا القرار التاريخي والمسؤول سيعمل المغرب من داخل الاتحاد الأفريقي على تجاوز كل الانقسامات".

ولا يمكن إغفال أن توقيت طلب عودة المملكة إلى هياكل الاتحاد الأفريقي جاء بموازاة نجاح الدبلوماسية المغربية في محاصرة البوليساريو ومن يدعمها مؤخرا من داخل منظمة دول عدم الانحياز في دورتها الـ17، والتي اختتمت فعاليتها الأحد 18 سبتمبر بفنزويلا. حيث لم توجه الدعوة إلى الجبهة الانفصالية، ولم يتم التطرق لقضية الصحراء في الخطابين الافتتاحي والختامي لرئيس فنزويلا بلد الاستضافة.

وفي هذا السياق يمكن اعتبار أن هناك واقعا جديدا يتبلور في اتجاه خلخلة كافة المواقع التي ينشط بها الطرح الانفصالي، وعلى هذا الأساس يعتبر وجود المغرب رسميا داخل الاتحاد الأفريقي سيجعل منه كابحا لمجموعة من القرارات والسلوكيات من طرف الخصوم تقف ضد مصالحه وعلى رأسهم الجزائر، وفق الفلاح.

ولا بد من التذكير أن فترة رئاسة الدبلوماسي الجزائري إسماعيل الشرقي لمجلس السلم والأمن الأفريقي، كانت من أجل خدمة هذا التوجه بشكل مباشر ودون تحفظ حيث تم التصويت خلالها على قرار غير ملزم بمقاطعة منتجات الشركات التي تستغل المصادر الطبيعية في الصحراء بطريقة غير شرعية.

ورغم نجاح دبلوماسية المواجهة في كسب المغرب لنقاط ضد خصومه داخل المحافل الدولية ومنها قمة دول عدم الانحياز، إلا أن أستاذ القانون الدولي والعلاقات الدولية، يؤكد أن المعركة داخل الاتحاد الأفريقي بعد غياب 32 سنة ستكون صعبة وستتطلب جهدا دبلوماسيا مضنيا ولا بد من توظيف كافة الأوراق، ومنها التركيز على أن البوليساريو حركة انفصالية، وإقناع الكل بالتعامل معها على هذا الأساس من أجل طردها.

دبلوماسية نشيطة

إسلاميو الأردن يشكلون تحالفا نيابيا برئاسة العكايلة

جماعة الإخوان تطمح إلى المشاركة في الحكومة بعد دخولها البرلمان

تعلق جماعة الإخوان المسلمين غير المرخصة آمالا كبيرة بقرب عودة العلاقة مع النظام الأردني إلى سالف عهدها بعد نجاحها في الدخول إلى البرلمان، وتطمح الجماعة في الفوز برئاسة المجلس العتيد ولم لا المشاركة في الحكومة المقبلة، ولكن متابعين يستبعدون حصول مصالحة بينها وبين النظام الذي اهتزت ثقته بها.

طموحاتهم أكبر من حجمهم داخل البرلمان

❑ **عمان** – أعلن التحالف الوطني للإصلاح الذي تقوده جماعة الإخوان المسلمين في الأردن السبت، عن تشكيل تكتل نيابي برئاسة الوزير الأسبق عبدالله العكايلة.

جاء ذلك خلال مؤتمر صحافي عقده التحالف في مقر حزب جبهة العمل الإسلامي الذراع السياسية لجماعة الإخوان في العاصمة عمان، للحديث عن الانتخابات النيابية التي شهدتها البلاد.

وقال العكايلة بعد انتخابه رئيسا للكتلة "سنخوض معركة رئاسة مجلس النواب ونطمح إلى المشاركة في تشكيل الحكومة القادمة".

واعتبر أن كتلة تحالف الإصلاح أولى الناس بمعركة الرئاسة لمجلس النواب، مشيرا إلى أن "الكتلة ستحاول ضبط وقع الحكومة القادمة ورئيسها، وستتحرك على جميع الأصعدة".

وأشار العكايلة إلى أن التحالف ليس تحالفا مرحليا بل هو استراتيجيّ، لافتا "نحن الكتلة المؤهلة من الآن التي تستطيع أن تتقدم نحو معالم سياسية واضحة".

وقادت جماعة الإخوان المسلمين غير المرخصة عملية تشكيل تحالف "وطني" ضم قوى وشخصيات إسلامية ويسارية ومسيحية للمشاركة في الانتخابات النيابية، في مسعى بدا واضح للتخلص من عقدة الانغلاق والانعزال عن باقي المكونات السياسية في البلاد.

وترمي الجماعة من خلال خطوة التحالف إلى إعادة مدّ الجسور مع النظام الأردني وإيصال رسالة له وإلى الإقليم أنها باتت حركة "وطنية" ليست لها امتدادات إقليمية،

> معركة الرئاسة على مجلس النواب بدأت قبل الإعلان عن النتيجة الرسمية للانتخابات، وقام تحالف الإصلاح باتصالات مع نواب في محاولة للفوز بها

على ما تستطيع كسر حالة الجمود التي أصابتها وأدت إلى تفتت بنيانها.

وتمكن التحالف من حصد 15 مقعدا في الانتخابات النيابية التي أجريت الثلاثاء الماضي، فيما فاز ثلاثة نواب من قائمة "أبناء الكرك" (جنوب) دعّمها التحالف وخاضت الانتخابات خارج إطاره، بما يعني إجمالاً حصول هذا التيار على 13.8 بالمئة من إجمالي المقاعد الـ130.

ويستبعد متابعون أن تضم التشكيلة الحكومية جماعة الإخوان المسلمين التي حصلت على 8 مقاعد من الـ15 مقعدا الذي تحصل عليه تحالف الإصلاح، رغم رغبتها الشديدة في ذلك.

وتشهد العلاقة بين الجماعة غير المرخصة والنظام الأردني حالة توتر، منذ العام 2011 بسبب ما سمّي بالربيع العربي (وقد لعبت دورا أساسيا في محاولة إشعاله داخل المملكة)، وتزايد هذا التوتر العام الماضي حينما أقدمت الحكومة الأردنية بقيادة عبدالله النسور آنذاك على قبول طلب ترخيص لمجموعة من الإخوان غاضبين على سياسة جناح الصقور المسيطر على الجماعة والمصرّ على عدم الدفع بترخيص جديد، متجاهلا دعوات حكومية سابقة. ورغم أن الجماعة بات لها موطئ قدم داخل البرلمان، إلا أن ذلك لا يعني إعادة بث الروح في العلاقة مع النظام بعد اهتزاز ثقته بها.

وتقول أوساط سياسية أردنية إن هناك توجّها للاحتفاظ بالحكومة الحالية التي يقودها هاني الملقي، والتي تشكلت منذ أشهر قليلة.

وتعزو الأوساط هذا التوجه إلى نجاح الحكومة في تنظيم الانتخابات النيابية، في ظرف وجيز ورغم التحديات الكبيرة التي تواجهها وعلى رأسها الوضع الأمني حيث يوجد الأردن في محيط غارق في الدماء والإرهاب.

أما على صعيد رئاسة المجلس النيابي فلا يعتقد محللون، بأنها ستكون من نصيب التحالف في ظل سيطرة النواب الموالين للعشائر على المجلس.

ومعلوم أن العشائر يشكلون داعما رئيسيا لسياسة الملك عبدالله الثاني، وبالتالي فرضية حصول تحالف الإصلاح على المنصب جد ضئيلة.

وبدأت معركة الرئاسة على مجلس النواب حتى قبل الإعلان عن النتيجة الرسمية للانتخابات، وقام التحالف الذي تقوده جماعة الإخوان بإجراء اتصالات خاصة مع نواب لهم ميولات إسلامية، في محاولة للفوز بها.

ورغم أن التحالف الوطني للإصلاح وعد بأن البرلمان الجديد سيكون مغايرا عن سابقيه إلا أن كثيرين يشككون في الأمر، فإخوان الأردن وعلى مرّ تاريخ مشاركتهم النيابية لم يشكلوا أيّ قوة ضغط وإصلاح داخل المجالس السابقة، بل العكس تماما حيث كانت توجّهات نوابهم في تماه تام مع السلطة التنفيذية.

ويضيف هؤلاء أن وضعية الإخوان الحالية لا تسمح لهم بأن يكونوا في موقع المعارضة القوية، بل على العكس تماما، يتوقع أن يقدموا تنازلات للحكومة خاصة في القوانين والتشريعات المتعلقة بالجانب الاقتصادي في محاولة لمغازلة الدولة للقبول بهم مجددا.

محافظة صلاح الدين خالية من عناصر داعش

❑ **بغداد** – أعلن أحمد الجبوري، محافظ صلاح الدين العراقية، أن القوات الحكومية تمكنت من تحرير المحافظة بالكامل من قبضة تنظيم الدولة الإسلامية، وذلك بعد انتزاع آخر معاقله هناك ناحية الزوية جنوبي قضاء الشرقاط.

وقال الجبوري السبت في بيان "نهنئ الشعب العراقي عامة وأبناء المحافظة خاصة بالنصر المؤزر على عصابات داعش الإرهابية وتحرير آخر معاقل التنظيم في صلاح الدين".

وأكد محافظ صلاح الدين "خلوّ المحافظة بصورة كاملة من التنظيم الإرهابي"، داعيا الحكومة المركزية إلى "الإسهام في إعادة إعمار وتأهيل مناطق المحافظة المحررة وإعادة النازحين ودعم الأجهزة الأمنية فيها".

وأشار الجبوري إلى أن "الحكومة المحلية ستدعم وبكل قوة بناء مؤسسة أمنية رصينة وستدعم من شارك في تحرير أراضي صلاح الدين ومن حارب الفكر الداعشي".

وجاءت هذه التصريحات بعيد إعلان قيادة العمليات المشتركة، الخميس، عن تحرير قضاء الشرقاط بالكامل من سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية وجاء فيها أن القوات الأمنية تمكنت من تحرير القضاء خلال 72 ساعة. ويشكل هذا إنجازا أمنيا إضافيا لحكومة حيدر العبادي التي تواجه وضعا سياسيا واقتصاديا عصيبا، في ظل التراشق بملفات الفساد بين مكوناتها.

ويرى متابعون أن تحرير صلاح الدين كما محافظة الأنبار، وقريبا الموصل عاصمة نينوى لا يعني بالمطلق انتهاء التنظيم المتطرف، خاصة مع استمرار مسببات نشأته في هذا البلد وعلى رأسها الفساد والطائفية التي تنخر الجسد العراقي.

ويقول متابعون إن خسائر التنظيم ستقوده على ما يبدو لشن المزيد من الهجمات التفجيرية في أكثر من مكان كردّ فعل.

وقتل، السبت، شرطي وثلاثة مدنيين، في تفجير عبوات ناسفة بمناطق متفرقة من العاصمة العراقية بغداد، وفق ما أفاد به ضابط في الشرطة.

وفي حادث منفصل، ذكر المصطفى أن مدنيين اثنين قتلا وأصيب 10 آخرون بجروح، جراء انفجار عبوة ناسفة أمام متاجر في قضاء التاجي شمالي بغداد. وقتل مدني آخر وأصيب 5 آخرون بجروح، نتيجة انفجار عبوة مثبتة داخل حافلة صغيرة لنقل الركاب، في منطقة الحسينية شمالي العاصمة.

وفي وقت سابق أعلنت مصادر أمنية عراقية مقتل 12 شخصا على الأقل في هجوم مسلح تلاه تفجير انتحاري بشاحنة مفخخة استهدف حاجزا أمنيا في شمال مدينة تكريت كبرى مدن محافظة صلاح الدين.

ولم تعلن أيّ جهة مسؤوليتها عن الهجمات على الفور، ولكن أصابع الاتهام موجهة إلى تنظيم الدولة الإسلامية.

مصر بين السعودية وإيران

أحمد عدنان
صحافي سعودي

اجتمع وزير الخارجية المصرية سامح شكري مع نظيره الإيراني، وصرح كذلك بأن مصر تختلف مع السعودية بخصوص مسألة بقاء بشار الأسد على عنق سوريا.

إنني أطلب من الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي ومن وزير خارجيته التواصل مع جهتين، الجهة الأولى هي الرئيس الأسبق محمد حسني مبارك والجهة الثانية هي فريق رئيس المخابرات الراحل عمر سليمان، ويمكن إضافة أمين جامعة الدول العربية الراهن أحمد أبو الغيط والسابق عمرو موسى. ما أتمناه من الرئيس الشرعي هو سؤال هذه الأطراف سؤالا واحدا فقط: كيف ترون تجربة مصر قبل ثورة 25 يناير مع بشار الأسد ومع إيران؟ إن كان قادة مصر اليوم يجهلون الإجابة فهذه مصيبة واحدة وإن كانوا يعلمون فتلك ألف مصيبة.

بعد ثورة 30 يونيو ضد حكم الإخوان، أصدرت وزارة الخارجية الإيرانية بيانا تؤيد فيه الرئيس "الشرعي" محمد مرسي، بينما قامت السعودية بتقديم دعم شامل مفتوح وغير مسبوق للنظام الجديد، والمشكلة التي تواجهني هنا: لماذا يعامل الرئيس السيسي إيران وكأنها من دعّمت ثورة 30 يونيو ولماذا يعامل المملكة كأنها من دعّمت محمد مرسي؟ فليفعل الرئيس السيسي في مصر ما يشاء، لكن المستغرب هو تركيز جهوده ضد المملكة في غير دولة عربية على رأسها سوريا ولبنان وغيرهما.

بعد اغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري، قام صحافي لبناني مرموق بزيارة بشار الأسد، وحين تحدث عن الخلاف بين الأسد وبين مصر، قال بشار "لا يمكن أن أكون في صف واحد مع نظام كامب ديفيد"، والصحافي المقصود تعرفه المخابرات المصرية جيدا، والسؤال: هل تخلت مصر السيسي عن اتفاقية كامب ديفيد من دون علم أحد؟ لا أظن!

بشار الأسد وإيران وما يسمى بحزب الله عبّروا عن عدائهم لمصر بالأفعال لا بالأقوال، والدليل على ذلك قضية سامي شهاب (أحد قياديي حزب الله) التي قال القضاء المصري فيها كلمته عام 2009 بإدانة شهاب و27 متهما معه بالسجن 15 سنة. لكن شهاب هرب خلال أحداث ثورة 25 يناير. وفي فبراير الماضي استقبل مسؤول رفيع في المخابرات المصرية وفدا من حزب الله (محمد عفيف وعلي المقداد وحسن عزالدين).

ولست أدري إن كان مسؤول المخابرات قد طالب الوفد الزائر بتسليم شهاب أم لا وهو المدان بالتخطيط لهجمات إرهابية داخل الأراضي المصرية مستهدفة المواطنين والسياح عبر تفجيرات انتحارية وسيارات ملغّمة وعبوات ناسفة في سيناء خصوصا.

وفي اعترافات شهاب للسلطات المصرية التي بثّها الإعلام المصري قال نصا "العمليات كلها كانت تستهدف الوضع الداخلي في مصر ولا علاقة لها بمساعدة التنظيمات الفلسطينية في غزة".

وقضية شهاب مجرد مثال لمواقف بشار وإيران وحزب الله ضد مصر، أقول مصر ولا أقول حسني مبارك عمدا، ومن المحمود هنا التنبيه بأن إيران سمّت شارعا باسم قاتل الرئيس محمد أنور السادات، وهي أيضا أهم ممول لخصوم الرئيس السيسي من السياسيين ومن الإعلاميين.

مع كل احترامي لأصحاب القرار في مصر اليوم، إلا أن سياساتهم في سوريا وفي لبنان تنم عن انعزال كلي عن الواقع. وما يؤسف حقا أن السياسات المصرية في لبنان وفي سوريا لا تسيء لغير مصر، أما تأثيرها فهو صفر مكعب.

وإن كان لها تأثير فهو ينحصر في إزعاج حلفاء مصر المخلصين والدائمين. ولنضرب أمثلة على ذلك، حرص مصر على الجيش السوري والدولة السورية جميل نظريا لكن الواقع العملي لا يشير إلى وجودهما أو تأثيرهما مطلقا.

واعتبار مصر أن بشار الأسد عدوّ للإسلام السياسي في غير محلّه، فأبرز حلفائه هما الجمهورية الإسلامية الإيرانية وحركة حماس في غزة وحزب الله وجماعة فتح الإسلام في لبنان.

ولا أظن هذه الجهات منتمية إلى الوجودية أو إلى الماركسية. ولم نتطرق هنا إلى دور الأسد في دعم تنظيم القاعدة في العراق. ومن أخطاء مصر أنها تظن الأسد رمزا لسوريا وهو في حقيقته موظف إيراني لا أكثر.

لو قام العاهل السعودي باستقبال وفد من جماعة الإخوان أو أعلن تأييده للرئيس المعزول محمد مرسي لقامت الدنيا ولم تقعد في مصر.

وما يجب أن يدركه صناع القرار المصريون أن نظرة السعودية لبشار وإيران وحزب الله تساوي تماما نظرتهم للإخوان ولحماس وتركيا وقطر. وحين كانت مصر في أزمة قامت السعودية بتصنيف الإخوان كجماعة إرهابية. وما زال هذا قائما إلى اليوم.

وقامت السعودية كذلك بسحب سفيرها من قطر بجوار الإمارات والبحرين. والسؤال البسيط هنا، في ظل مواجهة مصر للإخوان ومن خلفهم قدمت السعودية لمصر كل شيء، فماذا قدمت مصر للسعودية في مواجهتها لبشار وإيران وحزب الله؟ لا شيء مطلقا.

لا يمكن أن يكون لمصر دور إقليمي من دون متانة وضعها الداخلي وسلامته، أما التهرب من المشاكل الداخلية بمحاولات التمايز الخارجي لن يؤدي إلى مكان، والسؤال هنا: كيف يمكن أن تؤدي مصر دورا إقليميا يقوم على معاداة السنة؟ وهنا ملاحظة طفيفة: زمن الحرب الباردة والأيديولوجيات انتهى لمصلحة النفط والمال والطوائف، كما أن جمال عبدالناصر انتقل إلى جوار ربه.

وأهمية هذه الملاحظة هو تذكير صناع القرار في مصر أن بلادهم لن تتمكن من

> لا يمكن أن يكون لمصر دور إقليمي من دون متانة وضعها الداخلي وسلامته، أما التهرب من المشاكل الداخلية بمحاولات التمايز الخارجي لن يؤدي إلى مكان

لعب دور إقليمي إلا إذا كانت ممثلة لإجماع عربي. وفي حال غياب الإجماع فمصر ستضيع وقتها ووقتنا كما يجري اليوم. والأهم من ذلك، وهو يزعج أصدقاءنا المصريين، حقيقة أن مركز القرار العربي انتقل من مصر إلى الخليج بعد انتقال الاهتمام الدولي من قناة السويس إلى الخليج العربي، وتلك سنّة الحياة، في يوم أنت مؤثر وفي يوم أنت متأثر، وهذا لا يستثني أحدا بما في ذلك مصر والخليج.

من وجهة نظري، يجب أن لا نغضب من أيّ تقارب مصري- إيراني، فأصحاب هذا الخيار لن يفلتوا من عقاب الشعب المصري، فلتفرح النخبة المصرية بميليشيا "مقاومة" في سيناء تستهدف الدولة المصرية وجيشها بذريعة محاربة إسرائيل، ولتفرح بـ"مراكز ثقافية" تنشر الفتنة المذهبية تحت راية التشييع، إيران ليست غاضبة من كامب ديفيد إنما تغار منها، كما أنها ليست حريصة على مصر إنما حريصة على التهامها، أعان الله المصريين على خصوم مصر وعلى نخبتها.

بعض المسؤولين السعوديين استاؤوا بأن المملكة دعمت لبنان مرارا لكنه لم يتضامن معها في أزمتها الدبلوماسية مع إيران، ونقول لأصدقائنا بأن ما قدمتموه لمصر بعد ثورة 30 يونيو فاق ما قدمتموه للبنان بعد اغتيال الشهيد الحريري خمسة أضعاف على الأقل، واليوم بعض مصر يقف ضدنا في غير مكان كل يوم، تحيا مصر وعشتم وعاش لبنان.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

صوت «الرفاق» الجدد يبقي كوربن رئيسا لحزب العمال المنقسم

خلافات القيادات والقاعدة تقلص حظوظ العماليين في العودة إلى السلطة قريبا

حافظ جيريمي كوربن على قيادته لحزب العمال البريطاني متفوقا على منافسه أوين سميث في انتخابات طالب بها منتقدوه إثر خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، معتبرين أنه له يقم بالجهد المطلوب لمنع ذلك؛ ومن شأن هذا الفوز أن يفضي إلى استمرار الأزمة التي يشهدها حزب العمال منذ هزيمته أمام المحافظين في الانتخابات التشريعية في العام 2015.

نمد يد السلام

❑ **ليفربول (بريطانيا)** – أعيد السبت انتخاب جيريمي كوربن، رئيسا لحزب العمال، أكبر أحزاب المعارضة في بريطانيا، في خطوة من المتوقع أن تبقي على الهوة الكبيرة بين قاعدة الحزب وقيادته ما يهدد حظوظ العماليين في العودة إلى السلطة سريعا.

وبإعادة انتخابه بـ61.8 بالمئة من الأصوات يضيف كوربن الرافض للتقشف والمؤيد للهجرة نقطتين إلى رصيده الذي سجله العام الماضي، بفارق كبير عن منافسه الوحيد النائب عن ويلز أوين سميث، الذي لا يتمتع بشعبية كبيرة.

> لا يبدو ممكنا التوفيق بين مواقف المعسكرين داخل حزب العمال في هذه المرحلة، إلى حد أن البعض يخشى على مستقبل الحزب. فالنواب المعتدلون المقتنعون بأن وجود كوربن يمنع عودة الحزب إلى السلطة، قد تغريهم فكرة الانفصال لخلق تيار جديد يساري وسطي

وقد اضطر كوربن للخضوع لتصويت جديد في وقت مبكر بعدما صوّت 172 من أصل 230 نائبا في حزب العمال في يونيو على مذكرة لحجب الثقة عنه منتقدين تأخره في الدفع نحو منح خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي. وعلى وقع التصفيق، سارع كوربن إلى دعوة حزب العمال إلى رص الصفوف، قائلا لمعارضيه أمام مؤتمر الحزب المجتمع في ليفربول، "فلنعمل سويا من أجل تغيير حقيقي ولنفتح صفحة جديدة".

وأسس حزب العمال النقابات في العام 1900 وتطور باتجاه عقيدة وسطية بين 1997 و2010 بقيادة رئيس الوزراء العمالي الأسبق توني بلير الذي فاز في الانتخابات ثلاث مرات متتالية. ومنذ أن عاد المحافظون إلى السلطة في 2010، يبحث الحزب عن هويته بين هذا الخط الوسطي وتيار يميل إلى اليسار دفع به قدما إيد ميليباند وعمل على تسريعه كوربن.

ويضع كوربن بفوزه حدا نهائيا لإرث بلير الذي أثارت سياسته الوسطية وقراره التدخل في العراق عام 2003 معارضة الآلاف من أعضاء الحزب. ويعود فوز كوربن بشكل كبير إلى الأعضاء الجدد في الحزب. فقد حصل 300 عضو جديد على بطاقاتهم الحزبية السنة الماضية ليضاعفوا بذلك عدد أعضاء الحزب الذي أصبح الأكبر في أوروبا، والذي انتقل إلى المعارضة منذ 2010.

ولا يخفي معظم النواب وأكثرية من كوادر الحزب رفضهم لكوربن وسياسته اليسارية التي يعتبرونها متطرفة ولا تساعد في عودة حزب العمال إلى تولي زمام الحكم؛ بينما أدى مشروع "الثورة الديمقراطية" والأفكار التي تميل إلى أقصى اليسار لدى "الرفيق كوربن" إلى جذب الكثيرين، ما غذّى اتهامات بتسلل ماركسيين قدامى وعناصر من أنصار حماية البيئة إلى حزب العمال.

على غرار بوديموس أو سيريزا

قال باتريك دونليفي، الأستاذ في كلية لندن للاقتصاد "في كل أنحاء أوروبا، شهدنا نشوء أحزاب مبنية على حركات ناشطين مثل بوديموس في أسبانيا، أو النجوم الخمسة في إيطاليا، أو سيريزا في اليونان. ومع جيريمي كوربن يقترب حزب العمال من هذا الاتجاه". أما المعتدلون المدعومون بنتائج استطلاعات الرأي، فيعتقدون أن هذه الاستراتيجية ستؤدي إلى بقاء حزب العمال في صفوف المعارضة على مدى العديد من السنوات أو حتى العقود.

وقال أنان مينون، أستاذ العلوم السياسية في كلية كينغز في لندن، إن "النتيجة الأولى لإعادة انتخاب جيريمي كوربن هي أن حزب العمال لن يعود إلى السلطة قريبا".

وبالنسبة إلى المحللين فإن الانتخابات البرلمانية المقبلة عام 2020 ستصب في صالح المحافظين الموجودين في السلطة والذين يعتبرون في نهاية المطاف الفائز الحقيقي. غير أن كوربن لا يوافق على ذلك إطلاقا.

وقال "سنقاتل من أجل الفوز في الانتخابات المقبلة في عام 2020". وحتى قبل إعادة انتخابه، قال كوربن إنه "يمدّ يد السلام" إلى جميع النواب الذين أظهروا انقساما خلال الصيف. وبحسب أوساط كوربن فإن العديد من المعارضين يستعدون للانخراط في صفوف الحزب. لكن الشتائم والتهديدات المتبادلة أثناء الحملة الانتخابية قد تترك ندوبا عميقة. كما لا يبدو أن المصالحة كفيلة بحل مشكلة قائد لحزب العمال غير مرغوب به من القيادة، رغم تأييد الناشطين له.

«حرب العماليين» مستمرة

لا يبدو ممكنا التوفيق بين مواقف المعسكرين داخل حزب العمال في هذه المرحلة، إلى حد أن البعض يخشى على مستقبل الحزب. فالنواب المعتدلون المقتنعون بأن وجود كوربن يمنع عودة الحزب إلى السلطة، قد تغريهم فكرة الانفصال لخلق تيار جديد يساري وسطي.

لكن معظم المحللين لا يتوقعون سيناريو مماثلا، على الأقل في المدى المنظور. وقال توني ترافرز، من كلية لندن للاقتصاد، إن "البعض سيدخلون إلى صفوف الحزب، فيما سيواصل آخرون التمرد. سيتحول حزب العمال إلى عائلة تعيسة تحاول التعايش". وقد تؤدي أيّ هزيمة انتخابية مقبلة إلى تغيير في الحزب، علما أن لا ضمانات تؤكد أن ذلك سيعني خروج كوربن ومؤيديه من الحزب.

وقال أنان مينون "الفكرة تكمن في بناء حركة اجتماعية، ومؤيدو هذه الفكرة مستعدون لأن يقبلوا بأن يستغرق ذلك وقتا طويلا. الأمر يتعلق بتغيير الحزب أولا قبل التحضير للانتخابات المقبلة". وأضاف ستيفن فيلدينغ من جامعة نوتنغهام "إنها فرصة ذهبية ولن يدعوها تمر". وأضاف "حرب الاستنزاف ستستمر".

خليفة أوباما مقبل على تركة ثقيلة في سوريا

جوناثان لانداي ومات سبيتالنيك

❑ **واشنطن** – اعترف مسؤولون وخبراء أميركيون أن الولايات المتحدة أصبحت على هامش الحرب السورية وأن التطورات تشي بتلاشي الأمل في جهود السلام الأميركية الروسية مما يزيد احتمالات أن يرث خليفة الرئيس الأميركي باراك أوباما صراعا متفاقما.

إذ أنذر هجوم شامل للقوات السورية والروسية على المنطقة الخاضعة لسيطرة المعارضة في مدينة حلب بإطلاق موجة جديدة من اللاجئين والدفع بمقاتلي المعارضة المدعومين من واشنطن إلى صفوف الجماعة التي كانت يوما جناح تنظيم القاعدة في سوريا.

وأشار مسؤول أميركي إلى أن خطط البيت الأبيض لكبح الفوضى في سوريا أثناء ترك أوباما للرئاسة فشلت. وأضاف "كانوا يأملون أن يتمكنوا من تجنيب الرئيس المقبل فوضى متأججة.. لكن ما حدث هو أن الفوضى المتأججة انفجرت ويتعين عليهم الآن التفكير فيما سيفعلونه".

وقال فريدريك هوف، مستشار أوباما السابق لشؤون سوريا، ويعمل الآن في المؤسسة البحثية المجلس الأطلسي، "بالنسبة إلى الرئيس المقبل ستكون هذه مشكلة من الجحيم منذ اليوم الأول إنها مشكلة ستظل قائمة بشكل أو بآخر خلال الفترة الأولى للرئيس المقبل وربما بعد ذلك".

وقال مسؤولون أميركيون إن روسيا اشتركت مباشرة مع القوات الحكومية السورية بطائرات ومدفعية بعيدة المدى ومستشارين من القوات الخاصة سعيا للسيطرة على شرق حلب أكبر معقل حضري للمعارضة المعتدلة المدعومة من الولايات المتحدة. وأضافوا أن مقاتلين شيعة من لبنان والعراق وأفغانستان شاركوا في الهجوم على المنطقة التي يعاني فيها ما يقدر بنحو 250 ألف شخص أعنف ضربات جوية.

ويرى بعض مسؤولي المخابرات الأميركية أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين يستغل رفض أوباما التدخل عسكريا في سوريا والفترة الانتقالية من رئيس إلى رئيس آخر في الولايات المتحدة حتى يسيطر على أكبر مساحة ممكنة من الأراضي قبل أن يتسلم الرئيس الأميركي الجديد المنصب. ويقولون إن روسيا لم تشارك بإخلاص في جهود صنع السلام وإن بوتين يهدف لإضعاف المعارضة في أسرع وقت ممكن وهو هدف ينجح تدريجيا في تحقيقه.

وخلّفت الحرب الأهلية السورية التي دخلت عامها السادس نحو 250 ألف قتيل وتسببت في نزوح أكثر من 11 مليونا وقدمت لتنظيم الدولة الإسلامية قاعدة يشن منها هجمات ويشجع على شن هجمات في الغرب. وسعى أوباما لتقييد التدخل الأميركي في سوريا ورفض مرارا اقتراحات مستشارين من بينها إقامة منطقة حظر جوي أو تسليح المعارضة المعتدلة التي تحارب للإطاحة بالرئيس السوري بشار الأسد.

وقال مسؤول كبير سابق ذو صلة بالسياسة الأميركية المتعلقة بسوريا "أحد الأمور التي تؤرقني بشدة هي أننا لم نسأل أنفسنا ما هي عواقب عدم التحرك.. لطالما ركزنا على عواقب التحرك.. لكن كان يجب أن نفكر أيضا في تأثير عدم فعل شيء لسنوات على مصداقية الولايات المتحدة والصراع على نطاق أوسع".

وقصر أوباما الدور الأميركي على دعم جماعات تحارب تنظيم الدولة الإسلامية في شمال شرق سوريا وإجراء محادثات مع روسيا. لكن، أوباما، وفق الخبراء، لم يعد بإمكانه التعويل على التوصل لوقف إطلاق نار يخفي الأزمة لحين أداء خليفته اليمين الدستورية في العشرين من يناير 2017.

وعبّر تشارلز ليستر، من معهد الشرق الأوسط للأبحاث، عن شكه في أن يتبع أوباما سياسة أكثر نشاطا. وقال "في ضوء موقف إدارة أوباما فيما يتعلق بالطريقة التي تواجه بها الحرب في سوريا لا أتوقع تغييرا في الاستراتيجية. سيكون ذلك أكبر تغيير غير معتاد في السياسة الخارجية في السنوات الثماني الأخيرة".

وقال مسؤولون وخبراء إن أوباما يواجه احتمال حدوث أزمة إنسانية قوية. فسقوط حلب قد يطلق موجة جديدة من المهاجرين الفارين إلى أوروبا التي تجد صعوبة بالغة في إيواء أكثر من مليون لاجئ منذ العام الماضي.

وبالإضافة إلى ذلك فإن استياء مقاتلي المعارضة المدعومين من الولايات المتحدة ممّا يعتبرونه تخليا أميركيا عن حلب، قد يدفعهم للانضمام إلى الجماعة التي كانت يوما جناح القاعدة في سوريا. ويقول مسؤولون أميركيون وخبراء إن هذه الجماعة تعتبر على نطاق واسع أقوى جماعات المعارضة تأثيرا وترفض بشدة التوصل إلى تسوية مع الأسد عبر التفاوض.

وقال ليستر، الذي يجري اتصالات مع مقاتلين من المعارضة داخل سوريا، إن زعماء المعارضة يشعرون بخذلان متزايد بسبب الجهود الأميركية للتفاوض بشأن حل دبلوماسي مع أكبر داعم عسكري للأسد. وحذّر قائلا "الأمور تتدهور بسرعة شديدة الآن. الولايات المتحدة تفقد السيطرة على الأرض كل أسبوع".

الحسم سيكون مع خليفتي

اقتصاد مصر في مرمى انتقام الإخوان

أحمد جمال

❑ **القاهرة** – كشف جهاز الشرطة المصرية، السبت، عن خلية إرهابية تابعة للإخوان تحت مسمى "وحدة الأزمة" يتمثل دورها في إيجاد وسائل لاختلاق وإثارة الأزمات.

وقال بيان لوزارة الداخلية المصرية، إن الشرطة تمكنت من ضبط القيادي الإخواني، شعبان جميل عواد السيد، و16 آخرين من العناصر القيادية، أثناء تنظيم أحد الاجتماعات بمحافظة القليوبية (شمال القاهرة).

واعترف المتهمون بأبعاد المخطط، القائم على عدة محاور أهمها: تصعيد أزمة ارتفاع سعر الدولار وترويج ونشر الشائعات وتقديم بلاغات وهمية وتصعيد المطالب الفئوية لبعض العاملين بالمؤسسات المختلفة.

وكشف البيان عن العثور على مبالغ مالية وقدرها 70 ألف دولار أميركي، و105 آلاف جنيه (12 ألف دولار تقريبا) كانت معدة للتوزيع على مسؤولي لجنة الأزمة لتفعيل آليات عملها، ومطبوعات تنظيمية تحتوى على هيكل وحدة الأزمات وآليات تحركها إعلاميا وجماهيريا والمؤسسات والكيانات وكافة شرائح المجتمع التي تستهدفها الجماعة.

وبحسب سياسيين فإن الحكومة المصرية حققت العديد من المكاسب بعد العملية الأخيرة، فهي تخفف من حدة الهجوم عليها بعد أن تم تحميلها مسؤولية الأزمات المتتالية، كما أنها وجهت ضربة قوية للجماعة.

وقال رفعت عبدالحميد الخبير الأمني لـ"العرب" إن الكشف عن الخلية أثناء التخطيط لعملياتها يعدّ من أرقى مستويات الهجوم الاستباقي. وقد استمرت عمليات التتبع لتلك الخلية حوالي ثلاثة أشهر قبل ضبطها.

وأضاف أن ضبط خلية تكمن مهمتها في القيام بأعمال غير ملموسة على الأرض يبرهن على أن هناك كمّا كبيرا من المعلومات المتوافرة لدى جهاز الأمن الوطني (أمن الدولة سابقا) عن نشاط جماعة الإخوان بالداخل، ما يعد اختراقا لخلاياها الصغيرة.

وأشار خبراء أمنيون إلى أن تلك الخلية لن تكون الوحيدة التي عملت على إثارة المشكلات بالداخل المصري، وعلى الأمن أن يستغل تلك الخلية للتعرف على جميع المتورطين. ففي نهاية أغسطس الماضي أصدر ما يسمى بالـ"المجلس الثوري"، الواجهة السياسية لجماعة الإخوان في تركيا، بيانا تحريضيا ضد مصر، حث فيه على عدة إجراءات على رأسها لضرب الاقتصاد المصري، والامتناع التام عن دفع أيّ فواتير كهرباء وماء وغاز، وتأجيل الدفع لأقصى قدر ممكن في حالة استحالة عدم الدفع.

وكانت أجهزة الدولة المصرية تعتمد في ردها على تلك البيانات على مرصد الفتاوى التكفيرية والآراء المتشددة التابع لدار الإفتاء، والذي تكمن مهمته في تفنيد تلك الدعاوى وتحريمها دون أن يكون هناك تعامل أمني مع ما يتم الترويج له بالخارج لصعوبة الوصول إليه من خلال أدلة واضحة.

وكشفت مصادر لـ"العرب" أن المشكلة التي تقف أمام أجهزة الأمن تتمثل في أن مندوبي الإخوان في شبكة جمع العملة الصعبة يعملون في شركات قائمة وحقيقية كمندوبي مبيعات متجولين، ولا يتم ضبط أحدهم إلا بعد مراقبة مستمرة، وهذا أمر يصعب تنفيذه خارج مصر.

وأكد ماهر فرغلي، الخبير في شؤون الحركات الإسلامية، أن البناء الهرمي لتنظيم الإخوان وتعدد خلاياه الداخلية يسهل من مهمة التواصل مع الخارج لخلق أزمات داخلية، وهو ما نجح فيه التنظيم على مدار العامين الماضيين تحديدا، كما أن التواجد القوي للتنظيم بعدد من البلدان يسهل من مهام القيادات الصغيرة بالداخل والتي تتلقى الخطط والتمويل من نظيرتها بالخارج.

وأضاف في تصريحات لـ"العرب" أن ما تنفذه الجماعة من خطط حالية هو نتاج لخطة شاملة تم وضعها منذ تركهم السلطة، وتقوم بالأساس على وضع شوكة في ظهر الدولة المصرية من خلال تحريك المظاهرات وضرب الاقتصاد والتحرك الخارجي من خلال علاقاتها الدولية والتواصل مع المنظمات الدولية لتشويه صورة الداخل. وفي تقدير فرغلي فإن الجماعة تدير مخططها الحالي عبر مكتب إدارة الأزمة الذي أسسته بالخارج ومكتبها الإداري داخل مصر.

ويتفق كثيرون أن محمد كمال، عضو مكتب الإرشاد الحالي، هو المحرك الأساسي لأغلب العمليات التي تنفذها الجماعة داخل مصر، إذ أنه يؤمن بأن العمليات النوعية هي السبيل الوحيد لمواجهة السلطة الحالية.

لكن، بوجه عام يبقى النظام الحالي المسؤول الأول عن الأزمات السياسية والاقتصادية في أعين المواطنين العاديين، والذين يعانون يوما تلو الآخر من ويلات ارتفاع الأسعار وصعوبة الأوضاع المعيشية، وكذلك عدم الإحساس بالأدوار الفعالة للبرلمان في تشريع قوانين من الممكن أن تساهم في تحسين الوضع الحالي.

اليمن بعد عامين من ظهور الإمام..

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ سيبقىٰ تاريخ الحادي والعشرين من أيلول ـ سبتمبر 2014 منعطفا في التاريخ اليمني الحديث. في ذلك اليوم، قبل سنتين، استكمل الحوثيون الذين صاروا يسمّون أنفسهم "أنصار الله" السيطرة علىٰ صنعاء مؤكدين أنّهم المستفيد الأول من الصراع السياسي والعسكري الذي دار طوال سنوات بين علي عبدالله صالح من جهة والإخوان المسلمين والسلفيين وعدد لا بأس به من أبناء الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر، الذين كانوا زعماء حاشد، من جهة أخرى.

توّج ذلك الصراع بإعلان علي عبدالله صالح استقالته، بموجب المبادرة الخليجية، وتسليم السلطة إلىٰ نائبه عبدربّه منصور هادي الذي أصبح في شباط ـ فبراير 2012 "رئيسا انتقاليا" لمدة سنتين صارتا، حتىٰ الآن، أربع سنوات ونصف سنة تبدو قابلة للتمديد..

كان عبدالملك الحوثي علىٰ موعد في ذلك اليوم مع الانتقام الكبير، إذ اعتبر أن "الإمامة" عادت إلىٰ اليمن وانتصرت علىٰ "الجمهورية" التي أعلنت في السادس والعشرين من أيلول ـ سبتمبر 1962. انتهىٰ يومذاك عهد الإمامة، لتعود وتطل برأسها مجددا بعد اثنتين وخمسين سنة تحت شعار "الشرعية الثورية" التي جسدها "أنصار الله" وما سمّي "اللجان الشعبية" التي وضعت يدها علىٰ مؤسسات الدولة في العاصمة.

> ما الذي يمكن أن يبقى من المشروع الحوثي بعد عامين من انطلاقته الجديدة من صنعاء؟ لن يبقى شيء يذكر في المدى الطويل لسبب في غاية البساطة. يعود هذا السبب إلى أنهم لا يمتلكون أي برنامج سياسي أو اقتصادي. لا علاقة لهم من قريب أو من بعيد بإدارة دولة

في الحادي والعشرين من أيلول ـ سبتمبر 2014، ظهر في اليمن إمام جديد. لم يتردد عبدالملك الحوثي في القول بعد أيام من إحكام السيطرة علىٰ صنعاء في خطاب ألقاه في عيد الأضحىٰ "إننا في هذه المناسبة الغالية علىٰ نفوسنا جميعا، نجدّد تهنئتنا لشعبنا اليمني بانتصار ثورته المباركة في الحادي والعشرين من سبتمبر في مواجهة طغيان الفاسدين، والفضل في ذلك لله عز وجل ودماء الشهداء والجرحىٰ".

تطوّر المشروع الحوثي مع الوقت. يبدو الآن أنّه بدأ يأخذ حجمه الحقيقي في ظل الانسداد السياسي والعسكري في اليمن. فبعدما وجد الحوثيون أن صنعاء صارت في متناول اليد، انفتحت شهيتهم. اعتقدوا في البداية أنّه سيكون في استطاعتهم التمدد في كلّ الاتجاهات، خصوصا أن طموحهم كان في البداية محصورا في إقامة إقليم لهم وذلك انطلاقا من محافظة صعدة، علىٰ أن يمتلك هذا الإقليم ميناء بحريا هو ميناء ميدي المطلّ علىٰ البحر الأحمر والتابع لمحافظة حجة. استولوا علىٰ عمران وعلىٰ حجة وعلىٰ الحديدة والتفوا علىٰ تعز بعد تمكّنهم من صنعاء وبلغوا عدن وباب المندب، وهو مضيق ذو أهمية استراتيجية كبيرة.

ما الذي يمكن أن يبقىٰ من المشروع الحوثي بعد عامين من انطلاقته الجديدة من صنعاء؟ لن يبقى شيء يذكر في المدى الطويل لسبب في غاية البساطة، ويعود هذا السبب إلىٰ أنّهم لا يمتلكون أي برنامج سياسي أو اقتصادي. لا علاقة لهم من قريب أو من بعيد بإدارة دولة. لا يعرفون معنىٰ مقوّمات الدولة، أي ألف باء السياسة. لو لم يكن الأمر كذلك، لما وجدوا أنفسهم مضطرين إلىٰ المشاركة في السلطة مع علي عبدالله صالح المعروف بأنه رجل براغماتي أوّلا.

قبل كلّ شيء، لا تصنع أيديولوجية الحوثيين أيّ دورة اقتصادية في البلد ولا يمكن أن تكون أساسا لفتح مدرسة أو مصنع أو لأيّ حياة سياسية من أيّ نوع. لا يستطيع الحوثيون سوى إعادة اليمن سنوات طويلة إلىٰ الخلف، أي إلىٰ الكهوف. الأهمّ من ذلك، كشفت "عاصفة الحزم" التي قادتها المملكة العربية السعودية أنّ ليس مسموحا للحوثيين تحويل اليمن قاعدة إيرانية، كما كانوا يشتهون.

بعد عامين علىٰ ظهور الإمام مجددا في اليمن، هناك حصار تتعرّض له صنعاء، خصوصا أن مناطق قريبة منها خرجت من سيطرة الحوثيين. وهناك قسم كبير من تعز خارج عن سيطرة الحوثيين والقوات التابعة للرئيس السابق. استعادت "الشرعية" مأرب. أكثر من ذلك، تحرّر الجنوب كلّه. تحرّرت عدن وأبين وشبوة وحضرموت ولحج. تحرّرت من نير الحوثيين كل الأراضي التي كانت تشكل في الماضي "جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية". تواجه هذه الأراضي في الوقت الحاضر تحديات من نوع آخر تتمثّل في "القاعدة" وإرهابها.

صحيح أن الحوثيين وحليفهم يطلقون صواريخ بالستية في اتجاه الأراضي السعودية، لكنّ الصحيح أيضا أن لا تأثير كبيرا لهذه الصواريخ علىٰ موازين القوى القائمة علىٰ الأرض. لن تغيّر هذه الصواريخ، ذات المصدر المعروف، في موازين القوى في وقت يشتد الحصار علىٰ صنعاء يوما بعد يوم من دون أن يعني ذلك أن العاصمة يمكن أن تتحرّر غدا.

مضت سنة ونصف السنة علىٰ "عاصفة الحزم". ما تغيّر هو الوضع علىٰ الأرض. كذلك تغيّرت طبيعة العلاقة بين الحوثيين وعلي عبدالله صالح. لم يعد هناك إيمان بـ"نصر إلهي"، بمقدار ما أن المطلوب الآن الوصول إلىٰ صيغة تفاهم بين الجانبين كرستها صيغة "المجلس السياسي الأعلىٰ"، وهو هيئة غير قابلة للحياة.

ما الذي يمكن عمله في اليمن في حال كان مطلوبا كسر الحلقة المقفلة التي يدور فيها البلد؟ هل العودة إلىٰ الشطرين تشكل حلا؟

عطل في القيادة

بالطبع لا. كل النيات الحسنة الصادرة عن السيد علي سالم البيض الأمين العام السابق للحزب الاشتراكي الذي كان يحكم الجنوب قبل الوحدة والذي صار نائبا لرئيس المجلس الرئاسي بعد الوحدة لا تقود إلىٰ أيّ مكان. العودة إلىٰ الدولتين المستقلتين لم يعد حلا. لا الجنوب يستطيع أن يكون دولة مستقلة ولا الشمال يستطيع ذلك.

ثمة حاجة إلىٰ صيغة جديدة لليمن.

السؤال ما العمل بالحوثيين المصرّين علىٰ أن يكونوا شركاء فعليين في السلطة؟ ماذا عن مستقبل علي عبدالله صالح الذي لا يزال موجودا في صنعاء وأجبر "أنصار الله" أخيرا علىٰ مشاركته في السيطرة علىٰ العاصمة، علما أن بعض أنصاره يقولون إنه وقع في فخ الحوثيين الذين يكرهونه ولم ينسوا الحروب الست التي خاضها معهم؟

لا أحد يمكن أن يلغي أحدا في اليمن. هذا ثابت يمني. الثابت الآخر الوحيد أن اليمن الذي عرفناه انتهىٰ وأن الحاجة إلىٰ مركزية موسّعة ولكن ليس علىٰ أساس الأقاليم الستة التي خرج بها مؤتمر الحوار الوطني.

هناك حاجة إلىٰ تفكير جديد خلاق في شأن كيفية مقاربة الأزمة اليمنية. فشل الحوثيون في تنفيذ مشروعهم وعادوا إلىٰ الكهوف بعد نهب البنك المركزي بمحتوياته، فيما أظهر علي صالح أنّه لا يزال موجودا، علما أن وجوده في المدى الطويل مرتبط بقدرته علىٰ أن يكون عاملا إيجابيا وليس مجرد عامل معرقل.

في المقابل أظهرت "الشرعية" أنّها لا تمتلك رجالا قادرين علىٰ أن يكونوا قادة بالفعل لعملية إنقاذية تشمل اليمن كلّه. فالإخوان المسلمون مكروهون في كلّ مكان وجدوا فيه في اليمن، خصوصا في الشمال.

ما العمل إذن؟ لماذا لا يتفق علىٰ تنفيذ القرار الرقم 2216 الصادر عن مجلس الأمن في سياق تقسيم جديد للبلد في إطار "دولة اتحادية"؟ لماذا لا يخرج اليمن من الانقسامات الراهنة ويكون فيه تنافس علىٰ أسس جديدة داخل كلّ إقليم بعيدا عن "أنصار الله" والمؤتمر الشعبي العام والإصلاح (الإخوان) و"الحراك" المطالب بكيان جنوبي مستقل؟

لن يتجاوز اليمن أزمته إلّا في ظل صيغة جديدة وعقلية مختلفة، خصوصا أن صنعاء لم تعد العاصمة لدولة مركزية قوية بعد انتقال الصراع إلىٰ داخل أسوارها. في غياب مثل هذه الصيغة والعقلية، سيبقىٰ الجمود سيد الموقف. هزمت "عاصفة الحزم" المشروع الإيراني في اليمن ولكن ماذا بعد ذلك.. ماذا بعد عامين من ظهور الإمام مجددا؟

حروب الطواويس

ابراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

❑ حين يغضب الله علىٰ أحد، شخصا كان أو حزبا أو حكومة، يصيبه بلوثة جنون العظمة، ويُدخِل في عقله وقلبه الغطرسة وغرور القوة، لتحلّ عليه اللعنة، ويبدأ مسيرة السقوط الآتية علىٰ الطريق. ويبدو أن الطواويس الإيرانية التي لا تتوقف عن نفش ريشها علىٰ البلاد والعباد قد أصابتها اللوثة القاتلة التي سقط بها جبابرة، وانتهت بها ممالك، واختفت أمم، عبر التاريخ الطويل.

ومن يتابع تصريحات كبارهم وصغارهم، وهم يفاخرون بأن العراق ولبنان وسوريا واليمن وأفغانستان أصبحت ممتلكات مضافة إلىٰ دولتهم الفارسية العظمىٰ، يدرك هذه الحقيقة دون ريب. من بين هؤلاء المتحدثين قائد الحرس الثوري الأسبق، محسن رضائي، الذي أكد خلال حوار مع صحيفة أميركية، تدخلات بلاده في الشؤون الداخلية لدول المنطقة، بقوله إن إيران "لن تتخلىٰ عن سوريا والبحرين واليمن". ويفاخر بـ"جاهزية قوات الحرس الثوري لحرب جديدة" في المنطقة.

ومن هؤلاء، أيضا، وربما أهمهم، قاسم سليماني الذي أعلن مؤخرا أن "تاريخ إيران لم يشهد في جميع مراحله مثل تأثيرها الحاصل الآن في العالم،" وتساءل "إذا كنا في عزلة فلماذا تصرّ جميع الدول علىٰ إقامة علاقات مع إيران؟". وأشار إلىٰ "المساعي التي تُبذل من أجل تغيير وجهات النظر في العديد من البلدان، كالعراق وأفغانستان، غير أن جميع القلوب متجهة نحو إيران".

ومنهم، أيضا، قائد بحرية الحرس الثوري الإيراني الأدميرال علي فدوي الذي أعلن أن "أميركا غير قادرة علىٰ مواجهة القوة العسكرية الإيرانية، سواء في الجوّ أو البرّ أو البحر"، وأن "إيران سَلبت من واشنطن قوتها في المنطقة، وبالتالي فهي عاجزة عن خوض أيّ مواجهة عسكرية معنا".

وأيضا، قائد أركان القوات المسلحة الإيرانية اللواء محمد باقري الذي أعلن أن بلاده توظف خبراتها العسكرية التي اكتسبتها من حرب الخليج الأولىٰ، في خمس دول عربية، وهي اليمن وسوريا والعراق ولبنان وفلسطين. وأكد أن "إيران تعمل حاليا علىٰ تقوية نفوذها في دول محور المقاومة".

وخلال العرض العسكري السنوي للقوات المسلحة بمناسبة الذكرى الـ36 لانطلاق الحرب الإيرانية–العراقية (1980–1988) في طهران، كرر قائد الأركان الإيرانية وقادة آخرون تهديدات عسكرية ضد دول المنطقة، وضد القوات الأميركية المتواجدة في الخليج، حسبما نقلته وكالة الأنباء الإيرانية.

علّمنا التاريخ البشري الطويل أن القويّ غير الضعيف، والشجاع غير الجبان، والمطمئنّ غير الخائف، لا يتبجح ولا يباهي. ولو جمعنا خيوط هذا الغرور لوجدنا أنها تتركز علىٰ نفوذ إيراني متفاوت الدرجات في العراق وسوريا واليمن وفلسطين وأفغانستان والبحرين وبعض دول الخليج الأخرى.

لا نجد لإيران ما يدعيه قادتها العسكريون الكبار من وجود راسخ ومستقر وثابت في أيّ من هذه البلدان. بل إن كل ما تمكنت إيران من زراعته فيها مجرد قلاقل ومناوشات ومؤامرات ومحاولات هيمنة تقابلها قوى محلية وخارجية عديدة تتحدى قوتها، وتقتل جنرالاتها وجنودها وعملاءها ووكلاءها المحليين، قضمة قضمة، وعلىٰ مهل، لإبقاء النار تحتها وحولها موقدة علىٰ الدوام ولا تنطفئ.

في اليمن، مثلا، لا يُنكر غير المكابرين المغالطين أن القوى المتآلفة ضد الوجود الإيراني، عربية وغير عربية، تحاصر طابورها الخامس الحوثي بين مطارق الخارج وسنادين الداخل، ولم تنفعه الممنوعات الإيرانية المُهرّبة التي لا يصل قليلها إليه إلا بشق الأنفس، ويُفتضح كثيره فيصادر وتذهب أموال الولي الفقيه وأسلحته هباء في هباء.

أما في سوريا فلا يقلّ وجع الرأس الإيراني عن وجعه في العراق والبحرين والسعودية والكويت. ولسنا من يقول ذلك، بل الجنرال يحيىٰ رحيم صفوي، المستشار العسكري لعلي خامنئي الذي حذّر علنا من أن "هناك اتفاقا أميركيا–روسيا يجري تحت الطاولة بشأن سوريا يتجاهل مصالح إيران".

وأكد في برنامج تلفزيوني مؤخرا أن "إيران تخشىٰ أن يخدعها الأميركيون والروس في هذا الاتفاق، بما يحقق المصالح الأميركية، ويتجاهل مصالحها في سوريا".

ويعرف المراقب السياسي والعسكري القريب والبعيد أن عمىٰ البصر والبصيرة الإيراني جعل سوريا ورقة يلاعب بها بوتين نظراءه الكبار علىٰ طاولة القمار التي ليس لإيران حولها سوى مقعد المتفرجين الزائرين. وبعبارة أخرى، إن إيران تزرع في سوريا وروسيا وأميركا تحصدان. فهي التي تنفق أموالها، وتهدر دماءَ أبنائها ووكلائها، (حزب الله وميليشات فريقها العراقي الحاكم في العراق)، ثم تُحكم روسيا قبضتها علىٰ رقبة النظام السوري ورقاب حلفائه.

لو كانت إيران الوليّ الفقيه حققت أمجادها التي يباهي بها قادتها الكبار بأذرع (مجاهديها)، وعبقريات ساستها، وجبروت اقتصادها، لحق لهذه الطواويس أن تنفش ريشها علىٰ الآخرين. ولكن حين نستعرض حوادث الزمن الرديء الذي أتاح لإيران أن تتسلل هنا وهناك نجد أن ما تتباهىٰ به اليوم ليس سوى مجد هش لا يملك جذورا حقيقية في الأرض وهبته لها مخططات خارجية خبيثة وظروف محلية قاهرة مواتية، وسوف تذروه الرياح فقط حين تتغير المصالح المتقلبة لتلك القوى، وحين تستعيد الشعوب المستضعفة وعيها وقوتها. وليس ذلك بغريب ولا ببعيد.

وسيكون قادة النظام الإيراني قد جنّوا، أو عميت عقولهم وقلوبهم، وخانتهم قدرتهم علىٰ الإبصار إذا ما توهموا أن البلاد التي تمكنوا من أن يتسللوا إليها، وخربوا حياتها، وعطلوا جيوشها، وأقلقوا أمنها، وأفسدوا اقتصادها، وأهانوا شعوبها، ستبقىٰ ذليلة مستسلمة، ويَبقوْن هم، وحدَهم، مالكين أرضها وماءها وهواءها.

أول من تنبّه لهذه الحقيقة الجارحة هو أحد كبار الخمينيين، هاشمي رفسنجاني، حيث قال في كلمة له نشرها موقعه الرسمي "إن الجيش والقوات العسكرية تحتاجان إلىٰ نفقات مالية كبيرة، وفي حال اندلاع الحرب تحتاج إلىٰ نفقات هائلة للغاية، ولهذا اتجهت بلدان عدة، وفي مقدمتها ألمانيا واليابان، إلىٰ إنفاق الأموال علىٰ العلم والإنتاج والتطور".

وكانت دراسة تتعلق بالميزانية الدفاعية الإيرانية نشرت في أبريل الماضي أوضحت أن إيران تنفق سنويا نحو 6.3 مليار دولار لتطوير قدراتها العسكرية، يخصص 34 بالمئة منها لوزارة الدفاع و65 بالمئة ينفق علىٰ الحرس الثوري.

وعبّر محمود علوي، وزير المخابرات الإيراني، عن مخاوفه من تزايد قدرات التنظيمات المسلحة التابعة للشعوب الإيرانية غير الفارسية الباحثة عن تخلصها من نير النظام، وخصوصا الحركات التي تنتهج "الكفاح المسلح"، زاعما أن هذه القدرات هي نتيجة تمويل حلف مخابراتي يعمل ضد "الجمهورية الإسلامية" علىٰ حد قوله.

وصرح رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني مصطفىٰ هيرجي، عقب وصوله إلىٰ أربيل في كردستان العراق، بأن طهران لا تقل خطرا عن ذلك الذي يمثله داعش علىٰ المنطقة والعراق، داعيا إلىٰ أخذ خطرها بجدية. وقال في مؤتمر صحافي عقده في أربيل "القوة فقط هي التي ستُجبر طهران علىٰ منح الأقليات حقوقها، في إيران".

كما وصف إيران خلال المؤتمر، بأنها "داعش الشيعية، بل أكثر خطرا من داعش السنية التي تهاجم وتدمر علنا، لكون إيران تقترب منك كصديق لكي تعمد إلىٰ تدميرك".

وفي باريس أعلنت زعيمة المعارضة الإيرانية مريم رجوي، أن "نظام ولاية الفقيه يتستر علىٰ فشله بدعم مجازر بشار الأسد"، وقالت إن "عمليات الإعدام والاعتقال التي تحصل في إيران هي الأكبر منذ الثورة"، وأن "سقوط نظام ولاية الفقيه هو الحل الوحيد لإخراج إيران من واقعها المتردي".

والأهم من كل ذلك أن أحدث تقرير أعلنه مساعد وزارة الصحة الإيرانية علي أكبر سياري يؤكد "أنه في الوقت الحاضر هناك 30 بالمئة من الإيرانيين جياع، ولا يملكون خبزا يابسا يأكلونه". واعتبر "أن مواجهة غياب المساواة يشكل الخطوة الأولىٰ في التصدي للتهديدات التي يواجهها المجتمع الإيراني".

وقال "إن 25 بالمئة من التركيبة السكانية في المدن تعاني من التهميش، وإن عشرة ملايين و200 ألف إيراني يعيشون تحت خط الفقر".

وقد لاقت تصريحات علي أكبر سياري ردود أفعال غاضبة بين الإيرانيين علىٰ مواقع التواصل الاجتماعي، حيث ربط أغلبهم بين ما تقوم به السلطات الإيرانية من دعم للجماعات المسلحة وإرسال السلاح ورعاية الميليشيات وبين تأخر وعود السلطة بتحسين الأوضاع الداخلية الاقتصادية، وتراجع مؤشرات الوضع المعيشي في إيران.

وفي أبريل الماضي قال رئيس لجنة الإمداد الإيراني حسن موسوي "نموّ التهديدات الاجتماعية بين النساء والأطفال يُظهر تراجعا في أعمار مرتكبي الجرائم".

وتتزايد، يوما بعد يوم، انتقادات منظمات المجتمع المدني للحكومة التي تستثمر موارد البلاد في حروب خارج الأراضي الإيرانية، ودعم الجماعات الموالية، بدعوى أنها عامل ثبات في المنطقة، في حين ترفض الاعتراف بحقيقة التهديدات الاجتماعية.

فهل بعد كل هذا يحق لأيّ طاووس إيراني، كبير أو صغير، معمّم أو غير معمم، أن ينفش ريشه علينا، ولا يحسب حساب العواصف الآتية؟

> إيران تزرع في سوريا وروسيا وأميركا تحصدان. فهي التي تنفق أموالها، وتهدر دماء أبنائها ووكلائها، (حزب الله وميليشات فريقها العراقي الحاكم في العراق)، ثم تحكم روسيا قبضتها على رقبة النظام السوري

داعش محنة ثقافية وليست عسكرية

أسعد البصري
كاتب عراقي

❑ هل داعش إسلام أم لا؟ إيمان أم لا؟ مجاهدون أم لا؟ مرتزقة أم متطوعون للجهاد في سبيل الله؟ هل فهم داعش للإسلام خاطئ أم فهمنا للإسلام غير حقيقي؟ هل الصحابة كانوا متصوفة؟ هل جاء الوحي بوحدة الوجود والتأمل بالذات الإلهية فقط؟ هل الصحابة كانوا يبكون ويدعون إلى المحبة وحين يقتلهم المشركون لا يرفعون سيفا، كما كان دعاة المسيحية الأوائل في الحضارة الرومانية؟

هل انتشر الإسلام بين الفقراء والعبيد كما انتشرت المسيحية في البداية لتخفيف المعاناة عن الضعفاء؟ أم انتشر الإسلام بين السادة والأقوياء وسعى إلى الغزوات "كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم"؟، هل الصحابة مستعدون للموت في سبيل الله؟ هل الدواعش مستعدون للموت في سبيل الله؟ ما معنى الآية "فتمنوا الموت إن كنتم صادقين"؟ هل أنت وأنا مستعدان للموت في سبيل الإسلام؟ ما معنى الموت في سبيل الدين؟

السلفية معناها العودة إلى الوراء، إلى عهد الصديقين والتابعين، والناس تريد العيش في هذا العصر، تلك أمة قد خلت لها فهمها وأفكارها ومقولاتها التي لا تصلح إطلاقا في هذا الزمان.

السلفية مسؤولة عن بناء يوتوبيا ماضوية، يريدون إقناع المسلمين بأن صدر الإسلام هو أجمل العصور. يريدون منك أن تتمنى لو أنك مولود في ذلك الزمان، وهذا خيال خطير. ماذا تفعل في ذلك الزمان؟ متوسط عمر الإنسان بذلك العهد 30 سنة فقط، بينما هو اليوم أطول بكثير. أوبئة ومجاعات وأعوام رمادة وحروب، حتى الصحابة قتل بعضهم البعض الآخر في حروب طاحنة.

ماذا لو كنت عبدا في الطائف واشتراني سيدي من ثقيف في عصر الرسالة؟ لو أسلم سيدي أصبح معه مسلما، ولن يتغير في حياتي الشاقة شيء سوى العشر دقائق التي يسمح بها للصلاة. المشكلة أنك إذا هربت، تصبح عبدا آبقا وصلاتك غير مقبولة.

الحنين إلى الماضي يقوى حين يكون الإنسان في أزمة. إنّ جوهر السلفية يجعل من حكايتك الشخصية لا أهمية لها، المهم حكاية الشخصيات الدينية ومقولاتها، هذا الوعي هو هجوم عنيف من العصور السحيقة على دماغك.

خطيب الدولة الإسلامية أبو محمد العدناني يخاطب العالم بنشيد ديني، ويموت بصاروخ ملحد. أبو بكر البغدادي يعتلي الجامع النوري الكبير ويعلن الخلافة، وغدا تسحله المدرعات الأميركية. الشباب يخرجون بإصدارات ويفجّرون أنفسهم أمام العالم في سبيل الجنة.

الشباب العربي محاصر ثقافيا. فلم يتم تشجيع الفنون من رسم ونحت وموسيقى ورقص وغناء، وليس عندنا سوى الشعر، ويقولون لك إن القرآن نزل لهزيمة الشعراء. حتى أن الشعر توقف في صدر الإسلام، فالشاعر المخضرم لبيد بن ربيعة يقول بعد إسلامه "قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران". وأما الحطيئة المشاكس فقد تم تأديبه ومنعه من الهجاء، وصدرت قوانين تمنع الغزل "التشبيب بالنساء". لم يعد هناك نساء عند الغدير وشاعر يتغزل بعيونهن. الدولة الأموية أعادت للحياة الدنيا رونقها بعد توقف إيماني ديني. السلفية اليوم تريد الرجوع بنا إلى ما قبل الأمويين، إلى عصر التابعين والصديقين.

معظم المسلمين اليوم يلبسون البنطلون ويحلقون اللحية، يصعدون الطائرات والسيارات، يطربون ويغنون ويرقصون أحيانا، يعشقون النساء ويتشببون بهن، يتعاملون مع بنوك تعتمد الربح، يقرأون الفلسفة والعلوم الحديثة فكيف يتشبهون بالسلف الصالح؟

معظمنا إن لم تكن أمّه سافرة، فزوجته سافرة أو ابنته أو حفيدته، العالم يتقدم بهذا الاتجاه. فكيف نتعامل مع نصوص من نوع من تشبه بقوم فهو منهم" أو أن نتبع الغرب "القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب دخلناه". لماذا لا؟ نريد أن نتعلم ممّن حققوا إنجازات حضارية وإنسانية كبيرة.

الإيزيدي أقرب إلى العراقي أم الشيشاني؟ المسيحي السرياني أقرب أم البوسني؟ الصابئي أم الباكستاني؟ ما الإسلام وما جوهره؟ وانفجرت بسبب داعش مشكلة لم تُعالج منذ قرون، مشكلة العقل الديني. مناقشات عجيبة حول جثث المجاهدين هل تتفسخ أم لا؟ هل تجوز مصافحة المرأة؟ عندما ظهر داعش من المؤكد اجتمع أوباما بعلماء تاريخ. الموضوع توحيد ومقدس واحتلال أراض، ثم تنتشر الأساطير مع النصر وتتفشى العدوى، ويكثر الناس مع الغنائم وتقوم إمبراطورية جديدة إسلامية. حدث هذا عدة مرات في التاريخ. هكذا الإسلام والدولة الأيوبية والعثمانية والصفوية والعباسية والأموية.

المهم عند الولايات المتحدة ألّا يحقق المتطرفون انتصارات بأيّ ثمن، ألا يكون عندهم مال وغنائم، كما قال خالد بن الوليد الذي هو أحد أسباب انتشار الإسلام "الناس تكثر بالنصر وتقل بالهزيمة" الرعب والنصر العسكري هما الإقناع، وليس الدعوة والإعجاز الإلهي فقط.

> السلفية معناها العودة إلى الوراء، إلى عهد الصديقين والتابعين، والناس تريد العيش في هذا العصر، تلك أمة قد خلت لها فهمها وأفكارها ومقولاتها التي لا تصلح إطلاقا في هذا الزمان

داعش خطر كبير لأن الفكرة موجودة، لم تكن بحاجة إلى شيء سوى انتصارات لتنفجر. وهكذا قامت الولايات المتحدة باحتواء الإرهاب، ومع الويلات والهزائم ارتد الناس، وانتهى الأمر. طالب جامعي عراقي يقول إن الناس تريد أميركا لتحميهم من الإسلاميين، أمر ستكون تحولاته عظيمة في المستقبل العراقي.

يحاول العراقيون التملص من الحقيقة. البارحة كانوا اعتصامات مليونية، وجيش المالكي في حرب مع الموصل. لقد رأيت إصدارا بالموصل لطفل عمره سبع سنوات يقتل ضابطا في الشارع بكاتم صوت، وطفلين يرميان غرفة جنود بالرمانات اليدوية ويفجران المكان.

الإعدامات الحكومية كانت في الساحات العامة بالموصل، ورأيت تسجيلا لضابط أجلس الرجال وسط الموصل على التراب وأخذ يكيل لهم الإهانات، والسيارات بشوارع الموصل كانت كالجحيم إلى درجة أنه بعد سقوط المدينة بيد داعش في الأيام الأولى احتفل الناس بقيادة سياراتهم في المدينة دون حواجز. وكانت هناك الاعتقالات لابتزاز الأسر الميسورة والفساد.

تصريح القائد الأعلى للقوات المسلحة حينها نوري المالكي "أحفاد يزيد وأحفاد الحسين" قصم ظهر البعير وشق القوات المسلحة. بضعة مئات من داعش اقتحمت المدينة في جو طائفي مشحون فالتحم بهم الناس وساعدوهم ورحبوا بهم. لم يعرف الناس عنهم شيئا سوى أنهم الخلاص من طائفية المالكي.

شيء طبيعي أن تصدر أوامر بانسحاب الجيش، خوفا من حدوث مذبحة بعشرات الآلاف للجنود الشيعة. كيف يقاتلون والمدينة ضدهم؟ كيف يتوقعون الوفاء من زملائهم الضباط أحفاد يزيد؟ إن نفي التاريخ والظروف وافتعال التحليلات غير صحيح.

داعش فضيحة لكل التيارات الإسلامية، حتى الشيعة في مأزق. لقد أخرجت داعش كتب السيرة والحديث والتاريخ الإسلامي وألقته حيا في وجوهنا. المزاج العراقي تغيّر الآن، لم تعد هناك حماسة، فالصدمة الداعشية ثقافية أكثر منها سياسية أو عسكرية. فلماذا نقاتل الناس حتى يقبلوا بدين ما؟ ما هو السبب؟ أليست القيم الحديثة والقبول بالآخر أفضل من القتال؟

البارحة في المقهى انتقدت الكنديين بسبب المبالغة في مهرجانات المثليين. فقال لي أحدهم نحن نفعل هذا لأجلكم؟ قلت له كيف؟ قال بلد يعج بالمهاجرين من جنسيات وأديان وأعراق مختلفة، وتشجيع الناس على القبول بالمثليين هو لمنع الكراهية وتعزيز التعايش. لا تنس النازية أبادت اليهود والغجر والمثليين. هذه شعوب تفكر بالاختلاف وقبول الآخر ونحن نفكر بمحاربة الكفار. حين خرجت من المقهى فكرت، ماذا لو أن الكنديين مسيحيون مؤمنون ويكرهون المثليين، لا بد أنهم من باب أولى يكرهون المهاجرين ويطالبون برميهم في البحر.

تركيا تروج لدراما العثمانيين وإيران تزيف تاريخ المسلمين، والعرب يتفرجون

ملهم الملائكة
كاتب عراقي

❑ بات مهند ونور وكريم وكوسيم وحريم السلطان أيقونات تسحر الشابات والشبان العرب ممّن لا يشغل أوقاتهم سوى مشاهدة التلفزيون. وبات هذا الانشغال جزءا من حضور الشباب على شبكات التواصل الاجتماعي التي ترشح دائما بإشارات إلى تلك المسلسلات. في المقابل، لا نرى مثل هذا الاهتمام العربي بالمسلسلات الإيرانية رغم أنها أكثر محافظة وتطابق المزاج "الإيماني" الذي شاع في الوعي العربي خلال العقدين الأخيرين؛ بل إن المسلسلات التركية اقتحمت على الإيرانيين بيوتهم بلغتهم ونجحت في إزاحة ثقافة التلفزيون التي تفرضها دولة وليّ الفقيه عليهم.

ربما بُرّر الاهتمام العربي بالمسلسلات التركية بغياب الدراما العربية وانهيار صنعة السينما، فالجمهور العربي الذي طالما سحرته المسلسلات المصرية والسورية لعقود طويلة، بات يهتم بشكل بالغ بالمسلسلات التركية بحلقاتها مئوية العدد.

ولا تفوت المهتم بصناعة الدراما التلفزيونية ملاحظة أنّ المسلسلات التركية قد نجحت في شدّ المشاهد العربي واصطياد وعيه لأنها عبارة عن "سوب أوبرا" على الطريقة الأميركية تكتب حلقاتها وتسجل يوميا وتترجم أو تدبلج للعديد من اللغات وتبث للملايين من المهتمين، وتتطور أحداثها غالبا بموجب الوضع والمناخ السائد في الشرق الأوسط أو العالم الإسلامي، وخاصة منها تلك التي تتعامل مع تاريخ السلاطين العثمانيين، ففي رمضان هي رمضانية، وفي عيد الأضحى هي مشرقة متفائلة مستبشرة بالعيد، وفي المولد النبوي هي مناسبة لبيان مناقب السلطنة العثمانية في حفظ الموروث النبوي.

الناقد السينمائي والتلفزيوني محمد عبيدو، برّر، في حديث لـ"العرب"، تفوق المسلسلات التركية بالقول إن "العديد من الإعلاميين والفنانين امتدحوا الدراما التركية المدبلجة باعتبار أنها مصنوعة باحترافية ووجدت لها جمهورا واسعا من متابعي الفضائيات العربية؛ فيما صرح البعض الآخر بأنها تشكل خطرا على الدراما العربية لأن العمل التركي المدبلج باللهجة السورية أخذ يشغل مساحات أكبر للعرض على حساب المسلسل العربي، وتحول نجوم الدراما السورية إلى جنود خفاء مكتفين بإعارة أصواتهم لنجوم تركيا".

ويضيف عبيدو "المسألة هنا قضية سوق بالدرجة الأولى وسياسة بالدرجة الثانية. الأعمال التركية المدبلجة (الأرخص ثمنا) نجحت في جذب الجمهور التلفزيوني العربي بغض النظر عن طرحها بسبب الشغل الجيد على سيناريوهات محبوكة وتصوير لأماكن خلابة وحضور للمرأة المتحررة".

انتقلت صناعة المسلسلات التركية من مرحلة مهند وعشيقاته الفاتنات إلى أمجاد السلطنة العثمانية (وربما كانت لهذا علاقة سياسية بتغيرات الربيع العربي وتطلعات الأردوغانية)، فدخلت التلفزيونات الدرامية على خط التاريخ منذ العام 2010 بمسلسل تاريخي بلغ عدد حلقاته نحو 500 حلقة "حريم السلطان". ويروي المسلسل كواليس قصر السلطان العثماني سليمان القانوني مسلطا الضوء بالخصوص على قصة غرام السلطان بالجارية الشركسية روكسلانا. واسمها في الدراما "هيام".

المسلسل التاريخي التركي الآخر هو "عودة أرطغرل"، الذي يمجد القيم العثمانية وفروسيتها المفترضة (وينسى المشاهدون العرب هنا أنّ الدولة العثمانية احتلت العالم العربي لخمسة قرون وحوّلته إلى ولايات متخلفة مفلسة جاهلة) ويتحلّقون حول أجهزة التلفزيون وقد اختطفتهم لقطات البطولة في المسلسل الذي دعمه التيار المحافظ الحاكم في تركيا لدرجة زيارة رجب طيب أردوغان رئيس الجمهورية إلى موقع التصوير.

جمّلت هذه المسلسلات عصر الاستعمار العثماني ونجحت في شد المشاهد العربي. وأوحت له بأنّ العودة إلى سلطة السلطان العثماني أرحم من معاناة عصر العولمة بكل تقنياته وانفتاحه المعرفي، وقد استجاب المشاهدون إلى هذا غالبا بسبب الاستقطاب الطائفي الذي يجتاح العالم الإسلامي.

في المقابل، تمتلك إيران صناعة تلفزيونية مرموقة لكنها ملتزمة جدا بخط ولاية الفقيه (سياسيا ومذهبيا) ولا تستطيع مغادرته، ما يجعل منها صناعة مسيّسة بالدرجة الأولى، وتنتج أستوديوهاتها الحكومية وشبه الرسمية والأهلية كمّا كبيرا من المسلسلات وتُنفق عليها مبالغ كبيرة، لكنها تبقى محصورة في جمهور محدود.

ويقول الناقد السينمائي محمد عبيدو "المسلسلات الإيرانية المقيدة تفتقد إلى عناصر الجذب (مشاهد جميلة، سيارات أنيقة، مبان فخمة، سيدات جميلات، شبان وسيمون)، رغم حضور موضوعات مهمّة أحيانا في متنها بقوانين الإعلام الإيراني المتزمت. وأيضا لا نغفل الناحية السياسية لأنّ من يفترض أن يعرض هذه الأعمال هو فضائيات عربية تعمل في دول هي في صراع مع إيران سياسيا ومذهبيا على كل المستويات".

من جانب آخر، ذهبت المسلسلات الإيرانية التاريخية إلى التاريخ العربي نفسه، لتصور وقائع منه ومن مراحله طبقا لروايات إيرانية متداولة، فظهر مسلسل "الإمام علي" بحلقاته الاثنتين والعشرين والذي أنتجته قناة التلفزيون الرسمي الإيراني الأولى للمخرج والمؤلف سيد داود ميرباقري والذي سبق أن أخرج وكتب قصصا درامية وتمثيليات تلفزيونية ذات طابع حربي يروّج لمبدأ ولاية الفقيه.

واحتشد في المسلسل جمع من الممثّلين اشترطت إدارة التلفزيون الإيرانية فيهم شروط "الإيمان والتقوى والالتزام بخط ولاية الفقيه" على حساب الموهبة وتفوّق الأداء الفني والوعي الثقافي. وقد جاء المسلسل، الذي بلغ طول كل حلقة من حلقاته 50 دقيقة، متواضعا رغم كل شيء، وحين عُرض في العراق وجنوب لبنان ومناطق أخرى لم يلق تجاوبا حتى من الجمهور الذي أريد له أن يخاطبه. ويبدو أنّ المزاج العربي -حتى الشيعي منه- لا يتفق مع الفهم الإيراني للتاريخ العربي والإسلامي.

وتعاقبت بعده مسلسلات دينية وتاريخية عدة منها "ولايت عشق"، "يوسف الصديق"، "حضرت مريم"، "حضرت مسيح"، و"موسى الكليم"، وقد لاقت كل هذه المسلسلات في الغالب اعتراضات شديدة حتى على محتواها مما دفع بمنتجي مسلسل "موسى الكليم" إلى التوقف عن إنتاجه. ولا بد من تكرار القول هنا بأنّ حجم الاستقطاب الطائفي الحاد الذي سيطر على المشهد السياسي والاجتماعي العربي والإسلامي خلال العقدين الأخيرين ربما كان من جملة أسباب ابتعاد المشاهد العربي عن المسلسلات التاريخية الإيرانية.

ولاحظ مراقبون أن الإيرانيين في إنتاجاتهم الثقافية بشكل عام وخاصة الدرامية منها ليست لديهم مادة تاريخية يمكن أن يروّجوها عن أنفسهم لأن النظام الإيراني نظام يقول عن نفسه أنه إسلامي، وبالتالي فإن أيّ إنتاجات درامية ستتناول وقائع أغلبها كان في المنطقة العربية، وبهذه الكيفية، فإن أغلب المضامين التاريخية للدراما الإيرانية فيها قراءات مبنية على معتقد أيديولوجي وطائفي من شأنه أن يؤثر في المتقبّل العربي ويخلط عليه الأوراق ويزيّف له الحقائق، خاصة وأن الأعمال الإيرانية تنزع دوما نحو الحديث عن الأنبياء والأحداث الدينية التاريخية التي يمكن أن تؤثر مباشرة على المتقبّل العربي باعتباره ميالا بالفطرة إلى التديّن.

وفي خط موازٍ، أنتجت شبكات التلفزيون الإيرانية وخاصة منها المرتبطة بالقطاع الخاص، المئات من المسلسلات الدرامية العصرية عالجت موضوعات هامة، لكنها في الغالب تختص بالمجتمع الإيراني مباشرة ولم تنجح في الوصول إلى قلب المشاهد العربي ووعيه، لا سيما وأنها تاهت في دوامة الصراع على ترجمتها أو دبلجتها إلى العربية الفصحى أو إلى العامية العراقية، أو إلى العامية الخليجية، أو إلى العامية اللبنانية، وهو ما خلق جدلا في أوساط التلفزيونات الرسمية أدّى في الغالب إلى عدم وصول هذه المسلسلات للمشاهد العربي.

ومن باب المقارنة بين البلدين الجارين، فقد دخلت المسلسلات التركية على الجمهور الإيراني في بيته من خلال القنوات الفضائية التي تلتقطها أجهزة الستلايت المخفية بعناية في أبراج الطيور على أسطح منازل الإيرانيين. وتقوم شبكة "جيم تي في" الإيرانية الدولية، التي يوجد مقرها الرئيسي في لندن وتمتلك مكتبا في دبي ومكتبا شبه علني في طهران، بترجمة المسلسلات التركية وتتولى بثها إلى الجمهور الإيراني في داخل إيران وإلى نحو 5 ملايين إيراني مهاجر في أنحاء العالم (في الولايات المتحدة وأوروبا بالدرجة الأولى). وهذه المسلسلات التي تبث على مدار اثنتي عشرة ساعة في اليوم تُغرق وعي المشاهد الإيراني ونجحت إلى حد كبير في جذبه بعيدا عن برامج وزارة الإرشاد والثقافة الإسلامية التي لا تغادر حدود ولاية الفقيه.

وبخصوص المسلسلات التاريخية العربية، فما يؤخذ عليها بشكل عام هو محاولة منتجيها تقليص قائمة النفقات، مما يُظهر الأداء هزيلا وغير مقنع للمشاهد الذي يقارن بين ما يراه في التلفزيون العربي وبين ما تعرضه أجهزة التلفزيون الدولية عبر الفضائيات، وما تضخّه شركات الإنتاج التلفزيونية التركية المتفوقة في هذا المجال، حيث تفتقد المسلسلات العربية وخصوصا التاريخية منها بالدرجة الأولى إلى القدرة على الإقناع. فالممثلون يتحدثون بلغة فصحى مفتعلة في الغالب ولا تدخل وجدان المشاهد، والقلاع الخشبية وصخور الفلين والإسفنج المطلية بألوان فقيرة والسيوف البلاستيكية والدروع المطاطية والأحزمة غير الجلدية تثير قرف المشاهد وتدفع به إلى تغيير القناة دون انتظار ما ستسفر عنه الأحداث. كما أنّ افتقار السيناريو التلفزيوني الدرامي إلى نصوص تاريخية مكتوبة بشكل مثير يُقنع المشاهد حتى إذا تجاهل دقتها يمثل سببا آخر لفشل المسلسلات التاريخية في التلفزيون العربي. وهذا الغياب العربي التلفزيوني هو الذي دفع بالمشاهد إلى الارتماء في أحضان المسلسلات التركية، فالمنافسة هنا شبه معدومة وليس أمامه سوى خيار واحد.

عربية تحمل وسام «السيدة القائد» تساهم في إنقاذ اقتصاد العالم

نعمت شفيق

أول امرأة في تاريخ إنكلترا تتولى منصب إدارة كلية لندن

عبدالله مكسور

❑ **بروكسل** – لن تكون لحظة عادية بالنسبة إليها، فهي المرة الأولى التي ستجلس فيها امرأة من أصول مصرية على كرسي عمادة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة لندن بالمملكة المتحدة. مشوار طويل جداً قطعته المرأة التي نالت العديد من الألقاب قبل خطوتها الأخيرة.

تُعرف باسمَيْن وتحمل ثلاث جنسيات وتتقن العربية والإنكليزية والفرنسية، وكانت قد تبوأت مناصب دولية في منظمات عالمية قبل أن يختارها السلك الأكاديمي في جامعة لندن لإحدى أكثر المهام حساسية فيها.

> شفيق تعرف باسمين وتحمل ثلاث جنسيات وتتقن العربية والإنكليزية والفرنسية، وكانت قرارات التأميم في مصر عاملا حاسما في حياة عائلتها التي انتقلت إلى أميركا أواسط ستينات القرن العشرين

نعمت طلعت شفيق أو مينوش شفيق ولدت في الإسكندرية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط في العام 1962 لعائلة ثرية سرعان ما خسرت كلّ شيء عقب قرار التأميم الذي قامت به الحكومة المصرية في عهد الرئيس جمال عبدالناصر.

لماذا يوجد فقراء

عاشت طفولتها الأولى في الإسكندرية حيث التحقت لسنوات قليلة بالمدرسة الأميركية الداخلية المعروفة محلياً باسم "شدس". قبل أن تترك عائلتها مصر أواسط ستينات القرن العشرين متجهة نحو الولايات المتحدة الأميركية، حيث نشأت شفيق حتى السنة الأخيرة بالمرحلة الثانوية التي أنهتها في مصر والتحقت عقبَها مباشرة بالجامعة الأميركية في العاصمة المصرية لتمضي عاماً واحداً فيها ولتنتقل مباشرة إلى جامعة ماساتشوستس.

حصلت على درجة البكالوريوس في الاقتصاد والعلوم السياسية، لتدخل مباشرة سوق العمل المهني عبر الوكالة الأميركية للتنمية الدولية من خلال بوابة الشرق الأوسط. أمضت عامين متتاليين في مكتب القاهرة، لتنتقل بعد ذلك إلى العاصمة البريطانية لندن حيث أكملت دراستها الأكاديمية منهية درجة الماجستير في الاقتصاد من كلية لندن ثم الدكتوراه من كلية سانت أنتوني في جامعة أكسفورد.

السؤال الذي رافق شفيق طيلة مسيرتها الأكاديمية والمهنية هو "لماذا يوجد فقراء وأغنياء"، سؤال سكنَها منذ طفولتها

التي تحوَّلت بفعل قرار التأميم وصولاً إلى انضمامها إلى صندوق النقد الدولي بعد تخرجها من أكسفورد، حيث شغلت فيه العديد من المناصب بدءاً من قسم الأبحاث، واهتمت بالاشتغال على النمذجة والاستشراف الاقتصادي العالمي ومن ثم في وقت لاحق على أثر القضايا البيئية على الاقتصاد الوطني والعالمي، صبَّت اهتمامها البحثي عقب ذلك على منطقة أوروبا الشرقية والشرق الأوسط ونشرت العديد من الكتب والدراسات والمقالات حول الواقع والمستقبل الاقتصادي وآليات اقتصاديات السلام وأسواق العمل والتكامل الإقليمي وقضايا النوع الاجتماعي.

في العام 2004 ونتيجة لأبحاثها واشتغالها المميز استطاعت أن تكون أصغر نائب لرئيس صندوق النقد الدولي وهي في عمر 36 سنة، فبدأت منذ تولّيها ذلك المنصب بتنشيط عمل البنك في القطاع الخاص والاستثمار بالبنى التحتية من خلال استراتيجيات تستند إلى أسس علمية. واستطاعت من خلالها رفع أداء محفظة المشاريع بقيمة 50 مليار دولار فضلاً عن نمو محافظ المشاريع الأخرى بقيمة مليار دولار أميركي سنوياً.

في ذات السياق اشتغلت شفيق على إدارة فريق الإدارة العليا لصندوق النقد الدولي حيث اقتصرت مهمتها هناك في بادئ الأمر على تقديم أفضل المشورات في مجال السياسات والاستثمارات الخاصة في قطاع الاتصالات والنفط والتعدين والغاز في العالم.

الطريق إلى بنك إنكلترا

نشاطها ذاك جذب إليها الأنظار، إذ اشتغلت إلى جانب وجودها في صندوق النقد الدولي، أميناً عاماً دائماً في إدارة التنمية الدولية التابعة لحكومة المملكة المتحدة في بريطانيا، واستطاعت من خلال منصبها ذاك تجاوز الكثير من الصعاب في دورة الاقتصاد المحلي والعالمي المرتبط بالشأن البريطاني، من خلال إيجاد الحلول الناجعة وتطبيقها في أقصر مدة زمنية.

هذه الجهود المتتالية هي التي دفعتها للحصول على لقب "سيدة العام" في بريطانيا، وهي التي دفعتها أيضاً للوقوف في قصر بيرمنغهام في عيد ميلاد الملكة إليزابيث الثانية التي منحتها رتبة "السيدة القائد" وهو أحد أرفع الأوسمة التي تمنحها المملكة باسم الملكة لخمس طبقات من بينهم العسكريون والمدنيون على حد سواء بحسب وسائل إعلام إنكليزية.

مركز القرار في بنك إنكلترا كان الوصول إليه سهلاً أمام شفيق، فملف إنجازاتها كان يسبق حضورها ويجعلها طموحة لأيّ جهة عالمية كي تكون فيها، وهذا ما حدث. فبعد أن أنهت التزامها مع الحكومة البريطانية كأمين عام لإدارة التنمية الدولية، تبوأت شفيق منصبها الجديد كنائب محافظ البنك المركزي في إنكلترا لتكون رابع سيدة تشغل هذا المنصب منذ تأسيس البنك في عام 1964. إلى جانب وجودها في لجنة السياسات النقدية في بنك إنكلترا، حيث تتركز إحدى مهام هذه اللجنة في تحديد أسعار الفائدة وتتكون من تسعة أعضاء بينهم امرأتان إحداهما المصرية نعمت شفيق وهما أول امرأتين تستحوذان على هذا المنصب منذ خروج المصرفية البريطانية كيت باركر من البنك في العام 2010. مهامها في بنك إنكلترا كانت تنصبّ على إعادة تشكيل عمليات البنك والميزانية العمومية وتنفيذ الإصلاحات الاقتصادية المتعلقة بالعملة الوطنية البريطانية، فضلاً عن دورها في إدارة الأزمات والمخاطر وتقديم الدراسات الخاصة بالموازنة بين حاجة السوق وخطط البنك، والتواصل مع صندوق النقد الدولي وتمثيل إدارتها في المؤسسات الدولية وفي مشاركات البنك الدولية.

بين أقوى نساء الكوكب

نظراً لإسهاماتها العديدة في مختلف الاتجاهات اختارت مجلة فوربس شفيق لعامين متتاليين في 2015 و2016 ضمن قائمة النساء الأكثر نفوذاً في العالم، ومع اقتراب انتهاء عقدها مع بنك إنكلترا الذي يمتد لخمس سنوات، بدأت المؤسسات البريطانية تسعى لاستقطاب شفيق لمكانتها العلمية والأكاديمية والمهنية، لتتفق أستاذة الاقتصاد مع كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية على شغل منصب الإدارة فيها بدءاً من فبراير عام 2017، ولتكون بذلك المدير رقم 16 للجامعة والمرأة الأولى التي تتولى هذا المنصب في تاريخ إنكلترا.

قالت شفيق لوسائل إعلام بريطانية عن منصبها المرتقب "إنه من المستحيل أن تقاوم فرصة قيادة جامعة عريقة على مستوى عالمي كمدرسة لندن للاقتصاد والسياسة، والتي تعدُّ من أفضل المدارس التي تجري بحوث العلوم الاجتماعية والتدريس"، فالسعي نحو مؤسسة تجمع بين التميز الفكري والوصول إلى العالمية يمثل لحظة تحدّ ترغب شفيق في خوضها على حد تعبيرها.

إنقاذ اقتصادات العالم

تم تعيين شفيق في ديسمبر الماضي إلى جانب أربع شخصيات أخرى هم الرئيس التنفيذي والعضو المنتدَب لشركة ألينز إليزابيث كورل، ورجل الأعمال البريطاني ورئيس لجنة الاستثمارات بجامعة أكسفورد السير بول رودوك، ومدير سلسلة متاجر ويتروز مارك برايس والكاتبة والصحافية البريطانية موريل جراي، في منصب عضو مجلس أمناء المتحف الوطني البريطاني بقرار من رئيس الوزراء البريطاني السابق ديفيد كاميرون.

وقبل ذلك أشرفت بحكم عملها الذي استمر ما يقارب خمسة عشر عاماً في صندوق النقد الدولي على إعداد برنامجي إنقاذ اقتصادي مكثّف لليونان والبرتغال عقب الأزمة المالية الخانقة التي كادت تطيح باقتصاد البلدين. إلى جانب وجودها كمحافظ بالمعهد الوطني البريطاني للبحوث الاقتصادية والاجتماعية، واشتغالها الأكاديمي في كلية وراتون لإدارة الأعمال، وفي كلية الاقتصاد بجامعتي جورج تاون وبنسلفانيا.

كثيرة هي الآراء التي قيلت في نعمت شفيق والتي تتقاطع في ما بينها بالإعجاب والتقدير لهذه المسيرة المهنية الناجحة، فقد وصفها كثيرون بأنها "فولاذ حديدي داخل قفاز حريري"، في إشارة إلى شخصيَّتها الصلبة في الإدارة حيث امتلكت الوصفة السحرية في دمج السحر مع الطموح ومواجهة أصعب الملفات الاقتصادية وتقديم الحلول الناجعة لها، بينما قال مارك كارني محافظ البنك المركزي البريطاني عقب قرار شفيق الانتقال بعد انتهاء عقدها مع البنك إلى رئاسة كلية لندن "سوف نودِّع نعمت مع كل الامتنان والندم، لقد ساعدت في دفع الإصلاحات الحيوية في البنك خلال جميع المراحل المحلية والدولية".

> مارك كارني محافظ البنك المركزي البريطاني يقول عقب قرار شفيق بالانتقال إلى رئاسة كلية لندن بعد انتهاء عقدها مع البنك «سوف نودع نعمت مع كل الامتنان والندم، لقد ساعدت في دفع الإصلاحات الحيوية في البنك خلال جميع المراحل المحلية والدولية»

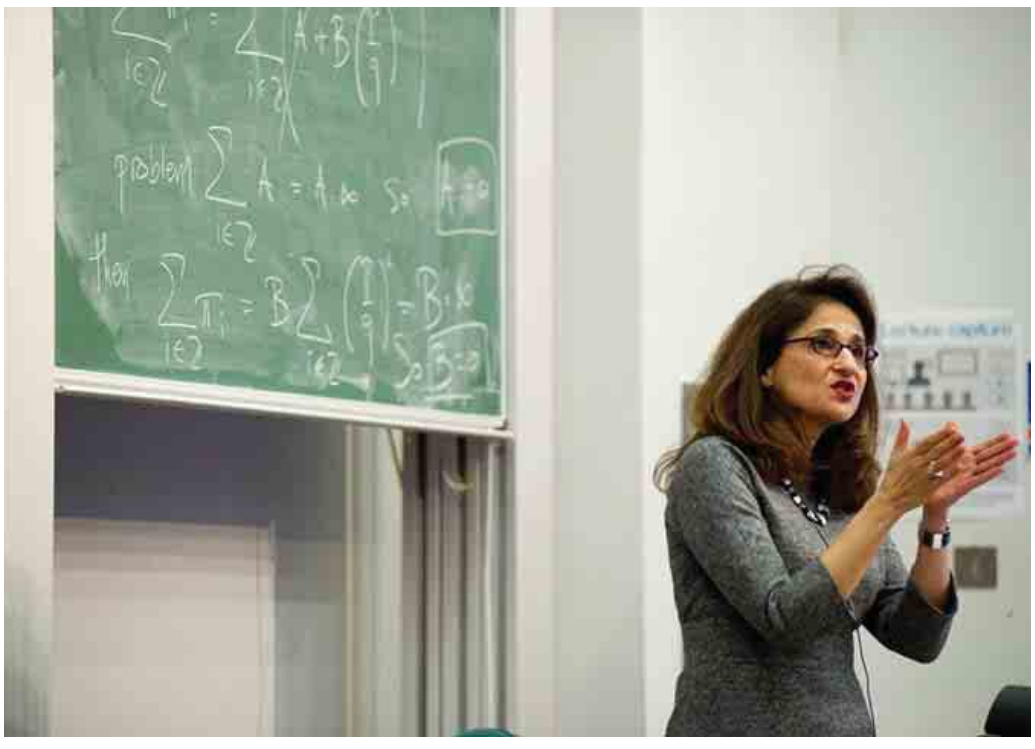

● أعضاء لجنة السياسة النقدية لبنك إنكلترا وبينهم نعمت شفيق التي وصفها كثيرون بأنها "فولاذ حديدي داخل قفاز حريري" سواء في حياتها الأكاديمية أو المهنية الاستشارية.

كاتب فجر الرواية الجديدة يغادرنا إلى كونه الثري

ميشيل بوتور
تغيير العالم عبر شعرية اللغة

زويا بوستان

❏ أنقرة – يخال من يشاهده للوهلة الأولى متحدثاً عن الأدب والكتابة على شاشة التلفزيون الفرنسي أنه فيكتور هيغو كاتب رواية "البؤساء" المعروفة لما بينهما من ملامح مشتركة وخاصة في لقاءاته الأخيرة التي سبقت وفاته هذا العام في الرابع والعشرين من شهرأغسطس، ولكن سرعان ما يعرف المتابع لكلامه أنه صاحب رواية "التعديل" الشهيرة ميشيل بوتور.

وُلد ميشيل بوتور في الرابع عشر من سبتمبر عام 1926، في إحدى ضواحي مدينة ليل الفرنسية، ثم انتقل مع عائلته إلى باريس التي درس في جامعتها السوربون مادة الفلسفة، ثم درّسها في المدرسة الوطنية في جنيف خلال عام 1950 وهو نفس العام الذي شهد ولادة تيار الرواية الجديدة كحركة أدبية متمردة على الشكل الموروث لرواية القرن التاسع عشر في فرنسا والتي أصبح بوتور ذو الميول اليسارية فيما بعد واحداً من أهم روادها الفرنسيين.

تنقلات بوتور الكثيرة كمدرّس للغة الفرنسية في مصر وبريطانيا واليونان وسويسرا ساهمت في إغناء تجربته الكتابية الرائدة ولو أنها اقتصرت على أربعة أعمال روائية هي "ممر ميلانو" (1954)، "جدول الوقت" التي صدرت عام (1956) وحاز عنها جائزة فينيون في العام التالي، و"التحول" (1957) التي نال عنها جائزة "رينودو".

توقف النقاد كثيراً عند هذه الرواية التي لم تكن مفصلية في سياق أعمال صاحبها فحسب، بل اعتبروا أنها ركن من أركان التحولات التي شهدها عالم الرواية الفرنسية في وقتها، وقد كان لافتاً أن تعاطي المهتمين معها ركز وبشكل كامل على التحولات في السياق السردي الذي صنعه بوتور، حيث نسف فيها بنى الرواية التقليدية، جاعلاً من الحكاية فيها عتبة تنهض من خلالها مراجعات الذات في السياق الزمني الذي اعتمده كإطار للسرد. تجول الرواية في قصة رجل عدل عن تنفيذ مشروعه الذي عزم عليه، وهو التخلي عن زوجته وأطفاله، والعيش في روما مع عشيقته، أثناء سفره من باريس إلى روما.

> الرواية بالنسبة إلى بوتور هي مكان لقول الشعر والفلسفة كما يمكن للشعر أن يكتب بأنماط مختلفة غير مرتبطة بالشعر التقليدي، وهكذا ترتبط الكتابة ذاتها، بالرسم والموسيقى والتصوير حتى تشكل في المحصلة ما يسميه «الكتاب الموضوع»

أنتم والرواية الجديدة

استعمل بوتور ضمير "أنتم" تكراراً من خلال جمل طويلة ملتفّة، بما يوحي بمجهود لدعوة القارئ إلى التماهي مع محتوى وعي خيالي، هذا الاستخدام لضمير المخاطب بصيغة الجمع جعل من قراءة رواية "التعديل" تجربة فريدة وأخاذة للقراء الذين لديهم استعداد أكبر لقراءة أكثر انتباهاً وتورطاً، بحيث يستمرون في الإمساك بسياق الرواية للاستفادة الكاملة من التغيير الذي سيطرأ على مسار تفكير بطل الرواية لوي ديلمون.

ترجمت رواية "التعديل" إلى عشرين لغة، ولا تزال إلى يومنا هذا الأكثر قراءة من بين أعمال "الرواية الجديدة"، وقد تمت قراءة تفاصيلها بشكل دقيق على كل المستويات حتى صارت ملعباً من ملاعب القدرة على التحليل السردي وقراءة البنية النفسية للشخصيات، وقد أشار بعض من عرفوا بوتور إلى ارتباط عالمها بتفاصيل من حياته الشخصية، فالأحداث تجري في طريق السفر، أي في ذات المساحة التي طالما عشقها المؤلف، وفي الوقت نفسه يتذكر أصدقاء المؤلف أن والده كان يعمل موظفًا في هيئة السكك الحديدية الفرنسية، وهو عنصر تأثير اعترف به المؤلف بحسب شهادة فوزية العشماوي، أستاذة الأدب العربي الحديث السابقة بجامعة جنيف، التي سبق لها أن عملت مع بوتور في نفس الجامعة.

بوتور المسافر عاشق الأمكنة

في نهاية خمسينات القرن العشرين كتب بوتور كلمات أغان لعدد من الملحنين ولا سيما منهم هنري بوسور في تجربة كان يعود بين حين وآخر إلى تكرارها حتى منتصف تسعينات القرن الماضي. كما أصدر سلسلته الشهيرة عن البلدان التي زارها والتي احتوت في قسمها الأول "عبقرية المكان" في العام 1958 مقالات مطولة كوجوه لسبع مدن متوسطية هي: قرطبة في أسبانيا، وإسطنبول في تركيا، وسالونيكي، ودلفي، وماليا في اليونان، ومنتوفا وفراري في إيطاليا. بينما جاء جزؤه الثاني مصرياً في كامل تفاصيله.

وقد توقف كثيرون عند تجربة بوتور في الكتابة عن المكان، حين أشاروا إلى طبيعته كتابته التي جاءت بعيدة كل البعد عن التعليقات الرتيبة المتغزلة بالطبيعة والتي غالباً ما كانت تهيمن على هذا النوع من النصوص.

وقد دار جدل دائم بين النقاد حول أيّ من عملي بوتور يقدمه للقرّاء أكثر، رواية "التعديل" أم عمله "عبقرية المكان"، لا سيما وأنه مارس في كتابه الأخير هذا نقد الجغرافيا ورفعه إلى مستوى الأعمال الفنية، ذاكراً دائماً أن المدن ليست معجزات طبيعية وإنما هي حصيلة أعمال البشر.

نجد قصوراً رفعت بأوامر من الأباطرة قبل أن يهدمها الغزاة، أنشأ فيها النحاتون أيضاً تماثيلهم وكتب الكتاب عنها مؤلفاتهم. وهنا كان لميشيل بوتور، وبحسب تقديم دار النشر لكتابه أن يسجل له وجود في ذاكرة الأماكن، ولهذا نجد بورخيس ونحن نعبر أزقة سالونيكي، ونلتقي بابن رشد في قرطبة، وفيليب المقدوني جالساً على أنقاض دلفي، هذه هي الأماكن كما هندسها ميشيل بوتور.

وما إن انتهى عقد الخمسينات من القرن الماضي حتى كان بوتور قد اختتم اشتغاله في عالم التأليف الروائي في العام 1960 حينما أصدر رواية "درجات" التي أنجز فيها عملية القطع النهائي مع الشكل التقليدي للرواية، حيث يحاول ثلاثة رواة مختلفين سرد وقائع حصة دراسية يقوم فيها أستاذ بشرح قصة اكتشاف كريستوف كولومبوس للقارة الأميركية.

ورغم حصوله في ذلك العام على جائزة النقد الأدبي عن كتابه "ريبرتوار" إلا أن الرجل الذي استشعر قيام النقاد والقراء على حد سواء بتأطيره، كان يطمح إلى مغادرة هذه الزاوية التي رأى أنها تضيق عليه. فقرر مغادرة المكان باتجاه عوالم مختلفة فبدأ بالتجوال في أنحاء العالم على هامش عمله بالتدريس منذ عام 1960 في جامعة أميركية، وتحوله للتدريس في جامعة نيس الفرنسية، وصولاً إلى عمله لفترة طويلة مدرساً لمادة الأدب الفرنسي في جامعة جنيف السويسرية.

كانت الرواية بالنسبة إلى بوتور هي مكان لقول الشعر والفلسفة كما يمكن للشعر أن يُكتب بأنماط مختلفة غير مرتبطة بالشعر التقليدي، وهكذا ترتبط الكتابة ذاتها، بالرسم والموسيقى والتصوير حتى تشكل في المحصلة ما يسميه "الكتاب الموضوع".

وضمن هذا السياق تنوعت مؤلفات بوتور وكتاباته، حتى باتت أكثر من أن يتم تعدادها ببساطة. فقد دأب خلال نصف قرن من الزمن على كتابة سلسلة من المنشورات المتعاقبة التي كان يصنفها بحسب نوعها، والتي كانت تسمح له بتقديم وصف حقيقي وعقلاني للعالم، وبحسب صحيفة لوموند فقد كان كل شيء يحرّض حواسه: قطعة عشب، متحف، ورشة، ألبوم صور، مكان مقفر، عمل يدوي، أو بناء هندسي. كل شيء كان يعيد إحياء تذوق اللغة وواجب الوصف الذي لا ينتهي.

كان يلعب بالكلمات بكل فرح وإحساس ولكن دون سطحية. فبوتور لم يكن شاعر تدفق غنائي بقدر ما كان شاعر تشكيل.

ارتجالات بوتور

في المجال الشعري الذي دوّن فيه 30 كتاباً، كتب النقاد عن قصيدة بوتور أنها قصيدة ملحمية، لا ترتبط بشكل خاص بفضاء اللغة الذي يتجلى في قصائده من خلال الرؤى الشعرية، وكحال صديقه جورج بيرو يعتبر بوتور من الشعراء النادرين الذين يستخدمون الضمائر الشخصية مثل "هو" و"هي" و"هم". هذه الظاهرة التي تحدث عنها اللغوي إميل بنفينيست، فبوتور أعاد فتح طريق الشعراء الرواد في بدايات القرن العشرين مثل غيوم أبولينير وبليز ساندرار.

كتب الكثير من التفاصيل عن السنوات الأخيرة من حياة بوتور، وقد باتت التفاصيل معروفة من الناحية العامة، ولكن الثابت في الأمر أنه اعتكف جزئياً في منزله الريفي الكبير بمنطقة أوت سافوا على الحدود الفرنسية السويسرية، محاطاً بكتبه وقد أخذت ملامحه تظهره بمظهر الناسك الحكيم أو كالبطريرك أو كالفيلسوف قاستون باشلار الذي كان يبحث مثله عن تعريف عام لشعرية العالم من كل مدخل ممكن لأنه وبحسب تعبيره فالمرور عبر اللغة هو أحد أهم طرق تغيير الواقع.

في العام 1998 نال بوتور جائزة شاتوبريان، عن عمله "ارتجالات عن بلزاك"، وفي عام 2006 حصل أيضاً على جائزة ملارميه، عن عمله "16 ثريا"، كما كرست له مكتبة فرنسا الوطنية معرضاً خاصاً له، وبعد عام حصل أيضاً على جائزة الشعراء الكبرى، ثم نال جائزة الأدب الكبرى من الأكاديمية الفرنسية عن مجمل أعماله، كما حصل على جائزة الشعر الكبرى في هذا العام 2016.

رحل بوتور عن عالمنا بتاريخ 24 أغسطس الماضي.

> عالم بوتور نجد فيه قصورا رفعت بأوامر من الأباطرة قبل أن يهدمها الغزاة، أنشأ فيها النحاتون أيضاً تماثيلهم وكتب الكتاب عنها مؤلفاتهم. ونجد بورخيس ونحن نعبر أزقة سالونيكي، ونلتقي بابن رشد في قرطبة

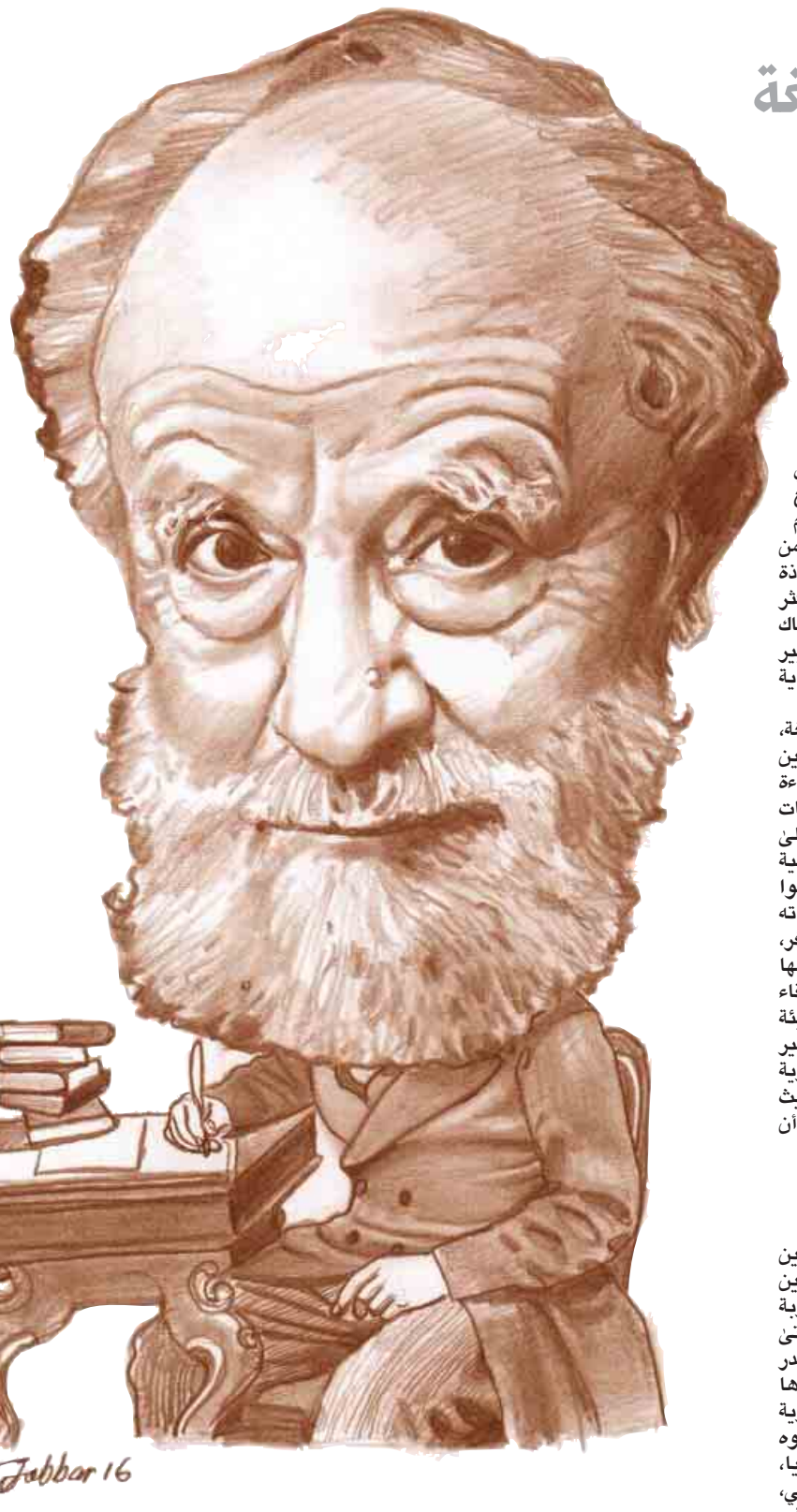

مطر على الحدود

شعر: ميشيل بوتور

❏ أيها المطر امح هذه الحدود من أجلنا، اغسل قاراتنا من هذه الجراح، نحن المجلودين بالسياط الدبلوماسية، بلطف متكلف، يجلدنا المهاريس المهذبون في جلساتهم المملة في الصالونات وفي الشقق الفخمة، المتلألئة بثرياتها التي تتدلى منها عناقيد بلورية، احملنا معك فوق رذاذك الرقراق في انطلاقتك الرتيبة نحو الحدود الأخرى، نحو حدود لا تنسجم مع أيّ خط ظاهر على خريطة، وما من جيش يحرسها ولا تحددها لافتة، إلى المناطق التي تتهاوى فيها حدود المعرفة تهاوي الشلالات في الهاوية الساحقة، فتتوهج المعرفة، أيتها الحدود الأخرى! أنزلي علينا شآبيب مطرك، ويا أمطار الحدود اغسلي

جراحنا وقروحنا، احملينا إلى الضفة الأخرى، اجلدي خمولنا بأسنتك، أذيبينا في نعيم الخلق والتبخر وانهمري مخترقة مسامات أجسامنا كلها وقيود الساعات.

* ترجمة: إميل حبيبي

● جدل دائم يدور بين النقاد حول أي من عملي بوتور يقدمه للقراء أكثر، رواية "التعديل" أم عمله "عبقرية المكان"، لا سيما وأنه مارس في كتابه الأخير هذا نقد الجغرافيا ورفعه إلىً مستوى الأعمال الفنية.

فنان مصري لا يرفع «الراية البيضا»

جميل راتب
عائدا من العالمية إلى المحلية

سارة محمد

❑ **القاهرة** – للممثل الشهير جميل راتب خصوصية حقيقية في مسار الفن المصري، تبدأ من تغيير المعادلة الشهيرة التي طالما استخدمها كثيرون لوصف الإنجاز الإبداعي للكاتب المصري العالمي نجيب محفوظ، وغيره ممن تخطوا الحاجز المحلي إلى الأفق العالمي، حيث يصبح الإغراق في المحلية طريقا للعالمية.

وسيتم تكريمه من قبل مهرجان القاهرة الدولي للمسرح المعاصر والتجريبي في افتتاح دورته الـ23 والذي تستمر أيامه حتى 30 سبتمبر الجاري، ضمن مجموعة من 6 مكرمين من دول مختلفة.

> المسار الذي اختاره السفير «مفيد أبو الغار»، وهذا هو اسم جميل راتب في أشهر أعماله الدرامية «الراية البيضا» بعد العودة إلى القاهرة أبعده كثيرا عن الطريق الذي بدأ به حياته بفرنسا، فالأعمال المسرحية المصرية في مشواره قليلة

كان راتب مغايرا في الطريق الفني الذي سلكه عن أقرانه، فلم يكن فتى سينما أول في مصر، بحثت عنه "هوليوود" فيما بعد، فمنحته شهرة عالمية، على غرار ما حدث مع النجم المصري العالمي الراحل عمر الشريف، ولم يكن مهيمنا على فضاء المشهد السينمائي لفترات طويلة تبدأ من مرحلة الشباب، كما حدث مع بعض أبناء جيله، مثل كمال الشناوي وشكري سرحان وحسن يوسف وغيرهم.

سحر الفن الأوروبي

كان بعيدا، يخطو أولى خطواته من هناك، من المركز الأوروبي في إنتاج الفن، حيث كان يعيش. فقد بدأ رحلته الفنية من فرنسا التي وقف فيها على أهم مسارحها، وعلى رأسها "الكوميدي فرانسيز"، واكتسب منها كثيرا من الخبرات التي جعلت منه نجما مختلفاً بعد عودته إلى القاهرة، ليبدأ فيها مرحلة جديدة من الشهرة المحلية التي بدأها أيضا من المسرح مع المخرج الراحل كرم مطاوع.

ثلاثون عامًا قضاها، صاحب التسعين عامًا الآن، بفرنسا بعد أن أقنع عائلته أنه يقوم بدراسة التمثيل بجانب دراسته الأساسية في كلية الحقوق، لكن عشقه للفن لم يطوعه أسيرًا لرغبة والديه، ما جعله يمكث في كلية الحقوق يومًا واحدًا فقط ليحسم بعدها مصيره في تطوير موهبته وإثقالها بالدراسة والعمل في العديد من الفرق المسرحية الصغيرة.

التجربة الفرنسية العالمية لدى جميل راتب لم تكن مجرد حياة أخرى، هرول بها من قيود العائلة التي امتنعت عن إرسال المصروفات له، عقب علمها بتركه لدراسة الحقوق، ليدخل النجم في مدرسة الحياة التي جعلته يمتهن بعض الأعمال من أجل توفير نفقاته الشخصية، حيث عمل "شيالا" أي حاملا للبضائع، و"جرسونا" في مطعم، وغيرهما، ما دفع بتغيير مسار خارطة طريقه التي ابتعد فيها عن الحياة الأرستقراطية التي نشأ عليها، وانتقل إلى واقع أكثر اتساقا بالمجتمع الذي تعلم فيه كيف يتقمّص روح شخصياته التي يلعبها، وأصبح الفن لديه ليس مجرد صورة يراها بالصحف والمجلات.

عالمية الثقافة

حلم الفنان يظل طوال حياته مشغولًا بالوصول نحو العالمية مهما تحقّق له من شهرة ونجاحات على المستوى المحلي، لكن الأمر يختلف في مشوار النجم المصري الكبير جميل راتب، ولا تزال قضية "العالمية" مثارا للجدل والاتهامات. فأغلب النجوم الذين عملوا في الخارج صاحبتهم سهام التطبيع مع إسرائيل، من قريب أو بعيد، وهي كانت واحدة من المحرّمات المصرية والعربية الخطيرة لفترة طويلة، غير أن المسألة مختلفة لدى الفنان المخضرم الذي لم تطله مثل هذه الحملات، حيث جاءت شهرته من الخارج في البداية.

العالمية في حياة جميل راتب لم تقتصر فقط على كونه فنانًا عمل في دولة أوروبية، لكن تواجده في فرنسا في منتصف الأربعينات من القرن الماضي، في أعقاب الحرب العالمية الثانية أتاح له الفرصة لتكوين ثقافته على جميع المستويات، بعد التحولات السياسية والاجتماعية العاصفة التي صاحبت المجتمع حينها، فقد أصبحت الأعمال الكلاسيكية تقدم بطريقة جديدة، كما برز ما يعرف بـ"مسرح العبث"، وظهرت الكثير من الفرق المسرحية منها "جان مولار" التي عمل بها الفنان، ما أسهم في ظهور الكثير من المؤلفين والمخرجين الذين نالوا شهرة مدوية في تاريخ المسرح العالمي فيما بعد، مثل صمويل بكيت، ويونسكو.

في العام 1951، جاء جميل راتب إلى مصر مع الفرقة الفرنسية الكوميدية "فرانسيز"، التي كان عضوا فيها، حيث قدّم عروضا مسرحية مختلفة، كما شارك في عرض مسرحية "الوريث" مع تلك الفرقة الفرنسية عام 1952 .

كان أداؤه لافتًا للأنظار، حيث نشرت بعض الجرائد الفرنسية في ذلك الوقت تقريرًا أشادت فيه بأدائه، وقالت "عندما يؤدي (راتب) دوره على الخشبة في مسرحية الوريث فإنه يخطف أنظار الحضور بأدائه القوي، وعينيه الحادتين". لكن المسار الذي اختاره السفير "مفيد أبو الغار"، وهذا هو اسم جميل راتب في أشهر أعماله الدرامية "الراية البيضا" بعد العودة إلى القاهرة أبعده كثيرًا عن الطريق الذي بدأ به حياته بفرنسا، فالأعمال المسرحية المصرية في مشواره قليلة، كان أولها ما قدمه مع المخرج الراحل كرم مطاوع بعنوان "دنيا البيانولا"، و"زيارة السيدة العجوز"، و"عائلة ونيس"، وعدد آخر من الأعمال المحدودة، وهو ما تناقض مع الشهرة الواسعة التي حققها حينها في السينما والتلفزيون.

لورانس العرب

ربما لم يكن اسم جميل راتب معروفًا على الساحة الفنية، فيما لو كرر نجاح تجربته المسرحية في فرنسا بالقاهرة، خصوصًا أن المسرح المصري ما زال لا يلقى حظه الوافر من الدعم الحكومي، مثل التجربة الفرنسية، فضلا عن انهيار الحالة المسرحية المصرية بداية من منتصف الثمانينات في القرن العشرين وحتى وقت قريب، في ظل سيطرة المسارح الخاصة على المشهد بما تحمله من ضعف القيمة والمضمون، واقتصار نجوم المسرح على أصحاب الأسماء المشهورة، والقيام بمسرحيات "معلبة" وبيعها في بعض الأسواق العربية.

اتصالًا بالحديث نحو العالمية، فإن النجم العالمي أنتوني كوين قدم تجربة متميزة أضافت رصيدًا من الأهمية في حياة راتب الفنية، فالصداقة التي نشأت بينهما من خلال فيلم "لورانس العرب" دفعت كوين للاعتماد عليه في أحد أفلامه التي جعل راتب فيها مساعدًا للإخراج، وعينًا أمينة له تراقب مدى جودة المشاهد التي قام بتصويرها للدرجة التي كانت تجعل فريق العمل يحسب له حسابًا كبيرًا.

ورغم الإغراق في المحلية عبر العشرات من الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية، التي شارك فيها جميل راتب، إلا أن "وهج العالمية" لم ينطفئ يوما، سواء عبر تقديمه أفلاما إنسانية الطابع تعالج مشكلات جوهرية في العالم مثل مشكلة الديمقراطية التي عبر عنها فيلمه الشهير"البداية"، الذي تعاون فيه مع الممثل الراحل أحمد زكي، وأخرجه الراحل صلاح أبو سيف في العام 1986، والذي شارك في مهرجانات عالمية مختلفة، وطرح فكرة الاستبداد في العالم الثالث على نحو فنتازي مؤلم وساخر في آن.

أو عبر الحضور العالمي لبعض الأفلام المصرية التي شارك فيها النجم جميل راتب، من قبيل ما حدث مع فيلميه "وداعا بونابرت"، و"عفاريت الأسفلت"، حيث عُرض الأول في مهرجان كان السينمائي الدولي في منتصف الثمانينات من القرن الماضي، وحظي مخرجه يوسف شاهين وأبطاله، ومن بينهم راتب، بإشادات مختلفة من صناع السينما في العالم.

كما نال الفيلم الثاني "عفاريت الأسفلت" الذي قام فيه راتب بدور سائق ميكروباص، ينتمي لطائفة من العشوائيين، البسطاء والسحرة والمجرمين في آن، بعض الجوائز وأهمها جائزة السيناريو في مهرجان الفيلم الأفريقي بجوهانسبرغ عام 1996 التي حصل عليها الكاتب مصطفى ذكري، كما فاز مخرج الفيلم أسامة فوزي بجائزة"جولدن برادو" في مهرجان لوكارنو السينمائي.

لم تتوقف التحديات في حياة جميل راتب عند حدود مغادرته العالمية إلى الأفق المحلي المصري والعربي، لكنها بدأت منذ زمن أبعد من ذلك بكثير، بدءا من وقوفه أمام عائلته ومواجهة رفضهم التحاقه بالفن، وتحقيق حلمه بالتمثيل، ومرورا بالملامح الحادة التي يملكها، بما تحمله من القوة التي يتسم بها وجهه، وهي كانت كفيلة بحصره في أدوار نمطية مكرورة، مثل أدوار الشر، فلم يستسلم جميل طيلة مشواره إلى تجسيد نمط أدوار الشر فقط مثل بعض النجوم الآخرين من جيله، كالفنان الكبير صلاح منصور، وربما كان ذلك بسبب الوعي الثقافي والخبرة التي اكتسبها خلال تواجده في فرنسا، وهو ما منحه روحًا انعكست على سياق أعماله.

استكمالًا لهذه التحديات فإن وقوف جميل راتب بجوار عدد من النجوم المصريين في بعض الأعمال الفنية حمّله كثيرا من التحديات التي دفعته ليكون نجمه ساطعًا بجوار هؤلاء، على رأسهم النجمة الراحلة فاتن حمامة التي كان يعلن دائما أنه "يعمل حساب الوقوف أمامها جيدًا"، فرغم الجاذبية التي كانت تتمتع بها سيدة الشاشة لكن النجم الكبير وضع بصمته أمامها مناصفة في الأعمال التي جمعتهما معًا، سواء كان ظهوره صغيرًا بها كما في مسلسل "ضمير أبلة حكمت"، أو كبيرًا مثل فيلم "ولا عزاء للسيدات".

هذا بالإضافة إلى التجارب الأخرى التي جمعته مع نجوم آخرين مثل محمد صبحي الذي قدّم معه واحدا من أهم مشروعاته على مدار مشواره الفني، حيث شاركا معا في مسلسل "عائلة ونيس"، الذي استمر للعديد من السنوات، وقدم مردودا تربويا وإنسانيا جيدا، أو الفنان عادل إمام عندما قدم معه فيلم "طيور الظلام" وقيامه بتجسيد شخصية الوزير التي تخطت أهميتها دور الزعيم إمام ذاته مع مرور منتصف الأحداث.

وربما انعكس هذا التماس المبكر لجميل راتب مع العالمية في اختياره "حي الزمالك" ذي الطابع الأوروبي للعيش فيه، ففي الوقت الذي يهرب فيه الكثير من النجوم للعيش في "الكومبوندات" الفاخرة، اختار النجم الكبير العيش في منطقة الزمالك بالقاهرة، بجوار النيل الذي يعتبره شرطا جوهريا لحياته هو شخصيًا.

الثورة والحريات

إرهاقه الصحّي وكبر سنّه لم يمنعاه من الاندماج مع المصريين والشعور بأوجاعهم، فشارك في أحداث الثورة، وله مقولة شهيرة في هذا السياق "سنظل نثور ونثور لو لم نصل للديمقراطية"، كما أنه يشعر بأن الشباب يعيش حالة من الاستسلام واليأس بسبب ضياع أحلامه وعدم تحقيق شيء منها على أرض الواقع.

وربما كان للتكوين الحر الذي حظي به جميل راتب، ونشأته الليبرالية في مجتمع مفتوح كفرنسا مؤمن بالحريات ومدرك لجوهرها الثري، أثره في قناعته المطلقة بأن الفنان لا بد أن تكون لديه علاقة بالسياسة والمجتمع، ويؤكد أن هذا الأمر ربما وجد طريقه عند بعض المخرجين الذين عمل معهم مثل صلاح أبو سيف، ويوسف شاهين، ويسري نصرالله الذي قدم معه فيلم "جنينة الأسماك"، حيث لا بد للفنان أن يكون مثقفًا في المقام الأول، لأنه يستطيع أن يخلق لذاته تفاصيل تساعده في تقديم شخصياته.

يعتبر راتب أن أهم النجوم الذين يقتربون من مصاف النجوم العالميين هما النجمان الراحلان محمود المليجي ونور الشريف، والممثلتان الكبيرتان سناء جميل ومحسنة توفيق، كما يعتقد أن منة شلبي من الجيل الحالي من أهم فنانات جيلها لكونها مختلفة وتعمل باجتهاد حقيقي وتبحث عن التميز دائمًا.

ربما يبدو الخروج من المحلي إلى العالمي أمرًا طبيعيًا، يحدث على نحو تكراري، والسينما المصرية قدمت أكثر من اسم لامع للعالمية، على نحو ما نرى لدى عمر الشريف، ومن الجيل الحالي سنجد عمرو واكد وخالد النبوي وخالد أبو النجا، والفنانة بسمة.

لكن المدهش هو البدء من العالمية ثم العودة إلى المحلية، وهي عودة تظل محفوفة بمخاطر عدم الشهرة في الداخل، وعدم التحقق، غير أن الإرادة الحقيقية للنجم المصري العالمي المحلي جميل راتب جعلته يعبر المسافات ويقفز فوق حواجز زمنية مختلفة، ليصبح واحدا من أهم فناني مصر، بتاريخه السينمائي والدرامي وأدائه الفريد المتنوع تنوعا خلاقا يليق بممثل كبير لا يزال يحلم بأن الفن قادر على تحرير العالم.

> التجربة الفرنسية العالمية لدى جميل راتب لم تكن مجرد حياة أخرى هرول بها من قيود العائلة التي امتنعت عن إرسال المصروفات له عقب علمها بتركه لدراسة الحقوق، فاضطر للعمل «شيالا» للبضائع ونادلا في مطعم. رغم أن الصحافة الفرنسية كانت تنشر أخباره

● تكريمه في مهرجان المسرح التجريبي اليوم، يقول عنه جميل راتب إنه بمثابة الفخر والشرف له، حين يكرم مع عدد من الرموز المسرحية مثل سميحة أيوب ومحسنة توفيق وهدى وصفي ومحمد صبحي والتونسي علي بن عياد.

رسام الجسد المحلق بخفته

محمد القاسمي
من أزرق السماء إلى صلصال الأرض

فاروق يوسف

❑ **لندن** – بسبب شغفه المجنون بالرسم نسي أن يدرسه. ابن مكناس الذي رأى فيلاسكز لأول مرة وهو في سن التاسعة عشرة، كان قد أصيب بهلع الرسم في وقت مبكر من حياته ولم يفارقه ذلك الهلع، بل على العكس تماما صار أسلوبه الشخصي في الرسم مرآة له.

الكادح في خدمة الجمال

كان يرسم كما يعيش. فكرته عن الرسم هي ذاتها فكرته عن الحياة.

أن يقف إلى جانب كبار جيله من الرسامين الذين درسوا الفن أكاديميا، محمد شبعة، فريد بلكاهية، محمد المليحي، فذلك حدث كبير أما أن يتقدم عليهم من جهة قدرته التعبيرية فذلك هو الزلزال الذي ضرب الحياة التشكيلية في المغرب.

ربما يكمن السر في ذلك أن محمد القاسمي لم يكن ابن صنعته. كانت موهبته أكبر من كل صنعة. تلك الموهبة التي تخطت الرسم إلى الكتابة والشعر، فقدمته باعتباره وحشا. لم يكن في حقيقته هنري روسو جديد. فالفرنسي روسو (1844– 1910) كان مدهشا في حدود فطريته وهي التي ألهمت فناني الحداثة الرغبة في اكتشافه، أما القاسمي فقد كان رائدا ومغيرا في ما طرحه من أفكار فلسفية، لا تتعلق بتقنيات الصورة وحسب، بل وأيضا بطريقة التفكير فيها.

بمعرضه عام 1969 في قاعة باب الرواح، وهي كبرى قاعات الرباط، احتل القاسمي مكانة متميزة في المشهد التشكيلي المغربي، وهو الموقع الذي حافظ عليه عبر سنيّ حياته التي تميزت بالكدح من أجل الجمال.

> سر محمد القاسمي يكمن في أنه لم يكن ابن صنعته. كانت موهبته أكبر من كل صنعة. تلك الموهبة التي تخطت الرسم إلى الكتابة والشعر، فقدمته باعتباره وحشا. لم يكن في حقيقته هنري روسو جديد

عن جدارة كان القاسمي عضوا في اتحاد كتاب المغرب، فهو شاعر متميز، غير أنه فضّل ذات مرة أن يقف رساما إلى جانب عبداللطيف اللعبي، الشاعر الذي قضى عشر سنوات في السجن بسبب أفكاره السياسية.

مأثرة القاسمي الحقيقية تكمن في أنه تخلى عن كل شيء من أجل أن يكون رساما. لقد انتصرت سلطة الرسم في النهاية على كل السلطات، غير أن "مكائد الحياة" وهو عنوان الكتاب الأخير الذي كان يعمل عليه مستعينا بقصائد اللعبي ولم يكمله قد انتصرت عليه.

إذا كان هناك فنان مغربي أكثر تمردا من القاسمي فأنا لم أسمع به.

القاسمي فنانا تفاعليا

ولد محمد القاسمي في مكناس عام 1942. لم تسمح له ظروفه المعيشية لدراسة الرسم أكاديميا، بالرغم من شغفه المبكر به. عام 1959 كان أول عهده في التعرف على تقنيات الرسم ومواده، حين شارك في دورة تدريبية للفن التشكيلي، نظمتها وزارة الشباب والرياضة. قبلها كان يتردد على مرسم إحدى الرسامات الأوروبيات وكانت مقيمة في مكناس. في سن التاسعة عشرة زار مدريد ورأى في متحف برادو الأعمال الأصلية للفنانين الأسبان التي سبق له وأن لوّنها بعد أن رآها في أحد الكتب مطبوعة بالأسود والأبيض. عام 1965 أقام أول معارضه وذلك في مدينة إقامته، غير أن انطلاقته الحقيقية بدأت عام 1969 حين أقام معرضه الأول في العاصمة.

انتسب في وقت مبكر من حياته إلى الجمعية المغربية للفنون التشكيلية واتحاد الكتاب في المغرب. وكان ناشطا في المؤسستين إضافة إلى دأبه على إقامة المعارض الشخصية والمشاركة في المعارض الجماعية، داخل المغرب وخارجه. فكان معرض الرواق المركزي بجنيف عام 1982 كما معرضه "مغارة الأزمنة الآتية" بالمركز الثقافي الفرنسي بمدينة الرباط عام 1993.

لم يثنه المرض الذي أودى بحياته عام 2003 عن إعلان موقفه المناوئ للحرب الذي شنتها الولايات المتحدة على العراق فنظم معرض "الإبداع في مواجهة الدمار والتخريب" الذي تنقلت لوحاته بين البحرين وبلجيكا وتونس والولايات المتحدة. إلى جانب الرسم، كتب القاسمي الشعر ونشر مقالات عن الفن في الصحافة المحلية.

كان ناشطا في مجال الدفاع عن حقوق الإنسان في المغرب كما اختير ضمن نخبة من الشخصيات الفكرية والفنية والعلمية لعضوية اللجنة التي أعدّت الميثاق الوطني لإصلاح نظام التربية والتكوين. عام 1990 أصدر كتابه الشعري "صيف أبيض" وفي عام 1994 صدر له كتاب "رياح بنية" بمشاركة الشاعر حسن نجمي.

كان القاسمي فنانا تفاعليا. وهو ما دفعه إلى تطبيق تجربة "المرسم المفتوح" التي تعلم أصولها من إقامته الطويلة في باريس. تلك التجربة تعني أن يقوم الرسام بفتح أبواب مرسمه للجمهور بضعة أيام في السنة ليتعرف ذلك الجمهور على ما خفي من أسرار العملية الفنية وليشترك مع الفنان في حوار مباشر.

لقد ربيت جسدي

اجتهد القاسمي في مجال تكوين شخصيته المعاصرة، فكان بالرغم من عدم دراسته الفنية الأكاديمية مثقفا كبيرا، هو على دراية ومعرفة بكل تفاصيل العملية الفنية وفلسفة وتاريخ الفن، غير أنه في الوقت نفسه لم ينكر التأثيرات التي مارستها البيئة الثقافية في مكناس على حساسيته الجمالية.

فحين يكون الحديث عن ذاكرته البصرية فإن الفنان يعود إلى طقوس الطائفة العيساوية التي كانت تقام حول ضريح الوليّ الصالح بالمدينة. لقد سكنت رايات المواكب كيانه لتسلمه إلى اللون الأسود الذي صار خلفية مفضلة للوحاته. هناك حيث يقيم لغز حياته ونشوته الروحية وخلاصة لغته.

في العودة إلى ذلك المصدر يمكننا أن نكتشف الكثير من أسباب التوتر الذي تميزت به لوحات القاسمي. لقد اندفع الفنان إلى بحثه عن الحرية انطلاقا من لحظة تحرّر من الجسد، وهو ما جعله يحرّر في أحيان كثيرة اللوحة من جسدها التقليدي. عصامية الفنان قادت الفنان نفسه إلى اختراع مفهوم "عصامية اللوحة". وهو ما دفع نقاد الفن إلى اعتباره فنانا تجريبيا، وهي صفة تخون القاسمي، من جهة إخلاصه لأصوله الروحية.

كانت الممارسة الفنية بالنسبة إلى القاسمي حركة مفتوحة على المجهول. لا أسلوب مسبق. "الأسلوب يأتي بعد الموت" كما يقول بيكاسو.

يقول القاسمي "لقد عودت نفسي أو بتعبير أدق ربيت جسدي على تلقي الأشياء في سخونتها وقتامتها وعنفها".

حرص القاسمي بحساسيته الجمالية الرفيعة على أن يكون جزءا من تاريخ المحاولة الحداثوية في المغرب، فكان أن وجد في الفنان المغربي الرائد الجيلالي الغرباوي (1930 ــ 1971) ضالته. يقول واصفا علاقته بالغرباوي "ربما أميل إلى جانبه أكثر.. لتعامله مع المادة واختراقه الأشياء وعدم احترامه للقوانين وللثقافات في مفهومها المبتذل.

القاسمي وأبوه المغربي

لو كان الغرباوي أميركياً أو فرنسياً أو ألمانياً لكان أباً لجيل ليس بالنسبة إلى المغرب فحسب، بل أيضاً على المستوى الدولي، وعمله لا يزال إلى الآن يتمتع بحيوية غريبة وقوية، ولهذا أضعه ضمن الرسامين الكبار في العالم العربي الذين أحسوا بأزمة المرحلة وبالتناقضات الاجتماعية والثقافية. الغرباوي لم يكن ترقيعياً، فهو لا يعطيك جزءاً من شيء كي يقنعك بأنه يشتغل على الأصالة والمعاصرة وبأنه يبحث. كان الغرباوي كلياً وشمولياً، ويحس بالأزمة ويترجمها فنياً".

ذلك رأي يمكنه أن يكون تلخيصا لفلسفة القاسمي في الفن. وهي فلسفة تقوم على أساس الحدس الشعري. كان الرسام عميقا في التزامه الإنساني، غير أنه لم يفرّط مطلقا بشروط بيعته للجمال. وهي بيعة لا تقبل النقض. لذلك كان فضاؤه يتسع.

كانت أصالته كما هي أصالة الغرباوي من قبله، أصالة معنى ولم تكن أصالة شكلية. كان القاسمي عروبيا من جهة التفاته إلى المشرق العربي. لا على مستوى العروض التي أقامها بل وأيضا على التماهي مع التجارب الفنية في العراق وسوريا ولبنان.

سيرة القاسمي في الفن هي مجموعة متلاحقة من التحولات التي يمكن أن تختصرها مقولة الفنان نفسه «إنني أنفتح على السماء وأراني أخترق الأزرق منها، وأراني أنحني لأشرف على الأرض فإذا هي صلصال، كل شيء يأخذني، فأنسى نفسي ولا أتمالكها».

الرواية العربية المفقودة

كيف يكتب الروائيون مآسي الحرب

عبدالله مكسور
كاتب من سوريا

❏ كيف يكتب الروائي عن الحرب وهي لم تضع كل حمولتها من الموت بعد؟، سؤال معقد الجواب عنه أكثر تعقيداً. إذ كيف يصف الكاتب ويعبر عن الآلام والمآسي التي تخلفها الحرب، أيا يكن توصيفنا لها، كيف يصف الكاتب المجازر بضحاياها وشهودها. هل يمكن لمن اختنقوا بالغاز أن يتكلموا في رواية الروائي. كيف ترسم مشهد طيّار يرى المدن من الأعلى ويتلذّذ بقصف من سكنها وهو من كان يمشي في الأمس القريب في شوارعها أو يتريض في رياضها؟ من أين سيأتي الكاتب بالأجوبة وكيف سيفسر الأفعال التي يصف؟.

فعلُ الكتابة عن الحرب وجولاتها وهي لا تزال تدور في جغرافيات متعددة يشبه إلى حد بعيد قرار القفز من مركب في دائرة بحرية مليئة بأسماك القرش، فالمُتغيِّرُ في الجغرافيا يسبقُ المشهد الثابت في الأدب، وإن كانت الرواية تحتاج كتابتها إلى أعوام، وفي أفضل الأحوال إلى ما يقارب العام من الإشتغال المتواصل عليها، فإن إنقلاب المشهد الدرامي في الواقع الحربي العسكري لا يحتاج أكثر من 30 ثانية أو ما يزيد على ذلك بقليل.

لا شكّ أن الحروب والثورات العظيمة لها أصداء في التاريخ اللحظي الآني، وانعكاسات تدفع بالكاتب أو الباحث إلى رسم خطوط وهمية لوضع الفواصل بين الأزمان المتتالية. لكنّ الفكرة هنا لا تغدو عملاً توثيقياً بقدرِ ما هي محاولة لسرد فصول المأساة، رغمَ تعدد الروايات. فالقاتل يحمل رواية، والضحية تحمل رواية مختلفة، والناجون من المجزرة يمتلكون رواية ثالثة، والمراقبون لكل ما يحدث لهم روايتهم الخاصة. وأمام سيل المعلومات المدعوم بالأدلة المُنتَمِيَة إلى كلّ طرف للتدليل على الصدقية فيها، فإنّ مهمة الروائي-كما أراها- تقف على مفترق طرق من خلال الإنعتاق من كل هذه السرديات الذاتية واستخلاص السيرة المفقودة للحرب، هذه السيرة تعتمد في جوهرها على الخلط بين جميع المرويات والعبث بقوانين الحياة الوضعية لرسم المشهد الأخير الثابت والمتحوِّل في الآن ذاته.

في الرواية التي تتحدَّث عن الحرب، كما هي شائعة اليوم في الأدب العربي، يكون الزمان غير متعاقب في التتالي المعروف، فهو خاضع لجملة من نقاط الإرتكاز في مخيلة الكاتب أوَّلاً، لذلك نراه غير محدد وخاضع لفعل التداعي الحر في التقديم والتأخير، بينما يكون المكان ثابتاً في الجغرافيا عابراً لقوانين الطبيعة في العمل الأدبي، وتكون الذات الكاتبة مُذابة في الإحساس الجمعي العام، رغم انطلاقها -غالباً- من تفاصيل البيئة التي وُلد ونشأ فيها الراوي.

في قلب هذا الجنون الذي يعصف بمنطقتنا العربية عموماً، تتضارب الروايات السياسية بين الضفاف المختلفة الممتدة عبر قارات العالم الخمس، وتستند تلك الروايات إلى مصالح دولية سياسية كانت أم إقتصادية، بدوره ينطلق العمل الأدبي، مهما اختلفت أساليب صياغته، من الواقع المتحرِّك في كينونته المركبة هي أيضا من عناصر الصراع الخاصة، فالقصيدة أو العمل المسرحي أو السرد الروائي يتَّخذ من أبطال جولات الحرب شخوصاً للمشاهد المتتالية، تلك المشاهد غالباً ما نراها تعبِّر عن صدقية عالية سواء على صعيد بناء الصورة أو الفكرة.

الكتابةُ الأدبية عن المأساة اليوم ليست محض اقتراب من الحرب عبر المخيلة وطريقة استعمال المعلومات المتاحة للكاتبة وحسب، بل هي ضرب أكثر قربا من ذلك، شيء يشبه اختبار الركوب في الدباب، والجلوس على مقعد الطيار، والتمدد على سرير معدني في مشفى ميداني يفتقد إلى أبسط أسباب النجاة، حتى ليكاد الكاتب أن يشعر بطعم الدم في ثنايا الحلق والمرارة في قعر البلعوم، هي أن تتخدَّر يداك بفعل " الكلبشات" الحديدية خلف ظهرك، وأن تنتظر كشخوص روايتك الأمل بالخلاص دوماً.

في الكتابة عن الحرب لا تملك ككاتب كل أقدار العمل أو نهايات الشخوص، فالأضداد المجتمعة في المشاهد المتعاقبة لجولات المواجهات العسكرية أو الإنسانية تضعك دون أن تشعر في بنية هرمية تضمّك إلى ملايين المقهورين لتصبح واحداً منهم، ون يكون القرار قرارك وحدك إذ ذاك، فالسُكنى بعيداً عن المدى المُجدي للقذائف أو الدائرة القاتلة للبرميل المُتفجّر لا تجعل الكاتب بعيداً عن التلطُّخ بالدم أو التعرض لإصابات حقيقية جرَّاء ما يحدث.

الروائي ليس قائداً عسكرياً للتغيير، والأديب لا يملك في جوهر مهمته التأثير في المشهد المتحرِّك المُتجاوز له، فأدواته تقوم على أن يلعب دور الراصد والمراقب والمتأمل في الوقائع الجارية وفي القدر الإنساني، وهذا ليس ناتجاً عن ضعف الأدب في ظل احتدام الصراعات المتعددة، بل لأن المخاض العسير للجغرافيا في المشرق العربي عموماً له شهود يتمثَّلون في الضحايا الذي يحمل كل منهم رواية خاصة في ذاكرته ومخيِّلته عما حدث.

التقيت بحكم عملي الإعلامي مع المئات ممّن عايشوا ما حدث ويحدث الآن من زوايا متعددة، كانت رواية الأحداث عندَهُم ثانوية أمام نتائجها، النتائج تتخذ صوراً عديدة لها، لاسيما أولئك الذين وجدوا انفسهم في مخيمات النزوح واللجوء على بوابات الوطن من الجهات المختلفة، تظهر جليَّة في ظلمة الليل على الشواطئ الغريبة وفي قلب القوارب المتهالكة، وفي الخطى المتلعثمة البدايات، المجهولة النهايات في الأوطان الجديدة. ورغم كل هذا الإضطراب إلا أنهم يروون بجرأة ودون تضليل ما حدث لهم وما كانوا شهودا عليه.

أمام حالة الشهود الأحياء الناجين من المجازر أتذكَّر مقاطع الفيديو التي كانت تتوالى من وكالات الأنباء العالمية إلى إحدى غرف الأخبار في محطة إخبارية عربية شهيرة حيث كنتُ واحداً من الجنود المجهولين خلف الكاميرات فيها، كنّا نقصُّ عن سابق إصرار وترصُّد الصُور التي لا تصلُحُ للبث، ليس لسوء في جودتها التقنية بل لأنها لا تناسب الظهور على شاشات التلفزة لدمويَّتها، هذا الفعل يُشبهُ تماماً لحظة رؤيتك على وسائل التوَاصل الإجتماعي صورة طفل غريق أو ناج تم انتشاله من تحت أنقاض بيت دمرتْه الطائرات، فتغمض عينيك كما لو كنت تستبعد الفكرة من أساسها وتشطبها من الوجود بإغماضة لا إرادية. لكن الواقعة حقيقية والمشهد حقيقي وكلاهما سيبقيان ساكنين الذاكرة والمخيلة لمن كانوا في مسرح الجريمة ما عاش الناجون وعاش الشهود.

مهمة الكاتب أخيراً أن يقهر الحرب وآلامها وينتصر للإنسان من خلال عمل أدبي يتجاوز بقيمه الجمالية واللغوية والفكرية زمن الحرب إلى الزمن كله، ويجعل، اخيرا، من هذه البرهة الاليمة في تاريخ الإنسان عبرة لا تنسى، ويمنح التاريخ الأدبي، كما فعل يوما تولستوي في "الحرب والسلام" أيقونة أدبية خالدة.

عدالة كسرى بين الحقيقة والأسطورة

باسم فرات
كاتب من العراق مقيم في الخرطوم

❏ نشأت في بيئة تتحدث عن عدالة كسرى، بل إنني كثيرًا ما سمعت جدتي وغيرها من كبار السنّ، يرددون هذا الكلام "ثلاثة لا تمسّهم النار وإن كانوا غير مسلمين، حاتم الطائي لكرمه، وعنترة بن شداد لشجاعته وفروسيته، وكسرى لعدالته". وأشهر القصص التي علقت بذاكرة الطفل الذي كنته، والتي تبرهن على عدالة كسرى، تتلخص في أن الأخير قام بقطع جسد ابنه إلى نصفين متساويين، وعلّق كل نصف على جهة من بوابة القصر أو المدينة، لأنه طغى وظلم واستهتر مستغلاً موقعه كابن لكسرى.

المنظر في غاية البشاعة أولاً، وثانيا، ما كان له أن يدخل النسق الاجتماعي الحكائي، لولا رؤية القصّابين (الجزارين) يعلّقون الخرفان والنعاج وباقي الحيوانات المسلوخة أمام دكاكينهم، هذه الصورة الأولية كانت محفزًا أوليًا، لأساطير تمّ خلقها لاحقًا، ولكي تكتسب صفة الديمومة، والتصديق وتجد لها مكانًا في الوعي الجمعي بلا رفض، إدخالها ضمن السردية الدينية؛ فما أسهل اختلاق الأحاديث ونسبتها إلى شخصية دينية لا يمكن الاعتراض عليها، وإلاّ اتُّهم المعترض بالمروق وربما الكفر.

كانت جملة "كسرى العادل" تحضر بقوة، لكن بطريقة عكسية، كلما قرأت كتابًا أو بحثًا عن أحوال المسيحيين في منطقة الهلال الخصيب، قبل الإسلام، فجرائم الملوك الساسانيين الفرس وعلى امتداد تاريخهم بحق شعوب المنطقة عامة والمسيحيين خاصة، تريك أن جملة "كسرى العادل" جملة موارية، أو نقيضية سلبية، وأعني أن الألقاب والصفات النقيضية في اللغة العربية، عادة إنسانية بل في غاية الإنسانية، لأنها ابنة بارّة للغة الحب الذي استحوذ على ستين مفردة (أي الحبّ) فيها.

أمثلة هذه الجمل أو الصفات أو الألقاب النقيضية عديدة، ولكن أكثرها حضورًا في الأنساق الثقافية والاجتماعية، البصير للأعمى، وعينه كريمة، أو كريم العين، للأعور، كأنموذجين حاضرين، وشخصيًا تعلمتهما وأنا في أول طفولتي، ولكن الصفات النقيضية السلبية، هي وصف سفاحين بالعدالة، وإلصاق كثير من جرائمه بآخرين سواه، أو تبريرها عبر استعمال الأدوات التي تستعملها اليوم مراكز البحوث والإعلام في توحيش وتهميج العدو، أي جعله متوحشًا همجيًا خطرًا للغاية على أمن الإنسانية، وهو ما حدث مع العراق بعد اجتياح صدام حسين للكويت، لكن صدام حسين ابتلع الطُعم وصدَّق أن لديه رابع أو خامس جيش في العالم.

في كتابه القَيّم "تاريخ الكنيسة الشرقية" يذكر الباحث ألبير أبونا، تفاصيل كثيرة عن جرائم ملوك الساسانيين بحق المسيحيين، وكذلك كتاب "الرواية السريانية للفتوحات الإسلامية" للباحث تيسير خلف، الذي اعتمد الوثيقة السريانية المعاصرة، مثلما يشير عنوان الكتاب، وممّا جاء في هذا الكتاب القَيّم والمختلف، والمبنيّ على وثيقة محايدة ومعاصرة، لا سيما وأن السريان خاصة والمسيحيين عامة، في منطقة الهلال الخصيب، قد تحولوا من حكم البيزنطيين والساسانيين، إلى حكم العرب المسلمين.

نوْجزها بما جاء في الرواية السريانية "وعامل كسرى الذين وقعوا تحت سيطرته بالقسوة، حتى إن اللسان ليعجز عن الحديث عن الضيقات والسلب والضرائب والسبايا والقتل التي حدثت في أعقاب انتصار كسرى الفرس.. بعد أن أدّب قورا، (مدينة) الرّها، ونهبت فضة الكنيسة القديمة وآنية الكنائس كافة، والفضة المحلاة بها والمذابح وقبة المذبح وأعمدته الأربعة والأعمدة الأخرى، وأرسل إلى كسرى أكثر من مئة ألف رطل، أمر كسرى أن يسبئ الرهاويون إلى فارس بالسرعة الممكنة".

نصّ معاصر للأحداث، يناقض ما علق ورسخ في الذاكرة الجمعية عند العرب المسلمين، النص موثّق عند المغلوبين، في حين الكلام عن عدالة كسرى، مزاعم لبست لبوس الدين، ولا أدلة تُثبتها، لا سيما وأن الأمر لا يتعلق في النص المعاصر أعلاه، والذي يصف قسوة كسرى في تعامله مع مَن وقع تحت سيطرته بالقول "إن اللسان ليعجز عن الحديث عن الضيقات والسلب والضرائب والسبايا والقتل التي حدثت في أعقاب انتصار كسرى الفرس"، بتغييب هذه الحقائق تمامًا، وتلفيق سردية تتحدث عن "عدالة كسرى الفرس" أو "كسرى العادل" فقط، وإنما بترحيل هذه الجرائم إلى شخصيات عربية مسلمة، وهو ما حفلت به كتب التاريخ عن دموية رموز عربية اتصفت بحنكة عسكرية واضحة، ساعدها عاملان، الأول: اندفاع العرب بعقيدة جديدة يؤمنون بسماويتها وأنها خاتمة الرسالات السماوية، ورحمة للعالمين، والعامل الثاني: إنهاك الإمبراطوريّتين لبعضهما بالحروب، وما سببه من خراب في البشر والأرض، نجد تفاصيله في تاريخ ميخائيل الكبير، الجزء الثالث.

> لا صعوبة يواجهها الملفق حين يدخل ما يريد إدخاله ضمن كتب دينية، أو موسوعات في معظم صفحاتها تعالج التاريخ الإسلامي

لا صعوبة يواجهها المُلفّق حين يدخل ما يريد إدخاله ضمن كتب دينية، أو موسوعات في معظم صفحاتها تعالج التاريخ الإسلامي، فهو ضمن أن كثيرين سيشمّون فيها رائحة دينية مقدسة، لا يمكن التشكيك فيها، أضف إلى أن تلفيق أحاديث تُنسب إلى مؤسس الإسلام، أو صحابته أو أهل بيته أو التابعين، كافية لتجعل مناقشتها علميًا يُعدّ من المحرمات وانتهاك القدسية.

الهيمنة الإلكترونية على العالم

محمد حياوي
كاتب من العراق

❏ تتعاظم يوماً بعد يوم سلطة وتأثير مواقع التواصل الاجتماعي في حياتنا، سواء رضينا بذلك أم لم نرضَ، ولو تخيّلنا أن هناك حلقة صغيرة من الفنيين تتواجد يومياً في مكان ما من العالم تتحكم بأمزجة وتوجهات ورغبات وذائقة أكثر من ثلاثة مليارات من البشر على اختلاف انتماءاتهم وتوجهاتهم، سندرك حتماً خطورة المهمة التي تقوم بها تلك المجموعة الصغيرة وهي تمارس سلطتها الساحقة وغير المعلنة.

ذكّرتني قبل أيام رسالة موجهه من إيسبن هانس، رئيس تحرير جريدة لافنت بوست النرويجية إلى مارك زوكربرغ، مدير ومالك شبكة فيسبوك الشهيرة، بتلك السلطة المطلقة والمخيفة في الواقع التي تمارسها مجموعة زوكربرغ الصغيرة بطريقة شبه دكتاتورية في إدارتها لأنظمة الشبكة، فقد طالب هانس إدارة فيسبوك بالكف عن التدخل بكل صغيرة وكبيرة تحت ذريعة الحرص على الأنظمة واللوائح التي تحكم فيسبوك وتحدّد آلية عمله، طبعاً هانس كان ناقماً لأن إدارة فيسبوك قررت رفع صورة نشرها موقع جريدته عن انتهاك الطفولة وتسخير الأطفال في الحروب، في محاولة لتنبيه الرأي العام الغربي لمثل هذه الممارسات الشائنة، بينما عدّها كهنة معبد زوكربرغ تحريضاً على الإعتداءات الجنسية ضد الأطفال. طبعاً نحن هنا لسنا بصدد مناقشة المشكلة التي نشبت بين هانس وزوكربرغ، لكنّنا نحاول النظر إلى أبعد من ذلك في الحقيقة، أقصد إلى ماهية السلطة المهولة التي باتت تتمتع بها إدارة فيسبوك لتحديد توجهات الجمهور والتحكّم غير المباشر والخارج عن أيّ سلطة أو جهة رقابية أخرى، بذائقة وقناعات مثل هذا العدد المهول من البشر الذي يربو على نصف سكان العالم.

في الواقع حتّى نفوذ وسلطات الدول الكبرى المتحكّمة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً في العالم اليوم، كالولايات المتحدة وبريطانيا وروسيا والصين، لا تملك مثل هذه السلطة المطلقة التي تملكها مجموعة صغيرة جلّها من الشباب ذي الثقافة الأحادية المقتصرة على الاحتراف التقني وحسب، فكيف يمكن لشاب لم يتجاوز الثلاثين من العمر كرّس حياته للدراسة التقنية وحسب أن يحدّد مدى صلاحية صورة معيّنة أو خبر ما ودرجة تأثيره على الجمهور، حتّى لو توفر لتلك المجموعة الصغيرة عدد من الخبراء والمستشارين، على الأقل كما تدّعي إدارة فيسبوك، لما استطاعت أن تغطّي تلك المساحة الشاسعة التي يمتدّ عليها أعضاء الشبكة في كافة أنحاء العالم والناطقين بأكثر من مئة لغة مختلفة.

إن التحكم الإلكتروني في العالم ونفوذه أصبحا حالياً ظاهرة مثيرة ولافتة وخطيرة للغاية تضاهي، إن لم تتجاوز، النفوذ الاقتصادي والعسكري للدول الكبرى، وأنا واثق تماماً بأن العالم سيجد لاحقاً، ربما بعد عشر أو عشرين سنة طريقة ما لتنظيم هذا التحكّم ووضع القوانين اللازمة لتنظيمه أمميّاً بعيداً عن تحكّم المجاميع التقنية الصغيرة وأهوائها الخاصة.

إن اختراع مواقع التواصل الثقافي لا يشبه إطلاقا طبيعة نموها غير المتوقع حتّى بالنسبة إلى مخترعيها أنفسهم في الواقع، الأمر يشبه تماماً اختراع كائن ما بطريقة الاستنساخ من دون التنبؤ بتغوّله في المستقبل وخروجه عن السيطرة، وآجلاً أم عاجلاً ستنتبه المؤسسات الاستخباراتية في العالم إلى هذا العملاق الافتراضي، إن لم تكن قد انتبهت بالفعل الآن، ومدى الاستفادة من كنوزه المعلوماتية وقدرته الفذّة في التحكّم والسيطرة على توجهات الرأي العالمي العام، ولن يبقى الأمر حصراً على مجموعة زوكربرغ وأصدقائه من المغامرين الإلكترونيين الصغار طويلاً، لأن الأمر قد خرج عن السيطرة تماماً الآن. ومثل الفيسبوك هناك تويتر ولينك إن وغيرهما من المواقع التي تتزاحم بالمناكب الآن للاستحواذ على نسبة ما ولو صغيرة من قالب الحلوى أيضاً.

لمن العالم

منذر مصري في ديوان جديد

مازن أكثم سليمان
شاعر وناقد من سوريا

❑ صدَرَ هذا العام (2016) عن دار نينوى في دمشق ديوان شعري جديد للشاعر السوري منذر مصري، بعنوان "لمَن العالم؟ وسِيَر مشبوهة أخرى"، وهو مؤلَّف من خَمس قصائد نثرية طويلة مُقسَّمة إلى عدد كبير من النصوص الجزئيّة.

ويُقدِّم الشاعر ديوانه هذا بما يُشبه السِّيرة الشعرية التي يستعرضُ فيها ملامح تجربته، وما أحاط بصدور دواوينه وبمضامينها من أحداث وتفاصيل وانشغالات ذاتية ومُفارَقات عامة، ويتصدَّرُ هذه المُقدِّمة قولُهُ "قصائدُ طويلة كهذه -تُقرَأ بشُعورٍ من السّأم. تُقرَأ على عجَلٍ- تُقرَأ مرّة واحدة، ثُمَّ لا يعودُ إليها أحد"!

احتفى منذر مصري منذ ديوانه الأوّل (آمال شاقة1978-)، وكذلك منذ ديوانه الثاني (بشر وتواريخ وأمكنة1979-)، بالمَنسيّ والمُهمَل والهامشيّ، وحافظَ عبر السنين على وفائه القديم للتيار الشعري الذي انتمى إليه مع مَجموعة من شعراء سبعينات القرن الماضي في سوريا، والذي شكّلَ انعطافة لافتة في التاريخ الشعري السوري والعربي الحديث، وذلك بمُحاوَلة هذا التيار إنجاز قطيعة أصيلة مع قصيدة الحداثة الرؤيويّة في الشعر العربي التي سيطرَتْ بقوّة على المشهد الشعري في ستينات القرن العشرين عبر اقتراح قصيدة مُغايِرة عُرِفَتْ بالقصيدة اليوميّة.

تنهَضُ التجربةُ اليومية على إعادة النَّظَر في مفهوم الكشف الحداثيّ، حيث يتمُّ الافتراق عن القصيدة الرؤيوية عبر مُغادَرة آليات الاحتفاء بتخليق قصائد كشفية كلية تبسط وجودَها في وَحدة كونية شمولية، وتُؤسِّسُ عوالمها نهوضاً على مقاربة القضايا الإنسانية الكبرى، لتجيءَ القصيدة اليومية مُتخفِّفة من البذخ البلاغيّ عبر انتظام إيقاعي هادئ يُؤسِّسُ الكشفَ انطلاقاً من مفردات الحياة اليومية البسيطة، والتي يتمُّ التقاط حركيّة تفاصيلها المَنفية، ومساحاتها الشعورية الصغيرة والعابرة، حيث تتوالَدُ العوالم الشعرية في قلب الحَدَث المَعيش مهما بلَغَتْ هامشيته، وتتماهَى اللُّغة إلى حد كبير مع الحكي النثري الأكثر قرباً من السرد، والشديد الطموح بتقديم شعريّة بديلة تقوم على المَشهدية العامّة أكثر ممّا تقوم على تخليق الصور والانزياحات اللغويّة والتّركيبيّة.

وانطلاقاً من هذا الفَهم، يحرصُ منذر مصري في ديوانه هذا كُلَّ الحرص على بناء صورة نمَطيّة لهُ بوصفه شاعراً أوّلاً، ولشعره بطبيعة الحال ثانياً، تكونُ مُضادّة تماماً لصورة (الشاعر-النبي) الذي يُبشِّرُ بالمُستقبَل تفاؤلياً أو تشاؤمياً عبرَ رُؤاه الكُلّيّة الإشراقيّة، في حين أنَّ الشاعر لدى منذر مصري هوَ ذلك الإنسان المُلتصق بيوميات الحياة المَعيشة، والغائص بالعناصر الوجودية الأرضية خارج الفضاء الميتافيزيقي الخَلاصيّ، ولذلك يُحاولُ أنْ يُؤكِّدَ أنَّ قصائدَ هذا الديوان -إنْ في مُقدّمته، أو في القصائد نفسها- ليسَتْ سوى ذلك الإخفاق المَلعون أو النَّقص الوجودي الحادّ الذي يتلقَّفُ المَنبوذ والمَرفوض والشّاذ، ويحتفي بالمَشبوه والخطير والرَّديء، لهذا يصفُ قصائدَهُ هذه قائلاً عنها بأنّها "أطوَل وأسوأ قصائد في الشعر العربي الحديث".

وهكذا، تُؤسِّسُ عتبة عنوان الديوان البُؤرة الدّلاليّة التي تقودُ المُتلقّي مُباشَرةً نحوَ الصُّورة التي يرغبُ الشاعر بإيداعها في ذهن ذلك المُتلقي وفي انفعالاته، ذلك أنّ "السِّيَر المَشبوهة" ليسَتْ سوى سيرة الشاعر نفسه التي يُريدُ -إنْ لم نقل أنْ يتقمَّصَها- أنْ يُسبغَها على ذاته الشاعرة، وعلى أساليب وجودَ ذاته الشعريَّة في عوالم قصائده أيضاً، ولهذا نَجدُهُ يَصفُ نفسَهُ قائلاً "عزَمْتُ بأيِّ ثمَن أنْ تُصبحَ شاعراً/وما دمتَ لا تستطيعُ أنْ تَكونَ إلّا شاعراً رديئاً/ فليكُن... شاعرٌ رديءٌ/ أفضل من بائع مُنظفات منزليّة على الرّصيف".

وعلى هذا النّحو، تأتي قصيدة الشاعر "سيرة ذاتيّة مَشبوهة -رغمَ أنفي"، لتؤكِّدَ هذا الجُنوح غير البريء لديه نحوَ تخليق صورة نمَطيّة مُغايرة للشاعر وللشعر انطلاقاً من خلخلة صُورة نمَطيّة سائدة أو لنقل سادَتْ لعُقود، فنحنُ هُنا أمام شاعر يمكر مُدَّعياً عدم مُبالاته بقيمته الإبداعيّة لا بوصفه ذاتاً شاعرة مَوجودة في العالم الوقائعيّ المَعيش، ولا بوصفه أيضاً ذاتاً شعريّة افتراضيّة مَوجودة في عوالم القصائد النّصّيّة. ولذلك يُؤكِّدُ منذر مصري مراراً وتكراراً بأنَّهُ غير مَعنيٍّ بمدى شرعيّة ما يكتب، ولا بكيفيّة تلقّي هذا الأثر الذي يرميه للقرّاء مُستخفّاً كما يدَّعي بأيّة نتائج مُتوقّعة.

ولكي يستكمل الشاعر بناء صورته المَلعونة هذه، يُحاول في مَواضع كثيرة من قصائده هتكَ المُحرَّمات والتّابوهات، مُتّكئاً تحديداً على موضوعة الجسَد والجنس، فنراهُ يقول مثلاً في قصيدته "سيرة ذاتيّة مَشبوهة"، "الأمرُ الّذي كانَ يدفَعُني للسَّماح لنفسي/دونَ الجميع/بانتقاء أجملهنّ/ومدّ يدي إلى فُتحَة قميصها". ويقولُ في مَوضع آخَر من القصيدة مُحتفياً بفضائحيّة البُعد الدّونجوانيّ إذا صحَّ التعبير، إلى جانب التلذذ بمَكْر يتعلّق باكتسابه صفة (زير نساء)، حيثُ يقولُ "وتزوَّجْتُ بعدَ صُمود طويل/سقط فيه أقراني حتّى آخرهم/امرأة طيّبة/قبلَتْ بشرطي الوحيد/أنْ أبقى عازباً".

ما مَن شكّ أنّ منذر مصري يُمسك بأدواته الشعريّة بحنكة وذكاء، ويتّكئُ على مَخزونَ نظَريٍّ واضح المَعالم في تخليق مَسارهِ الشعريّ ذاتاً ونصّاً، وهو في مَكره -القديم الجديد- الباحث عن منطقة مُختلفة لصورة الشاعر، وطبيعة الشعر ووظيفته، لا ينجو من قصديّة مُتعمَّدة تكشفُها أحياناً بعض المَواضع النَّصّيّة، فهو القائل في أحد عناوين نصوصه هذه "أيُّ هُراءٍ سوف أخطُّهُ سوف يُكتَبُ لهُ الخُلود"!

غيرَ أنَّ اللّافتَ في هذا الديوان هوَ انزياحُهُ إلى حدٍّ ما باتّجاه الاهتمام ببعض القضايا الوجودية الكُبرى، وهي وإنْ لم تستند في توليدها على آليّات الخَلْق المَعروفة في قصيدة الرُّؤيا، لكنّها في الوقت نفسه تمتَحُ من ينبوع نبرة تأمُّليّة مَشوبة نوعاً ما بالعبَثيّة أو رُبّما بالبوحِ العدَميّ، وهوَ الأمرِ الذي لم يُخفِه الشاعرُ في مُقدّمته حينما قال "الوهمُ الذي سوَّغَ لي، عاطفيّاً وذهنيّاً وعمَليّاً، كتابة هذه القصائد الطّويلة المُسهَبة إلى الحدّ الذي يخال للقارئ أنّها لن تنتهي، حول كلّ شيء، وحول لا شيء، حول القضايا الكبيرة: الحياة والموت، الخلود والعدم، الوطن والغربة، الوَحدة والآخَرون. وحول أتفه الأمور".

لعلَّ هذا الانزياح الذي أشير إليه هُنا بخُصوص تجربة الشاعر يستحقّ أنْ تُفرَدَ لهُ دراسة نقديّة خاصّة، لكنَّ الذي يَعنيني الآنَ على نحو عاجل هوَ التّساؤل الآتي: هل هوَ العُمْرُ يا منذر؟

على مُستوى المعرفة الشخصيّة القديمة لا أُصدّق أنَّ منذراً يكبر! وعلى مُستوى موقفي النّقديّ من تجربة منذر التي أتذوَّقُها بلهفة، وفي الوقت نفسه أختلف معها نظريّاً، ومع الاستقطابَ القائم بَينَ تجربتَي الشعر الرُّؤيوي والشعر اليوميّ، حيثُ دعوْتُ في أكثر من مادّة نظريّة ونقديّة

> تنهض التجربة اليومية على إعادة النظر في مفهوم الكشف الحداثيّ، حيث يتمُّ الافتراق عن القصيدة الرؤيوية عبر مغادرة آليات الاحتفاء بتخليق قصائد كشفية كلية تبسط وجودها في وحدة كونية شمولية، وتؤسس عوالمها نهوضاً على مقاربة القضايا الإنسانية الكبرى

لي إلى مُجاوَزة هذه الثنائية الميتافيزيقية نحوَ تدشين حقبة شعريّة جديدة، أشدِّدُ (على هذا المُستوى النَّقديّ) على ضرورة قراءة موضوعة "تحوُّلات الشعريّة"تحديداً عند منذر مصري، والتي مرَّتْ بانعطافات جادّة عبر تجربته الطويلة، وفَهْم صلة ذاته الشعريّة الافتراضيَّة جدَليّاً مع ذاته الشاعرة الوقائعيّة التي ارتَمَتْ في عالمها المَعيش الغنيّ، ومع نسبيّة الاتّفاق أو الاختلاف النظَريّ والنقديّ هذا، لا أستطيعُ إلّا أنْ أكونَ مُنحازاً عاطفياً لمنذر شخصاً وشعراً، وأشدُّ على يده الماكرة وهوَ يكتب "هذا ما أسمّيه شعراً/دَمٌ لا تقبَلُهُ الأرض/وعرَقٌ ليسَ يقطُرُ مِنَ الجبين فحسب/بل من فَروة الرَّأس وتحتَ الإبط/وبَينَ الفخذين/وجِلْدٌ ولحْمٌ وعظْمٌ/فسَمِّهِ أنتَ/ما/شِئتَ..".

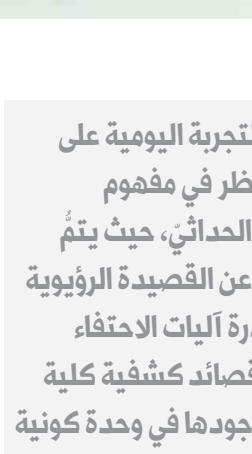

منذر مصري.. الشاعر يرسم لنفسه صورة شخصية

رف الكتب

الارتحال إلى الصحراء وتقاليدها

❑ جديد مبارك ولد بيروك الموريتاني المسكون بقصص الصحراء رواية بعنوان "طبل الدموع" عن فتاة يغريها أحدهم ثم يهجرها بعد قضاء وطره، فترغمها أمها على ترك وليدها ومغادرة القرية لاتقاء الفضيحة. تحمل ريحانة في رحيلها طبل القبيلة السّحري، هذا الطبل الذي ما كان له أن يغادر القرية ولا أن يدنّس، عسى أن يحميها من الشرور، وتعد نفسها بالعودة إلى ابنها طال الزمان أم قصر. في رحلتها تروي حكايتها الماضية والراهنة، فتتمازج معاناتها بتواتر الفصول، ويتخذ الكاتب تلك الرحلة مطية لوصف الحياة في الصحراء، وكذلك تصوير العادات والتقاليد التي لا تزال سائدة في موريتانيا، كالاسترقاق مثلا. إذ تبدو ريحانة، الهاربة من القرية والقبيلة، باتجاه المدينة، كامرأة تحرّرت من قيد، هو الإنجاب خارج الزواج، إلى قيد آخر، هو العهر داخل المدينة، الذي يلمّح الكاتب ألا مفر منه لامرأة وحيدة، ليس لها من حامٍ يحميها.

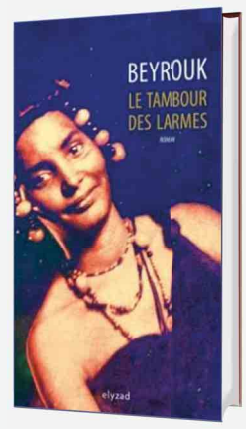

النقاش كأسلوب حياة

❑ هذا عنوان كتاب جديد للفيلسوف المغربي علي بنمخلوف، يبين فيه أن النقاش يصل الناس بعضهم ببعض عن طريق الكلام. وهذا الرابط يمر عبر الصوت والنفَس والنظرة ووتيرة الصمت والحركات. ويستشهد بمونتاني الذي كان يقول عن التحاور والتناقش "نحن بصدد كيفية القول، لا مادة القول". وفي رأي الكاتب أن النقاش ليس استدلالا، بل هو كلام في طور الحركة، وليس حكمة جاهزة بقدر ما هو أسلوب حياة. وعلى غرار مونتاني أيضا يستكشف الثراء الكامن في الانعطافات والاستطرادات والكلام المتقطع الذي يوقظ الأذهان. ويستقرئ الأدب، من فلوبير إلى سان سيمون ولويس كارول، في نقاش داخلي صامت، مع المؤلف الذي اندثر، والكتاب الذي بين يديه، ليستخلص أن في النقاش مخاطر، خطر العلاقة التي قد تربط المرء بهذا أو ذاك، وخطر المجهول الذي يحملنا إليه ذلك النقاش، الفكري بالأساس.

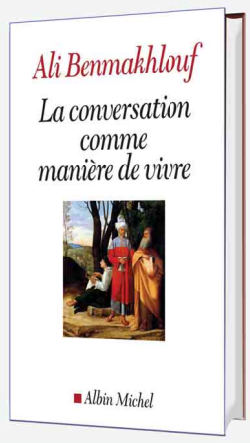

الآداب والفنون صورة عن جمال العالم

❑ جان ستاروبنسكي هو كاتب وناقد وفيلسوف ما انفك يطرح قضايا يلتقي فيها الأدب والفن بالتنظير والتأمل الفلسفي. في كتابه الجديد "جمال العالم"، الذي يمسح ما يزيد عن ألف وثلاثمئة صفحة، يبدو ستاروبنسكي قارئا فطنا يتقن الجمع بين دقة الوصف وعمق التحليل، وهو يستكشف مناطق جديدة، غير تلك التي عهدناها في عصر الأنوار أو في تاريخ الأفكار الطبية، بل هي مناطق الشعر والفن التشكيلي والموسيقى. يحوي الكتاب نحو مئة دراسة كتبها طوال ستين عاما يستشف من خلالها القارئ كيف أن الآداب والفنون تعكس جمال العالم، والناقد، بوصفه قارئا ومشاهدا ومستمعا، يحتفي بمكونات ذلك الجمال. والكاتب إذ يحرص على إظهار ما في الآداب والفنون من جمال إنما يقدم شهادة عن دماثة الوجود الإنساني في مواجهة قوى التدمير، وذلك هو الدرس الذي ما انفك ستاروبنسكي يلقيه على البشرية جمعاء في سائر مؤلفاته.

رأس المال الثقافي العراقي المهدور

سعدي عباس بابلي: ثقافة العراق ضحية الفساد والتطرف الديني

همام طه
كاتب من العراق

❑ يحذّر الأكاديمي والتشكيلي العراقي سعدي عباس بابلي من "أفول ثقافي" يهدد المجتمع العراقي نتيجة طغيان الأيديولوجيا على المعرفة وهيمنة التطرف والكراهية. وينبّه في مقابلة مع "العرب" إلى خطر الأدلجة على الفنون لأن التعبير الجمالي يفقد روحه حين يخضع للقولبة السياسية، أو تحيط به مناخات الاحتقان والتوتر، فالمبدع يحتاج لسلام حقيقي واستقرار اجتماعي، ولا يستطيع الإنجاز في أجواء التشدد والقبلية والطائفية وترييف المدن.

وهذا الانسداد الثقافي، وفق بابلي، يعوق إنتاج الفن وتسويقه رغم ما للفنون العراقية من سمعة متميزة في المنطقة، فقد كانت بغداد موئلاً ثقافياً وقبلة للفنانين والمبدعين.

ويرى بابلي أن الفنون بأنواعها؛ التشكيلية كالرسم والتصميم والنحت، والدرامية والمسرحية والاستعراضية، والموسيقى والشعر والسرد، تُسهم بكثافة في تنمية رأس المال الثقافي، فقدرات الإبداع والخلق والابتكار تضاعف الثروة الناعمة للمجتمع، وهي بمثابة عملية إنتاجية مستمرة للمنجز الثقافي والقيمة الحضارية المضافة.

ويعتقد الفنان العراقي، وهو رئيس قسم الفنون التشكيلية بجامعة دهوك في كردستان العراق، أن بلده لم يتمكن من استثمار موارده الثقافية، فيما استقطبت مجتمعات المهجر كفاءاته الفنية والثقافية واستفادت منها.

ويؤمن بابلي، وهو تشكيلي متمرّس جاب بمعارضه أرجاء المعمورة، بأن عالمية الإبداع الثقافي تقتضي التحرر من العصبوية والفصل العنصري بين الثقافات. ويدعو إلى إبعاد الفن عن السياسة والدين، لأن زجهما في الصناعة الثقافية يحوّلها من الخلق الجمالي إلى التوظيف الأيديولوجي للمواهب.

نزيف إبداعي

يعتقد الفنان المنتمي للجيل الثاني من رواد الحركة التشكيلية العراقية، في حديثه لـ"العرب"، أن بلده يعاني من "حرمان ثقافي" حاد، يعزوه إلى ظاهرة نزيف ثقافي وهجرة مبدعين بدأت في تسعينات القرن العشرين، واستمرت لليوم بفعل تردي الأوضاع السياسية والأمنية الراهنة، ومناخات الكبت والإكراه والتشوّهات الاجتماعية التي تحاصر الحركة الثقافية والفنية.

ويفيد بابلي، الذي أقام عشرات المعارض الشخصية المحلية والدولية، أن حراكاً ثقافياً عراقياً واسعاً بدأ من خمسينات القرن الماضي إلى منتصف ثمانيناته، وكان مدعوماً من اتجاهات متعددة كالطبقات الوسطى والعليا في المجتمع والحكومات، قبل أن يتراجع الوضع الاجتماعي بفعل الحروب والحصار الدولي على البلاد.

ويؤمن الأكاديمي العراقي بأن وعي صناع القرار مهم للتلاقح الثقافي، محلياً بين مكونات المجتمع ودولياً بين الشعوب، لافتاً لما أفرزه النموذج الشمولي في الصين والاتحاد السوفييتي السابق من انغلاق ثقافي وعزل واستبعاد للمبدعين. ويضيف أن الأنظمة الثورية تفرض "واقعية أيديولوجية" على الفن التشكيلي، كما حصل بعد الثورة الروسية التي كرّست "الواقعية الاشتراكية" كأسلوب فني أحادي؛ بينما الديمقراطيات الحديثة تعلي من قيمة الحرية أساساً للنهضة الفنية، مشيراً إلى التلقائية اللونية والتعبيرية التي أتاحتها الحريات الثقافية في أميركا.

ويبيّن بابلي أن الفن جزء من منظومة متكاملة، سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية، ولا يمكن أن يزدهر أو يتقدم في سياق من الإرغام الثقافي والقمع والتكفير والقسرية الدينية.

ويحذّر التشكيلي العراقي من أيلولة الاحتباس الديمقراطي والصراعات السياسية في المنطقة العربية، وصعود النزعات السلطوية والظلامية والطائفية، إلى فناء ثقافي وتجريف جمالي وتصحّر إبداعي وتزييف للوعي الفني، متابعاً أن الفنان إذا أصبح أداة دعائية للأيديولوجيا فسيموت بموتها، لأنه صداها وجزء من خطابها التعبوي، أما الفنان الحرّ المستقل فخالد بخلود فنه وإبداعه.

هجرة الريشة

يؤكد ضيفنا، الذي عاش مغترباً لسنوات يتنقل بفنه بين العواصم، أن تسعينات القرن العشرين شهدت هجرة الفن التشكيلي الرافداني إلى الأردن الذي احتضن مبدعينا، ما أسهم في تنمية الحياة الفنية والثقافية هناك، فظهر جيل من الفنانين الأردنيين.

ويؤشر بابلي، العضو في جمعيات فنية دولية، على ضعف المؤسسات الثقافية العراقية اليوم، وتلاشي النشاط الفني وإغلاق صالات العرض والمتاحف، وكثرة القيود الأمنية والاجتماعية التي تكرّس الاختناق الثقافي وتكبّل الفنان والمثقف. كما ينتقد غلبة السذاجة على الإعلام الذي لا يهتم بتنمية الذائقة الثقافية أو تطوير الحس الجمالي لدى المتلقي.

معرض ولوحة عراقيان.. آثار يعكس انفتاح الفنان العراقي وانتمائه إلى ثقافته الأم

(معرض عراقي في عمان): الريشة العراقية هاجرت في العواصم بفعل الحروب والنكبات

يرى ضيفنا، الحاصل على عدة جوائز في الرسم والتصميم، أن رأس المال الثقافي لا يختلف عن المادي فهو يحتاج إلى بيئة جاذبة ومناخ استثماري مشجّع وقوانين محفّزة؛ بينما تطرد البيئة العراقية رؤوس الأموال المادية والمعنوية.

ويرهن بابلي، الذي أنجز العديد من الأعمال التصميمية والجدارية والنحتية، إعادة بناء رأس المال الثقافي بتكوين بيئة مؤسسية وقيمية تستقطب المبدعين المهاجرين بجانب تنشئة أجيال فنية جديدة، مؤكداً أن المنجز الثقافي للدولة يشكّل ميزة تنافسية لها على الصعد التجارية والسياحية، ويحسّن سمعتها كعلامة حضارية لها؛ إذ يفيد بابلي أن العراقيين كانوا يسمّون "أسياد آسيا" في الفنون التشكيلية.

ويلفت الفنان الحاصل على دكتوراه الرسم والتصميم من جامعة بغداد للعلاقة العضوية بين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، حيث تهتم الطبقة الوسطى، ذات المستوى المعيشي والمعرفي المعقول، بالأنشطة الفنية لأنها تتمتع بحاسة متذوّقة للجمال. كما أن الطبقات الثرية برأيه تقتني الأعمال الفنية إما لأنها تتذوقها فعلاً، أو لأهداف تجارية ربحية، أو للوجاهة الاجتماعية.

ويُعدّ الفن سلعة اعتبارية تعزز القيمة المضافة للاقتصاديات، ووفقاً للفنان بابلي، يعوّض استثمار رأس المال الثقافي نقص الموارد الطبيعية والمالية لأنه يرتقي بالثروة البشرية ونوعية الحياة، ويضرب المثل بالمغرب وتونس؛ إذ أدى اهتمامهما بالفن والثقافة لتعزيز انفتاحهما على العالم وتطوير السياحة، ما أهّلهما لرعاية مهرجانات دولية.

كما أن تغذية المجتمع بالإبداعات الفنية والثقافية وروح الجمال والحوار، والكلام لسعدي بابلي، تكبح جماح العنف وتحدّ من التطرف الذي هو نتاج الضغط النفسي والاكتئاب الاجتماعي، وترمم الاختلالات العاطفية في المجتمعات، وتسهم في مداواة شروخها وتصدعاتها.

بطالة ثقافية

يؤكد بابلي، المتخصص في الرسم المعاصر، أن عاملين ساعدا على امتلاك العراق لثروة ثقافية هائلة هما الإرث الفني التاريخي الناتج عن تعاقب وتعددية حضاراته، وغنى تنوعه الثقافي والإثني؛ لكنها ثروة مهدورة بفعل الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي طرأت على المجتمع فهمّشت الثقافة والفن.

ويربط ضيفنا معالجة العطب الراهن بالتنمية الثقافية عبر إطلاق المهرجانات والمعارض والاستثمارات الفنية، وإنشاء مدن الإبداع، وتأسيس بنية تحتية للثقافة كالأستوديوهات والمسارح والصالات، ومراكز التدريب وورش بناء القدرات لاحتضان المواهب الشابة، وتكوين رأس مال بشري فنّي وإبداعي، ومعالجة ظاهرة "البطالة الثقافية" التي تعانيها الطاقات والمهارات، فالتعافي الثقافي والفني، وفقاً لبابلي، مدخل حيوي للتنمية المستدامة.

ويقول بابلي إن الفنان العراقي ينتمي إنسانياً لثقافته الأم، لأن صلة الإبداع وثيقة بالحاضنة الأولى، والفن، برأيه، يرتبط بالهوية الثقافية للفنان، ودائماً لدى المبدع حنين لجذوره، ونجاحه في المهجر لا يروي عطشه للنجاح في بيئة النشأة.

سجن المحلية

لرأس المال الثقافي، وفق بابلي، وظيفة حضارية في التواصل بين الثقافات، لأن الانطواء المحلي يميت الإبداع، فالعالمية صفة جوهرية في الفن. ويشدّد على أن التنوع الثقافي إطار حارس للإبداع، أما العزلة والأحادية فمدمّرتان للمواهب والمهارات، محذّراً من النزعات الفاشية والأصولية التي تسبب تجريف الواقع الثقافي واستئصال الجمال وإماتة الحياة الفنية.

ولا ينكر بابلي الصلة بين هويتيّ الفنان الوطنية والإبداعية؛ لكنه يرفض تحول الانتماء المحلي إلى قوقعة للانكفاء على الذات، داعياً لكسر الحواجز والانطلاق نحو العالمية، فالفن بطبيعته فعل كوني إنساني عابر للثقافات، كما أن الذائقة الأجنبية تبحث عن فن ذي هوية.

ويشجّع بابلي الاندماج الثقافي العالمي، مؤيداً التشبيك بين الخصوصية والكونية في الفنون، ومؤكداً أن الحركتين الثقافيتين المحلية والعالمية تتداخلان في نسيج جمالي وإنساني واحد تجمعه قيم روحية ومعرفية مشتركة.

والإبداع، كما يوضح بابلي، لا يمكن تأطيره جغرافياً، فالانغلاق الثقافي الطويل للصين مثلاً تسبب في ضعف تأثيرها الثقافي عالمياً، ما يسلّط الضوء، بحسب الأكاديمي العراقي، على أثر السياسة في الثقافة، ويفسّر أهمية الحرية للفن، فلا إبداع بلا حرية، موضحاً أن الدكتاتوريات تدعم الفنون في إطار التوظيف السياسي، وليس لصالح المجتمع، كالفن النازي الذي كان تعبوياً يدعو لأفكار هتلر.

ويعتبر بابلي استعمال الفن أيديولوجياً بالترغيب أو الترهيب قتلاً لروح الإبداع، دون أن ينفي الدور البنّاء للنخبة السياسية المستنيرة في الإقلاع الثقافي للمجتمعات وإطلاق الحريات وتدعيم الحداثة الفنية كما حصل في أوروبا.

التجسير الثقافي

يلفت بابلي إلى أهمية التجسير الثقافي في التمازج الفني والإبداعي بين الحضارات، بما يعمّق قيم السلم والتعايش، كالتلاقح بين الثقافتين الشرقية والغربية أو العربية والكردية، داعياً لاستثمار نقاط التلاقي المشترك بين الثقافات الإنسانية وتعميقها.

ويحذّر بابلي من الانحسار الإبداعي والجفاف الفني الناتجين عن قصر الفعل الثقافي على الحيز الذاتي لشعب أو مجتمع، فالفن من وجهة نظره حالة إنسانية راقية داعمة للتسامح الكوني، ولا يمكن ربطها بالشوفينية أو المذهبية أو المناطقية.

ويؤكد الفنان العراقي أن إماتة الحركة الإبداعية واغتيال الجمال يفرزان التخلف الاجتماعي والأمية الثقافية والتشوّه القيمي، فالفنون تهذّب الروح وتروّض النفس، وتقدّم سعادة البصر والسمع والعقل للمتلقي، لافتاً لما يعتبره فراغاً عاطفياً دائماً لدى الإنسان؛ إذا لم تشغله الموسيقى والغناء والتشكيل والرواية، فستملأه السلبية والكراهية والقسوة.

يشير بابلي لأهمية الانفتاح الثقافي، والإرهاف الحسي والروحي والبهجة الجمالية واللونية، في تطوير شعور الإنسان، والارتقاء بمعايير حياته ومستوى طموحه، ومنظومته الأخلاقية والسلوكية، ذلك أن الفنون، بحسب التشكيلي بابلي، تجعل المجتمع نشيطاً ومتفائلاً، وتخفف حدة توتراته، وتبث الطاقة الإيجابية عبر وظائفها الجمالية كتحفيز الخيال وبناء السلام الداخلي والتأهيل النفسي للإنسان.

ويدعو ضيفنا للإقرار بنخبوية الفنون؛ فالفن بطبيعته ليس جماهيرياً لأنه لا يهدف للتعبئة الأيديولوجية أو عسكرة الجمهور باتجاه فكرة معينة. ويتحفظ على مقولة "الفن للمجتمع" مستعيضاً عنها بقوله إن "الفن جزء من المجتمع ، فالفنان برأيه يعبّر عن إبداعه الذاتي، وليس ملزماً بالانقياد للذائقة المجتمعية لئلا يفقد ريادته الإبداعية وفرادته، مؤكداً أن التنوير الثقافي يتحقق عبر الإقرار بأن الفن يصنع الذائقة وليس العكس.

ولا يؤمن بابلي بالمدرسة الواقعية في الفن التشكيلي، فالفنان برأيه ينبغي أن يقدم أفكاره وأحلامه، ويجترح قراءته الفنية الجمالية الرمزية للواقع والمستقبل، وليس استنساخ الواقع بحذافيره. ويوضح أن الفن لا يمكن أن يكون واقعياً، لأنه يتحرك في "مساحة الحلم" والتعبير التجريدي، أما الواقع فماثل أمامنا وليس مطلوباً إعادة إنتاجه فنياً، بل محاكاته جمالياً ولونياً لحفز روح التغيير، وإلهام المتلقي وتخليق اتجاهات جديدة في الوعي والوجدان.

ويوضح بابلي أن التذوّق الثقافي نخبوي أيضاً، لأنه يعتمد على وعي المتلقي وثقافته، وليس كل المتلقّين يتذوّقون الفنون لا سيّما المعاصرة منها، وقولنا إن "الفن ملك للمجتمع لا يعني محاكاة الذائقة الشعبوية والتخلي عن الانفعال الذاتي وقيم الحرية الفنية والمبادرة الإبداعية المستقلة.

لكن النخبوية، بحسب بابلي، لا تعني تفريط الفن في دوره التنويري؛ فالمجتمع بدون الفنون يدخل حالة ركود واجترار وتقادم، والتغيير الثقافي يحتاج للجرأة والريادة وحرية الإبداع، ولتمرد الفنان أو المثقف الذي يسبق عصره فيقدم لوحة أو منجزاً أدبياً قد يرفضه المجتمع في وقته، ولا يدرك قيمته ورسالته إلا بعد نصف قرن، وهو ما يسميه بابلي بـ"الفجوة الثقافية" بين المبدع والجمهور.

تمرد إيجابي

لا يؤيد بابلي تفسير الحرية الثقافية بأنها الثورة والتصادم، فالهدف الإبداعي عنده هو الارتقاء بوعي المجتمع عبر عمل فني تنويري، حالم وخلاق في رمزيته وعمقه الجمالي والإنساني، وليس مطلوباً من الفنان استفزاز المجتمع مباشرة، رغم أن هذا برأيه قد يحصل؛ لكنه ليس غاية الفنان أو هدفه الأساسي، فليس للإبداع من غاية سوى الإبداع نفسه.

ويدعو بابلي الفنانين الشباب للتمرد الإيجابي للارتقاء بقيم المجتمع وليس الارتداد بها إلى الوراء، فالتمرد الفني فعل مبادر بنائي وليس سلبياً أو هدمياً. وينصحهم أن يستعدوا لرفض المجتمع لأفكارهم، فالفنان يفكّر بوعي مستقبلي فيما المتلقي رهينة واقعه وظروفه.

صورة الشاعر في سجنه

معرض استعادي لأوسكار وايلد في سجن ريدينغ اللندني

هنا في هذه الزنزانة ذات الباب المفتوح سجن اوسكار وايلد

طاهر علوان
كاتب من العراق

❏ ترى ماذا بقي من أثر من تلك الرحلة الشائقة، رحلة المجهول الإنساني المديد الذي تمثله سيرة وتاريخ شاعر وكاتب وعلامة فارقة في عصره مثل أوسكار وايلد؟

الرحلة التي تنطوي على التمرّد الشعري والنفور الشرس من قيود الزمان والمكان، أن يعيش الفنان كامل نزقه وحريّته، تمرّده وطيشه ونوازعه المتّقدة التي لولاها لن يكون مبدعا ولا شاعرا لكن المفارقة أن ينتهي كل ذلك بالزج به في السجن ولتبدأ رحلة رسائل السجن.

آية الاختلاف كانت هي العلامة الفارقة في الرحلة برمّتها وإلاّ لن يكون الإبداع ذا قيمة ما لم يخرج على النمطية ويشق له دروبا مختلفة ويجهز على أزمنة ذابلة وميتة لينعش ربيعا كونيا حافلا بالحياة ومفعما بالفعل الجمالي.

تألق البدايات

ما كان ذاك إلاّ مقدمات تنطبق برمتها على صورة أوسكار وايلد في عزّ عبقريته وهو يدرس في جامعة أوكسفورد ثم ليسطع نجمه كاتبا مختلفا ذا دائقة ووعي شعري مختلف يحلق في فضاءات الإبداع، وكان لذلك امتداد وجذور، أوسكار الطفل المولود في العام 1854 مولع بالأدب صغيرا، يعيش حياة هانئة في مدينة دبلن بأيرلندا، أمّه هي الأخرى كاتبة وأديبة تغرس في نفسه ذلك الولع الجميل، صلة ما مع تلك الأمّ العظيمة تدفعه إلى واحدة من مقولاته الساخرة "كل النساء يصبحن مثل أمهاتهن ، هذه مأساتهن، ولا يوجد رجل يصبح مثل أمّه وتلك هي مأساته".

يحفر عميقا في الآداب الإغريقية واللاتينية ويبدأ إلماعاته الشعرية لتتوج بمنحة يفوز بها في جامعة أوكسفورد، هناك سيطل على العالم الجامعي شاب مختلف عن أقرانه، تشير يومياته إلى أن أول علامات اختلافه تمثّلت في الزي المميز والألوان اللامعة للثياب التي كان يرتديها، حرصه على تزيين غرفته بالرسوم والزهور، كان ذلك إبان صعود ما عرف بالحركة الجمالية المحتجّة على الرومانسية المسرفة، وأما شعريا فقد عبّر عن الوجود الصاخب للبنية الشعرية التي ستلفت نظر الجميع وصولا إلى فوزه بجائزة رفيعة هي جائزة "رافينا" في العام 1878 ثم ليتخرج بمرتبة شرف وينتقل إلى الحياة الأدبية والشعرية في لندن وهو في أوج عطائه بنشر أول كتبه الشعرية في العام 1881 تحت عنوان "قصائد".

في العام التالي مباشرة سيكون في مواجهة عملاق الأدب الأميركي والشعري والت ويتمان، في أثناء زيارة وايلد للولايات المتحدة وحيث سيرتبط الاثنان بصداقة متينة، يصفه ويالد قائلا "ليس في الولايات المتحدة كلها من هو أكثر من ويتمان أجلّه وهو أقرب إلى ذاتي"، احتفل الاثنان بأول عمل مسرحي تحت اسم "فيرا" كتبه وايلد وتمكّن من إنتاجه وعرضه في نيويورك ليعود بعدها إلى لندن.

النفاق الأدبي

تجري أيامه فيتزوّج من كونستانس لويد، وهي سيدة رفيعة المستوى من سيدات المجتمع ولينجبا طفلين وتعلن كونستانس أنها تزوجت رجلا بوهيميا بالفعل عاشت معه طقوسا غرائبية شتى، إن هي إلاّ طقوس الشاعر في تجلياته التي عبّر عنها فيما بعد من خلال كتابه الأشهر "صورة دوريان غري" وقصص أخرى، الكتاب الذي أثار من حوله لغطا واسعا فيما يتعلق بأفكار وتوجهات وايلد والمشاعر الأكثر عمقا وذاتية من وجهة نظر ذكورية خالصة، الذات التي يمكن أن تُرسَل إلى الخطيئة من أجل الوصول إلى الحقيقة الكاملة المتوارية خلف الجمال.

تأويلات النقاد وشتى الاتهامات بخصوص غياب المثل والقيم الأخلاقية في النص دفعت وايلد إلى الرد على أولئك المحتجين ضمن فئة النفاق الأدبي قائلا "لا تطالب الفنان بمواقف عاطفية عابرة، وأما ما تسمونه أنتم الفضيلة والشر، فهي ثنائية تشبه استخدام الرسام للألوان".

القصة لن تقف عند هذا الحد، عندما يتهم وايلد بالميول المثلية مع اللورد الفريد دوغلاس، المتخرج حديثا من أوكسفورد، تتسرب أخبار تلك العلاقة إلى والد هذا الأخير وتقع خصومة شديدة بينهما تنتهي برفع وايلد دعوى بالتشهير ضد خصمه والد دوغلاس لكنها ستنقلب بشكل مباغت على وايلد نفسه وتنتهي بحملة تشهير طالت سمعته ووصفه بأفظع الصفات المتعلقة بالشذوذ، زوجته تحمل طفليها وتسافر بهما إلى سويسرا وتقوم بتغيير اسميهما لمحو اسم وايلد نهائيا من حياتها مع أنها لم تنقطع عن مساعدته ماليا أما وايلد نفسه فسيقضي حكما بالسجن لمدة عامين بما فيها من أشغال شاقة.

قصة وايلد مع سجنه ومع الحبر والورق ترويها صحيفة الغارديان في أحد أعدادها الأخيرة وتروي قصة أجمل رسائل الحب التي كتبها وايلد وكلها تحت وطأة السجن الرهيب.

رسائل السجن هي العلامة الفارقة بعد تلك المسيرة المشحونة بمتعة الشعر وشقاء العزلة في آن معا، هي "أنشودة سجن ريدينغ" رائعة وايلد التي يصف فيها عذاباته في ذلك السجن الرهيب الواقع في غرب لندن والذي كان بحق كافيا لتدمير حياة وشخصية وايلد، وغيره كثير، بالكامل، أما اليوم فسيحتفي شعراء وكتاب ومصوّرون بذكرى وايلد في ذات المكان، في ريدينغ، في الأقبية والزنزانات الضيقة لذلك السجن الرهيب الذي أوقف استخدامه منذ عقود ومع ذلك بقيت فيه بقايا أصوات وآهات وايلد، احتفالية ستمتد شهرا كاملا.

شاعر أناشيد السجن

المواطنة العراقية الفولكلورية

لطفية الدليمي
كاتبة من العراق

❏ تبدو النزعة الوطنية العراقية في الغالب حالة "افتراضية" أو فولكلورية؛ فهناك حقائق ملموسة على الأرض تخبرنا أن مواطنتنا المفترضة هي في الغالب محض تمظهرات عاطفية غير مستتبة وسلوكيات انفعالية موسمية تبقى دونما أسانيد قانونية محكمة كتلك السائدة في المجتمعات المتقدمة التي ترسخت لديها فكرة المواطنة.

لنتأمل بعض سمات هذه الوطنية الافتراضية التي يدعيها البعض جهلا بها أو لغايات تخدم مصلحة الحاكم في كل عهد: سنرى أن مظاهر الوطنية العراقية المفترضة غالبا ما تسوّق سياسيا وإعلاميا في صيغ شعبوية بائسة تنضح بالعاطفة الجارفة ذات التأثير اللحظي سريع الزوال ويكون هذا الشكل الفلكلوري عادة مسندا بمؤشرات أيديولوجية ذات إيحاءات عنيفة سواء في الأداء السياسي أو السلوكيات القبلية؛ فعندما تحاول بعض وسائل الإعلام تأكيد التلاحم الوطني تعمد إلى بث صور لمجموعات عشائرية تختلف أزياؤها وكوفياتها وطراز العقال وحجمه في إشارة واضحة إلى مرجعية قبائلية ومناطقية محددة في مشهد يفترض فيه الإفصاح عن تماسك وطني حيث يتقافز الرجال مرددين عبارات مبالغا في عاطفيتها وأهازيج مشحونةً بمفردات حب الوطن والتضحية في سبيله وبذل الدم من أجله، بينما يتملّك الهازجين والراقصين شعور غامر بالتفوق والغلبة العشائرية أو المناطقية مما يقصي أيّ قيمة للوطن وسط الانفعال القبلي وتسويق مفهوم عنفي للوطنية محصور في فكرة الموت من أجل الوطن، ويبدو هذا الوطن حالة يوتوبية وهمية وسط التفاخر العاطفي الذي يهزج رجاله غالبا بمقولة "نموت ويحيا الوطن" دون وعي بخطورة هذا الشعار الذي سيهبنا وطنا قاحلا مات أبناؤه وهدرت دماؤهم في حروب ومعارك أهلية طاحنة ليبقى الحاكم وسلطته وليس من مواطنين فاعلين يبتكرون صورا جديدة للحياة في وطنهم ويؤسسون مستقبلا مشرقا للأجيال القادمة.

أذكر هنا لقاء تلفزيونيا مع سيدة تدّعي أنها أميرة من سلالة العائلة المالكة العراقية، يسألها المحاور منطلقا من سطحية الأداء الإعلامي وجهله "هل أكلت كعك السيد يوما سمو الأميرة؟ وهل شربت من شَرْبَت الحاج زبالة؟"، ولتأكيد مواطنيتها الفولكلورية تقول الضيفة نعم وإنها أكلت من بائع مأكولات مكشوفة على رصيف شارع العشار في مدينة البصرة منطلقة من النزعة المسطحة عن فكرة المواطنة التي يروج لها الأداء الإعلامي المفتقر إلى الأسس الثقافية الرصينة لمفهوم المواطنة.

يتكرر الحديث بمبالغات كبيرة عن أخوّة وطنية في الخطاب التسويقي للساسة قبل الانتخابات في حديث مجاني غير ملزم يتدفق دونما حساب، سرعان ما يتحول بفعل المحاصصة -التي أسقطت مفهوم المواطنة- إلى منازعات سقيمة في لحظة اقتسام المقاعد النيابية والمغانم وتقع الأقليات ضحية الصراع بين القوى المهيمنة؛ فتتهاوى ادعاءات الساسة عن الأخوّة وحقوق المواطنين وتتغالب الطوائف وتتصارع الكتل لقضم حصة أكبر من خيرات هذا الوطن ليبقى مفهوم المواطنة عائما سواء في النص الدستوري أو في الإجراءات الواقعية على الأرض.

ربما تكون التظاهرات التي أطلق جذوتها الشباب والناشطون بداية جدية لتهشيم الأيقونة الفولكلورية عن الوطنية وتأسيسا جديدا لمواطنة قائمة على مدوّنة شرف من حقوق وواجبات معلومة وليس محض نصوص دستورية غائمة يدوسها أمراء الطوائف بمداساتهم في معظم الأحيان متجاوزين الدساتير وإلزاماتها، وفي ظني أن التظاهرات غيرت إلى حدّ ما مفهوم المواطنة الرجراج ونقلته ببسالة المواطنين من ظاهرة فولكلورية عاطفية وموسمية تهزج لها الحشود أمام الحاكم إلى مواطنة تعرف حقوق الوطن والمواطن وواجبات الدولة.

الشجرة قبل الثمرة

وليد علاء الدين
شاعر من مصر مقيم في الإمارات

❏ كم واحدا، بعد أن يشاهد فيلمًا جيدا، يتساءل باهتمام عن مخرج الفيلم ليعرف المزيد عنه؟

كم واحدا يمكن أن يقول -وهو يتابع الفيلم: يا سلام، أبدع هنا المؤلف، أجاد هنا فنان الإضاءة، أبدع هنا مصمم الديكور.. أو الملابس، الصوت، المونتاج..؟

عندما نستمتع بأغنية جميلة، كم واحدا يقوده فضوله للبحث عن الشاعر أو الملحن أو الموزّع الذي منح العمل روحًا، كم شخصا يفكر في أسماء العازفين صانعي هذا الجمال؟

ربما تبدو هذه الأسئلة باهتة في زمن يعلو فيه الصراع الدموي وتتضارب الهويات، ولكنني أرى أن غياب هذه التساؤلات سبب أصيل في وصولنا إلى هذا الزمن.

هل يثير الأمر سخرية البعض؟ هؤلاء في رأيي لا يدركون أنها مجرد أعراض لأمراض شديدة الخطورة تنهش في تركيبتنا الثقافية.

أفكر الآن: كم مبدعا اختفى، أو غيّر وجهته، أو حتى مات قهرًا؛ نتيجة لمجتمع لا يعرف أن الثمرة ابنة الشجرة، ولا تعنيه في شيء بقية أجزاء النبتة التي شاركت في وصول الثمرة إليه بهذا النضج؟

هذه الظاهرة، كما تقود إلى اختفاء مبدعين كثر لمجرد أنهم يعملون في الظل، فإنها تقتل روح العمل الجماعي داخل منظومة الثقافة المجتمعية، لأنها تُلغي الإحساس بأهمية توزيع الأدوار وتقدير كل إبداع مهما كان صغيرًا باعتباره جزءًا أصيلًا وسببًا مباشرًا في المنتج النهائي.

من أبرز نتائج هذه الظاهرة اختفاء الإبداع باعتباره مشروع حياة، ليحل محله إبداع السبّوبة أو إبداع الفرصة في أفضل توصيف له، لم يعد هناك مطرب يمتلك مشروعًا يشغله ويسعى لتحقيقه وتطويره في مجموع أغنياته، لم يعد هناك ممثل يمتلك طرحًا فكريًا يختار على أساسه أعماله ويراقب تطورها، لم يعد هناك موسيقي يؤسس لتصوره الفني على مهل ويحققه من خلال حناجر الموهوبين فتتجلى مواهبهم ويتحقق مشروعه. لم يعد هناك مغامر يدفعه إيمانه للتجول في أنحاء القرى بحثًا عن روح الفن الشعبي التي تندثر تحت هجمات التصورات المغلقة عن الدين والدنيا.

صحيح أن الأرض لم تصبح بورًا إلى هذا الحد القاتم بعد، فثمة شجيرات مثمرة متناثرة في كل مجال، إلا أنها بقدر ما تثير من الأمل فإنها استثناءات تثبت -للأسف- فساد القاعدة.

هذه المقالة مجرد دعوة للتفكير في هذه الظاهرة، وقراءة مخاطرها وتحديد أبعادها التي لم تعد تقتصر على الفنون ولكنها تتحكم في كل تفاصيل حياتنا العملية، في مصانعنا وشوارعنا ومتاجرنا، متجاوزة الأفراد لتصبح سمة رئيسة لتوجهات الاقتصاد والسياسة والعلاقات الخارجية العربية؛ لم نعد نتحرك منطلقين من مشروع تحكمه رؤية تسمح باحترام وتقدير كل الجهود التي تعمل على تحقيقها، مهما كانت هذه الجهود صغيرة.

علينا الاهتمام بهذه الظاهرة، وتحويل الأمر إلى مشروع عمل، يبدأ بالتشخيص والتوصيف والتأطير، وتحديد التخصصات المطلوبة، والمهارات العلمية والخبرات العملية ثم الشروع في البحث عن طرق لتغييرها بشكل جذري، للتخلص من تلك السطحية أو النفعية في تناول الأمور.

الأمر في رأيي يبدأ من المدرسة، مناهج التعليم أساس مهمّ، أظنها أحد أبرز الأسباب، إن لم تكن السبب الرئيس، الإعلام أيضًا وسيلة مهمة وخطيرة، لكن من يدير الإعلام ويصنع محتواه ويضع أفكاره ويؤثّر في مساره سوى هؤلاء التلاميذ الذين تأسست ثقافتهم في مدارس تفتقر مناهجها إلى هذه القيمة؟

المنزل بلا شك أساس آخر مهم، ولكن أليس الآباء والأمهات على امتداد الخمسين سنة الماضية على الأقل هم نتاج ثقافي لهذه المناهج التعليمية؟

البداية من مناهج التعليم، فمتى ننطلق؟

مختبر الأدب والقراءة البعيدة

النوع الأدبي والتحليل عبر الوسائط الرقمية

تحسين الخطيب
كاتب من الأردن

❏ طوّر النقاد الجدد مفهوم "القراءة اللّصيقة" حتى أصبح منهجًا أساسيًا من مناهج النقد الحديث؛ أن يقترب القارئ من النص، ويغوص فيه، لدرجة تمكّنه من تفكيك العلائق التي تتواشج، مضمرة، في نسيجه الجامع. هيمنت هذه النزعة الشكلانيّة على النقد الأدبي في منتصف القرن العشرين، ساعية إلى البحث عن "معنى المعنى"— في الشعر، على وجه الخصوص— وإلى تبيان أنّ العمل الأدبيّ ليس إلّا كينونة تحوي ذاتها بذاتها، ولا تكون جماليّتها إلّا منغمسة في هذه الذات، وناشئة عنها؛ فلا حدود للمعنى خارج فردانيّة الكلمات، وتركيبها الكلاميّ، والنسق الذي ينظم الجمل. كأنّ عين القارئ كشاف لا يروم المعنى الجامع إلّا بعد أن يستبطن كل مفردة فيه.

وعلى النقيض من "القراءة اللصيقة"، شهدت النظرية الأدبية، في العقد الأخير، ظهور مصطلح "القراءة البعيدة" التي تنزع إلى التبصّر في الأدب عبر تجميع بيانات كبيرة لنصوص— روائيّة في الغالب— واستقصائها وفقًا لطرائق التحليل الكميّ التي كانت، في السابق، حكرًا على العلوم الاجتماعيّة، وبعيدة، كلّ البعد، عن حقل الإنسانيّات.

يكمن التحدّي الأكبر الذي يواجه "القراءة البعيدة"— بحسب المنظر الأدبي والناقد الماركسي الإيطالي فرانكو موريتي، مؤسس مختبر الأدب لدى جامعة ستانفورد الأميركية— في المدى الذي تستطيع منه خلاله الكمبيوترات التعرف على النوع الأدبيّ، وإلى أيّ حدّ نستطيع استخدام نظرية الشبكات (دراسة الرسومات البيانيّة، أو المخطّطات، بوصفها "تمثيلًا للعلاقات المتماثلة، أو غير المتماثلة بين كائنات منفصلة، على نحو أعمّ") في إعادة تخيُّل الحبكات القَصصيّة وتصوّر الشكل الذي قد تكون عليه.

يُخضع موريتي، في مختبره الجامعيّ، الأدبيّ إلى التحليل

موريتي يخضع النصوص الادبية للتحليل عبر الوسائط الرقمية

عبر وسائط الإنسانيّات الرقمية؛ "كاختبارات الدلالة والنمذجة الحسابيّة والتحليلات الكميّة"، للكشف عن العلائق التي قد تسهم في معرفة طبيعة الأدب ومجاله الحقّ. فالقراءة اللصيقة، بالنسبة إليه، لا تكشف عن هذه الطبيعة، لأنها تكون معنيّة، في المقام الأول، بأعمال محدّدة، ولا تستطيع أن تنفذ إلى كل الأدب المكتوب في حقبة معيّنة. فلكي نفهم الأدب، يجادل موريتي، فإنه يتوجب علينا أن "نتوقف عن قراءة الكتب".

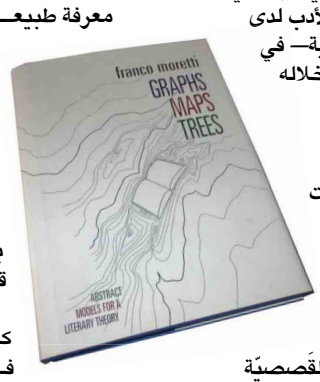

وتذكر الناقدة الأميركية كاثرين شولتز (جائزة البوليتزر في الصحافة للعام 2016) في إحدى مقالاتها بأنّ "المختبر الأدبيّ يسعى إلى وضع هذه النظرية الخلافيّة موضع التطبيق العمليّ (أو يسعى، على نحو أكثر دقّة، إلى وضع هذه الممارسة قيد التطبيق) ثم تذكّرنا بأن الكرّاس الأول الصادر عن فريق المختبر أشار إلى أنهم قد قاموا بتعذية برنامجين كمبيوتريين بثلاثين رواية وفق نوع محدّد، ثم طلبوا منهما تحديد النّوع الأدبي لستّة أعمال إضافيّة. حققت التجربة غايتها، حيث استطاع كلا البرنامجان التعرف على النوّع؛ الأول، عبر استخدام الدلالات النحوية والسيميائيّة؛ فيما لجأ البرنامج الآخر إلى ذلك عبر درجة تردّد الكلمات.

وعلى الرغم من نجاح الكمبيوتر في اختبار التعرف على النوع، إلّا أنه— وفقا لشولتز— قد أخفق في مسألة "العلّة"؛ ما "الجديد"؟ فلا ميزة للكمبيوتر، في هذه الممارسة، على الإنسان؛ فكلاهما قادر على تعيين "النوع عبر سمات مختلفة، ومن خلال "منظومة" محدّدة من "المشاهد" أو استعمال متكرّر لمفردات بعينها. ولكنّ الأكثر أهميّة، بالنسبة إلى مختبر الأدب، كما تقول تشولتز، يكمن في أنّ الكمبيوتر يقترح سمات "شكلانية" للأدب لا يستطيع البشر اكتشافها بدون مساعدة.

وبصرف النظر عن "الفعالية" التي أثبتها "القراءة البعيدة" في دراسة الأدب، إلّا أنّ الفريق الآخر المتحمّس إلى القراءة الأخرى؛ القراءة اللصيقة، ما زال ينظر إلى هذه الممارسة بوصفها مجرّد "ممارسة" لا يمكن أن ترقى إلى مصاف أن تكون "منهجًا" أدبيًا مستقلًا بذاته؛ فالأدب ليس حقلًا علميًا يخضع لقوانين مجرّدة، وإنّما خيال جامح واستعارات كلاميّة خارج حدود كل قانون.

> يكمن التحدي الأكبر الذي يواجه «القراءة البعيدة»— بحسب المنظر الأدبي والناقد الماركسي الإيطالي فرانكو موريتي، مؤسس مختبر الأدب لدى جامعة ستانفورد الأميركية- في المدى الذي تستطيع منه خلاله الكمبيوترات التعرف على النوع الأدبيّ، وإلى أي حد نستطيع استخدام نظرية الشبكات (دراسة الرسومات البيانية، أو المخططات، بوصفها «تمثيلا للعلاقات المتماثلة، أو غير المتماثلة بين كائنات منفصلة، على نحو أعم») في إعادة تخيل الحبكات القصصية وتصور الشكل الذي قد تكون عليه

فهل ينجح "مختبر الأدب" في فرض "القراءة البعيدة"، كنظرية أدبيّة قائمة بذاتها، ترى الأدب بوصفه "نظامًا جمعيًا"، ولا ينبغي مقاربته إلّا بوصفه كذلك . . . أم تظلّ القراءة الفردية، اللصيقة، الشغوفة، عصيّة على الاندثار، مقاومة لكل "ثيولوجيا" لا ترى "معنى الحقيقة" (و"الحقيقة الأدبيّة" ليست بمعزل عنها) إلّا من خلال "الكليّة الجامعة"؟ هل نشهد تلك اللحظة، خاصة وأنّ القرن الذي نعيش فيه، ينزلق، بقوّة، إلى هاوية "ثيولوجيا" مرعبة، أم يظلّ "الحيّز" الفرديّ، على ضيق مساحته التي تشتدّ ضيقًا يومًا بعد يوم، هو تلك الكوّة التي نظلّ فيها على الكتاب، الذي هو "نور" الآخر الذي يضيء في دواخلنا معنى "الحريّة"؟

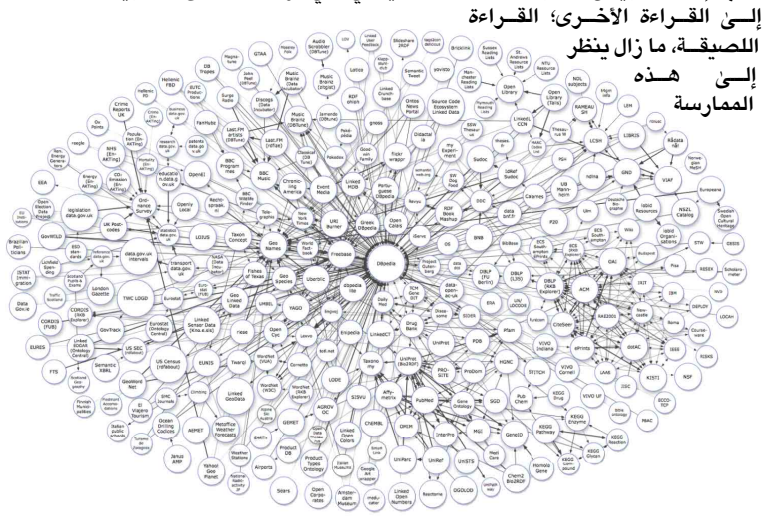

جنون الحب

مسرحية «الطيكوك» مونودراما مغربية

فيصل عبدالحسن
كاتب من العراق

❏ يعتبر الكاتب والمخرج المسرحي عبد الحق الزروالي من رواد مسرح المونودراما في المغرب فهو أثرى التجربة المغربية الحديثة في بالعديد من النصوص والأعمال، ومن أحدثها ما قدمه بنفسه مؤخرا على خشبة مسرح محمد الخامس في الرباط تحت عنوان "الطيكوك" وهو عمل مونودرامي من ممثل واحد سبق تقديمه على العديد من مسارح المغرب، ألفه وأخرجه ومثله عبدالحق الزروالي بنفسه. والعرض امتد لساعة وربع الساعة وتميز النص بمزج الكاتب بين الدراما والكوميديا، وقد تأثر كاتبها ومخرجها بمسرح وليم شكسبير القائم في جانب مهم منه على مشاهد البوح الذاتي، وخصوصاً في مسرحيته الشهيرة هاملت.

المنظر المحزن للمقبرة سيبقى طويلاً في ذاكرة المشاهد، ووسط وحشتها يقف مسعود حفار القبور، وهو يخاطب الأموات، ويتأسى على فقدان الناس للأمان، وما لحق بعض الشعوب العربية من أذى الإرهابيين.

تتداخل شخصيتان في العرض المسرحي الفردي، الذي قدمه الفنان المغربي عبد الحق الزروالي على مسرح محمد الخامس بمدينة الرباط مؤخراً، وأنجز السينوغرافيا عزيز الحاك. وحقق العرض حضوراً لافتاً. فالثيمة التي عمل عليها المؤلف والمخرج والممثل عبد الحق الزروالي ثيمة متفردة لم يسبقه إليها غيره.

مسرحية "الطيكوك" قدمت بممثل واحد، وهي من نوع (المونودراما ــ Mono Drame) ولفظة Mono هي مفردة يونانية قديمة تعني واحد وDrame تعني الحركة والفعل.

ويوجد في تراث المسرح المغربي مسرحيات فردية كثيرة قدمها، فنانون معروفون، مثل "الحرباء" لحوري الحسين، و"شريشماتوري" لنبيل لحلو، و"الزيارة" لعبدالكريم السداتي، وقدم غيرهم من ممثلي الفكاهة المعاصرين عروضاً قصيرة، يمكن وصفها بأنّها مسرحيات مونودراما مثل حسن البوشاني، محمد الجم، سعيد الناصري، عبدالفتاح جوادي، رشيد غافيق، وغيرهم.

الطيكوش

يعتبر الكاتب والمخرج عبدالحق الزروالي رائداً من رواد "المونودراما" في المغرب. وقد اختار هذا اللون من العمل المسرحي في سبعينات القرن العشرين، وبدأ بـ"ماجدولين" وتبعها بـ"الوجه والمرآة" وتوالت أعماله المسرحية الفردية حتى بلغت 32 عملاً مسرحياً خلال أربعة عقود من عمله بالمسرح.

والزروالي صاحب أكبر عدد من العروض المونودرامية في المغرب، وقد اتصف عمله الأخير بالجدة والابتكار في طرح مشاكل الإنسان العربي.

وتسمية المسرحية أتت من مفردة أمازيغية هي "الطيكوش" وعادة ما ينعت الأمازيغيون من يصيبه هوى الحب المجنون، بأنه أصيب بـ"الطيكوش". والبعض عدّ التسمية آتية مما يطلقه الفلاحون على مرض جنون البقر. والمعنى الأقرب لمضمون المسرحية يشير إلى "جنون الحب" أكثر ما يدل على جنون البقر، فمسعود حفار القبور أصيب بهذا المرض لفقدانه زوجته "دحدوحة" فسكن قرب قبرها بانتظار الموت.

"دحدوحة ماتت، وهي لا تزال شابة، وذوت كوردة جوري بين أصابع الحياة" كما وصفها حفار القبور، وهو يرثيها عند قبرها، الذي حفره لها، وأسبغ عليه من حنوّ عشقه، ليجعله قبراً مريحاً لروحها كسرير عرسها.

السينوغرافيا

يقول حفار القبور في حوار طويل "أيكون خطئي أني جئت في زمن الفتنة أو ربما جيء بي أو ما شاء القدر أن أجيء في هذا الزمن العاصف بالإرهاب والكوارث". ويتعالى صوت أم كلثوم وهي تغني رباعيات الخيام، وبما في الأبيات الشعرية وصوت سيدة الطرب من شجن، فيتحول الحوار إلى حفلة حزن. وكل واحد من الحضور، تساءل عن صدق وحميمية السؤال، لماذا جئنا إلى هذا العالم في هذا الزمن وليس في غيره؟

المقبرة هي مأوى الأموات لكنها تصير مأوى لحفار القبور في حياته، فهو أينما ينظر يرى الجماجم، وشواهد القبور، وبقايا الهياكل العظمية التي جرفها السيل.

وساهمت السينوغرافيا في إغناء المشهد: شموع وإناء من الفخار للماء، وفأس للحفر، وشواهد قبور مكتملة، وأخرى لا تزال غير مثبتة لقبور معدة لأموات جدد. وأكثر ما في السينوغرافيا من مؤثرات ما ارتداه حفار القبور من ملابس، وقلائد تنتهي بجمجمة وقفازات، وكلها ترمز للموت، وإخفاء أثر الموتى. حفار القبور يردد حواراته بالعربية الفصحى، لكنه بين الحين والآخر يتحدث باللهجة الدارجة.

فهو يتحدث بالفصحى حين ينتقل من شخصية حفار القبور إلى شخصية الممثل، فيحكي عن شكسبير، وهاملت، وجثة أوفيليا. ويقول عنها "إنّها زهرة عذارى الميتات في مسرح شكسبير" وعندما يتناول جثمانها، الذي تحول إلى هيكل عظمي يخاطبها، بلهجة الفاقد المثكول. ويسأل الله تعالى للعذارى الميتات الرحمة والمغفرة، فتسيطر على الجمهور في قاعة العرض لحظات حزن وذهول، للمشاعر الصادقة، التي نقلها الزروالي لمشاهديه، وكأن ما يحدث أمامهم ليس بعيداً عن كل شخص حضر العرض، وتعرض إلى تجربة مماثلة.

جنون الحب

التطهير الدرامي لحزن الحاضرين ومتاعبهم في حياتهم اليومية، من مساوئ العرض المسرحي الذي حذر منه الكاتب والمخرج الألماني برتولد بريخت. لكنها في "الطيكوك" عملية تطهير كاملة خلال ساعة وربع مدة العرض. ولم تتوقف حوارات حفار القبور في التطهير العاطفي للجمهور عند أوفيليا شكسبير بل شملت معاناة مفكرين وفلاسفة عرب كابن حزم وابن خلدون والتوحيدي وابن رشد الذين عانوا من التطرف الديني والإرهاب الفكري، وعانى غيرهم من الناس العاديين في عصرنا الحالي من الإرهاب. وخاطب مشاهديه "لا إله إلا الله، الله الرحمن الرحيم، الموت آت، مهما تعددت الأسباب، يا من أنتم فوق التراب أو تحته.. اسمعوا كلامي وتبصروا في دنياكم قبل آخرتكم".

واستأثر صوت الفنان عبدالحق الزروالي على الكثير من الحاضرين لوضوح نبراته، وأثرت فيهم جهشاته الباكية على ما أصاب بلداننا العربية من موت ودمار بسبب الإرهابيين.

وقال في نهاية العرض بلهجة الواثق مما يقول مسترجعاً شخصية حفارالقبور "أنا سيد المقبرة، أنا من رتّب القبور حسب الحروف الأبجدية. عندي الفلاسفة والشعراء، والسماسرة، والطيبون، والجميلات والقبيحات وأهل البطون". ولا تغيب عن حفار القبور قصيدة بدر شاكر السياب "حفار القبور" فيذكرها. فتتناغم أبيات القصيدة مع ثيمة العمل، ويردد حفار قبور السياب "ضوء الأصيل كالحلم الكئيب على القبور/واه كما ابتسم اليتامى أو كما بهتت شموع/في غيهب الذكرى يهوم ظلهن على دموع" ويسترسل قائلاً " يا رب ما دام الفناء/هو غاية الأحياء فأمر يهلكوا هذا المساء/ سأموت من ظمأ وجوع".

مسرحية "الطيكوك" تناولت مزايا جنون الحب ومساوئه، ورثت حياة الناس في حياتهم وبعد موتهم، ولم تعدم المواقف الكوميدية التي أضحكت الجمهور وجعلتهم يصفقون فرحاً. ورسمت أفقاً رحباً لهم بكلمات الأمل بغد جديد يكون الناس فيه قد عرفوا أن العنف والظلم ضد مسيرة الحياة، وأن الفرح والحب والسلام غايات حقيقية للعيش في دنيانا، حتى تتحول الدمعة إلى ضحكة وتكشيرة الحزن إلى فرحة دائمة.

حفار القبور نموذج مسرحي هاملتي

مخرج وممثل بألف وجه ووجه

كينيث برانا.. عشق المسرح ووقع في غرام السينما

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

❏ بدافع العشق الشخصي لمسرحيات شكسبير والاهتمام الخاص بالأطفال وصغار الشباب، شارك الممثل والمخرج البريطاني كنيث برانا مؤخرا مع مجموعة من الشباب في إخراج وإنتاج فيلمين قصيرين عن مسرحية "روميو وجوليت" الشهيرة لوليم شكسبير. وقد عمل برانا متطوعا لحساب مؤسسة رعاية الأطفال البريطانية بارنادو بل وأشرف أيضا على "ورشة" عمل ضمت مجموعة كبيرة من الشباب.

وفي السابع من يوليو شاهد الملايين من المتفرجين في العالم، الفيلمين القصيرين اللذين عرضا قبل العرض المباشر (بواسطة التكنولوجيا الحديثة الرقمية) لمسرحية "روميو وجوليت" في إنتاجها الجديد التي أخرجها برانا بالاشتراك مع روب أشفورد، منقولة مباشرة من مسرح غاريك في قلب العاصمة البريطانية.

قام ببطولة المسرحية الجديدة ريتشارد مادن وليلي جيمس، بالاشتراك مع ستة عشر شابا أدارهم جميعا كنيث برانا كما اشتركوا معه في سلسلة من الأفلام الوثائقية التي تبحث في معنى ومغزى وطريقة استقبال روميو وجوليت من جانب الشباب، والاستماع إلى قصص الحب التي مروا بها في شبابهم المبكر.

وقال برانا إنه سعيد بالتجربة كما أوضح أنها كشفت له أن شباب اليوم لا يختلف عمّا صوره شكسبير في مسرحيته التراجيدية قبل 400 سنة.

كنيث برانا الذي لا يزال يجرّب مع الشباب، يعتبر أحد أيقونات المسرح البريطاني. ولكنه أثبت أيضا نجاحا كبيرا في الأفلام التي أخرجها وقام أحيانا ببطولتها في السينما، وأحدثها فيلم "سندريلا" الذي قدم فيه بأسلوب بديع، القصة الرومانسية المعروفة، في أحد أفضل المعالجات السينمائية لتلك الأسطورة، دون أن يقع في الأداء المسرحي بل نجح في جعل الفيلم عملا شديد الجاذبية بأسلوبه البصري، وقدرته على المزج بين "التحريك" والتمثيل الحيّ الذي شارك فيه عدد من كبار الممثلين وعلى رأسهم كيت بلانشيت التي قامت بدور زوجة الأب المتعجرفة التي تقمع سندريلا وتسيء معاملتها لحساب الدفع بابنتيها إلى الواجهة لعل إحداهما تلفت نظر الأمير الشاب الوسيم، غير أنه يقع في غرام سندريلا.

هنري الخامس

فاجأ الكثيرين من قبل عندما رشح الفيلم الذي أخرجه وقام ببطولته وهو "هنري الخامس" لنيل عدة جوائز أوسكار، وفاز بالفعل ببعضها، أهمها جائزة أحسن ممثل التي نالها برانا، كما فاز بجوائز من الأكاديمية البريطانية للسينما والتلفزيون. لكنه رغم هذا النجاح لم يركن إلى السكون أو إلى اجترار ما حققه من نجاح، بل أدار وجهه لوطنه إنكلترا وقصد عاصمة السينما العالمية هوليوود التي أغوت الكثيرين من قبله.

كينيث برانا اسم معروف لجمهور المسرح البريطاني، معروف بأدواره في مسرحيات شكسبير ذائعة الصيت. لكنه حائر حيرة شديدة بين السينما والمسرح، بين شكسبير وهيتشكوك، بين الاكتفاء بالعمل في التمثيل والجمع بين الإخراج والتمثيل.

في هوليوود أخرج برانا فيلم "ميت مرتين". لكن البعض اتهمه بأنه اقتبس من السينمائيين السابقين عليه، وأنه لا يتمتع بالقدرة الكافية على الابتكار. ويرد هو بتواضع مثير للاستغراب "أنا لا أقتبس، ولكنني أوجه تحية إلى السينمائيين الذين أشعر بالحب والإعجاب لأعمالهم".

عندما كان كينيث في الثلاثين من عمره، لم يكن يعرف حقيقة نفسه، هل هو مخرج سينمائي، أم ممثل، أم رجل مسرح متمرس أطلق عليه البعض ذات يوم "لورانس أوليفييه الجديد"، أم مجرد إنكليزي محافظ متطرف في مشاعره الوطنية؟

ماذا يريد كينيث برانا

بعد النجاح الكبير الذي حققه فيلمه "هنري الخامس" انهالت عليه العروض لإخراج المزيد من الأفلام.. من نوعية أفلام الحركة والمغامرات، لكن العامل المشترك الذي يربط بينها أنها تحتوي على مشاهد تدور في أجواء ممطرة وتمتلئ بالمعارك، أي على غرار "هنري الخامس". كذلك عرضت عليه ثلاثة سيناريوهات عن حياة شكسبير، وسيناريو آخر عن حياة العالم البيولوجي الفرنسي الشهير لويس باستير.

لكن برانا يصر على أنه ليس من النوع الذي يسهل على المنتجين حصره في إطار نوعية معينة من الأفلام. كان منتجو هوليوود يتساءلون في حيرة: ما يريد هذا الشاب الذي فاز بالأوسكار والذي يسير متأبطا أعمال شكسبير الكاملة؟

فيلم "ميت مرتين" من النوع البوليسي المثير قام فيه برانا بدور مفتش بوليس في لوس أنجلس تستنجد به امرأة تعاني من ضعف الذاكرة، تعاني من الكوابيس الليلية وترى جريمة وقعت في مكان ما منذ أربعين سنة، أي قبل أن تولد هي. ويستعين المفتش برجل من خبراء التحليل النفسي، يقوم باستدعاء الماضي وإحيائه لدى المرأة. وينقسم الفيلم منذ تلك اللحظة إلى قسمين: الأول يصور مجرى التحقيق العادي وجلسات التحليل النفسي، والثاني نرى فيه من خلال الأبيض والأسود، الجريمة التي وقعت في الماضي. وتقوم بدور المرأة إيما ثومبسون، زوجة برانا السابقة وشريكته في الكثير من أعمال المسرح والسينما قبل أن ينفصلا بالطلاق عام 1995. ويقوم نفس الممثلون بأداء الأدوار في الماضي والحاضر، وينتقل الفيلم من الماضي إلى الحاضر ثم إلى لحظات من المستقبل أيضا.

هناك من ناحية رومان شتراوس الموسيقار الألماني الذي قتل زوجته بالمقص ودفع حياته بالإعدام على الكرسي الكهربائي عقابا على جريمته البشعة، وهناك من ناحية أخرى مايك تشيرش المخبر الخاص الذي يتردد على كل الأماكن، ثم الصحفي آندي غارسيا الذي يحقق في الجريمة ويحاول الحصول على سبق صحافي لجريدته.

تأثير المواطن كين

ربما كانت هناك أجواء في الفيلم شبيهة بأفلام مثل "ربيكا" لهيتشكوك أو "منزل دكتور إدواردز"، لكن الحقيقة أن المخرج الذي ترك تأثيرا حقيقيا على كينيث برانا هو أورسون ويلز وفيلمه الشهير "المواطن كين". لقد تأثر على نحو خاص بالبحث متعدد الأطراف في حادث واحد، البحث الذي يتناول الماضي في علاقته بالحاضر، وإعادة بناء الشخصية لمحاولة فهم تصرفاتها.

في فيلم «ميت مرتين» كان برانا أمام الكاميرا وخلفها

كينيث برانا أثبت موهبته في المسرح والسينما

وعلى الرغم من كون الفيلم شديد التعقيد في بنائه بالنسبة إلى ما هو سائد من أفلام في الوقت الحالي، فقد حقق نجاحا كبيرا في عروضه بالولايات المتحدة. والطريف أنه عندما عرض الفيلم لأول مرة عرضا خاصا، انتفض أحد المنتجين من مقعده غاضبا في منتصف العرض وغادر القاعة متسائلا في استنكار: ما هذا الهراء؟ لكنه عاد فاعتذر بعد ما حققه الفيلم من أرباح!

كينيث برانا من مواليد عام 1960، ولد في مدينة بلفاست عاصمة إقليم أيرلندا الشمالية. كان والده صانع خزانات، وكان يعترض إقبال ابنه بلهفة على القراءة. وفي عام 1969، مع تدهور الأحوال السياسية وتصاعد العنف بين البروتستانت والكاثوليك في المدينة، غادرت الأسرة بلفاست إلى إنكلترا. وكان هذا من حسن حظ كينيث، حيث استقرت الأسرة في بلدة "ريدنغ"، وهي نفس البلدة الصغيرة التي سجن فيها أوسكار وايلد منذ زمن طويل والتي وصفها بقوله "الأفضل أن يراها المرء من القطار".

عن الصراع الديني والطائفي في أيرلندا الشمالية يقول كينيث برانا "إنني أنتمي لأسرة بروتستانتية، ولكن كل علاقتي بالصراع في بلفاست، كانت تتمثل في قيامي بسرقة مسحوق الغسيل من الدكاكين المحترقة بفعل أعمال العنف. وعندما كنت أعود إلى البيت وكانت أمي تشاهد ما في يدي، كانت تجبرني على إعادته إلى الدكان. وبهذا انتهى نشاطي السياسي"!

في المسرح

كان برانا تلميذا مشاغبا ولكن لامع الذكاء. وسرعان ما اتجه إلى المسرح الذي كان بمثابة "الهروب الكبير" لديه كما وصفه فيما بعد. لكن لكي يصبح "برانا" ممثلا مسرحيا كان عليه أن يبذل جهدا كبيرا في التخلص من لكنته الأيرلندية الثقيلة. وسرعان ما تم قبوله في فرقة شكسبير الملكية المسرحية، ثم تمرد عليها وأسس فرقة مسرحية خاصة أطلق عليها "فرقة النهضة".

ونمت معه رغبته في القيام بدور هنري الخامس. ولكن عندما عرض رغبته تلك على أحد المنتجين المسرحيين، قام الرجل بطرده على الفور. ويروي هو تفاصيل غريبة وممتعة في مذكراته التي نشرها وهو لم يتجاوز بعد الثامنة والعشرين من عمره، وأطلق عليها " البداية".

عن سيناريو "ميت مرتين" يقول برانا "كان السيناريو مشجعا جدا فقد وجدت فيه كل الأجواء التي أحبها، الغموض والإثارة. والأهم أنه يروي قصة جيدة، وذلك هو جوهر براعة شكسبير".

في الفيلم يقوم برانا بنفسه بأداء دور الموسيقار الألماني الذي اتهم بقتل زوجته عام 1947، والذي أعدم بناء على رغبته لإثبات حبه الشديد لزوجته. أما مفتش البوليس الذي يجد نفسه في التسعينات مدفوعا للبحث في الجريمة مرة أخرى، فإنه لا يستطيع أن يقاوم شعوره بالتعاطف مع الرجل إلى أن يكتشف الحقيقة العارية.. براءة الرجل من الجريمة!

تغيير الجلد مرتين

الغريب أن برانا كان عليه مرة أخرى لكي يقوم بالدور أن يغير من لهجته الإنكليزية الشكسبيرية هذه المرة، إلى اللهجة الأميركية التي تناسب شخصية مخبر أميركي مع ملاحظة أنه يقوم بدور القاتل الألماني والمخبر في نفس الوقت. ولهذا كان يتردد يوميا في العديد من المرات على دور السينما لمشاهدة الأفلام الأميركية الشعبية، ويعود إلى التدرب على النطق بالاستعانة بجهاز تسجيل.

ونجح برانا في اجتذاب ممثلين من الطراز الأول للعمل معه في الفيلم مثل آندي غارسيا وهانا شيجولا وروبين ويليامز. وقد أعرب عن سعادته بالعمل في هوليوود، لكنه قال لمن يشبّهونه بلورانس أوليفييه إنه ربما يشبه أوليفييه في طموحاته لتحقيق الحضور العالمي، غير أنه يختلف عن سلفه في كونه مقاتلا غير هيّن. ويقول إنه في اليوم الأول للتصوير أراد أن يثبت لصناع السينما في هوليوود أنه ليس على استعداد للخضوع لهم بأيّ ثمن، فتعمد أن يأتي متأخرا نصف ساعة عن موعد بدء التصوير.

مبارزة ذهنية

في عام 2007 أقدم كينيث برانا على مغامرة محفوفة بالمخاطر عندما قام بإخراج فيلم "سلوث" الذي سبق أن أخرجه جوزيف مانكفيتش عام 1972 وقام ببطولته ممثلان عملاقان (لا يوجد غيرهما في الفيلم) هما لورانس أوليفييه ومايكل كين. كان أوليفييه وقتها في الخامسة والستين، أما كين فلم يكن قد تجاوز الأربعين عاما. والفيلم الذي يقوم على مسرحية أنتوني شافر، عبارة عن مبارزة عقلية بين رجلين، الأول كاتب روايات بوليسية مشهور وثري، والثاني عشيق زوجة الكاتب وهو مصفف للشعر من طبقة أدنى. يستدرج الكاتب عشيق زوجته إلى قصره حيث يفرض عليه الاشتراك معه في جريمة هي أقرب إلى اللعبة، تقتضي أن يقوم باقتحام منزله وسرقة مجوهرات زوجته حتى يضمن لها وضعا اجتماعيا جيدا بعد أن يتزوّجها، ويضمن الكاتب الحصول على ثمن المجوهرات من شركة التأمين دون أدنى خسارة. ولكن اللعبة تقود إلى مزيد من التعقيدات ثم تفضي إلى مأساة.

كان "سلوث" (وهو اسم بطل روايات الكاتب البوليسية الذي يتمتع بذكاء يكفل له أن يتغلب على مفتشي الشرطة في عالم الخيال) فيلما يعتمد أساسا على التمثيل، وعلى جاذبية الممثلين اللذين قاما ببطولته، وكان يحفل -رغم محدودية المكان الذي تدور فيه الأحداث- بالكثير من الحيوية والحركة والإثارة أيضا. ولم يتصور أحد أن هناك الجديد الذي يمكن تقديمه في حالة إعادة إخراج النص نفسه للسينما، إلا أن برانا عاد إلى النص القديم، بعد أن تناوله الكاتب المسرحي المرموق الراحل هارولد بنتر، ليغير فيه كثيرا ويضفي عليه بصمته المعروفة في أعماله للمسرح والسينما، ويجعل المكان أي منزل الكاتب، يتمتع بكل مميزات المنازل الحديثة، بديكورات غريبة، ونظام للمراقبة عبر الشاشات والريموت كونترول الذي يفتح الأبواب ويزيح الستائر ويكشف عمّا يحدث في الخارج، وبعد تغييرات كثيرة في الحبكة نفسها بحيث يصبح الهاجس الجنسي والنزاع الطبقي هما الغالبان على تلك المبارزة الذهنية بين الرجلين. وقد أسند دور الكاتب إلى مايكل كين نفسه، أما دور عشيق الزوجة الذي سبق أن لعبه مايكل كين فقد قام به جود لو الذي أنتج الفيلم أيضا. والنتيجة أننا أمام فيلم مختلف تماما عن الفيلم القديم، رغم أن الأساس الدرامي الأصلي واحد. وقد نجح برانا وهو الممثل الذي يحسب حساب كل زاوية وتعبير وايماءة، في إضفاء الحيوية على الفيلم، واعتبر "سلوث" عملا مثاليا لبرانا يجمع بين ولعه بالمسرح، وحبه للسينما.

اقتباس شكسبير للسينما في «جعجعة بلا طحين»

أكتوبر يسلط الأنظار على تونس عبر المهرجان المتوسطي لليخوت

مسابقات وعروض أزياء وأنشطة للأطفال تستقطب السياح إلى ميناء قمرت

يتوقع علـى وقع احتضان تونس لمهرجان اليخوت المتوسـطي لأول مرة خلال شهر أكتوبر المقبل أن تسـتقطب بالإضافة إلى ضيوف المهرجان من منسقين ومشاركين ورجال أعمال، الكثير من محبي هذا النوع من المهرجانات مـن الأجانب والمحليين، لا سـيما وأن المهرجـان يحمل بين طياته العديد من المسـابقات الرياضية وعروض الأزياء إلى جانب أنشطة خاصة بالأطفال.

استراحة تجمع الجمال بالهدوء

❑ **تونس** – أعلنـت تونس عن احتضانها لأول مرة في ضواحـي عاصمتها مهرجان اليخوت المتوسطي بالتعاون مع إيطاليا بهدف تنشيط السياحة.

وقال السـفير الإيطالـي بتونس رايموندو دي كاردونـا "إن المهرجـان الذي تسـتضيفه تونس فـي ميناء قمرت خـلال أكتوبر المقبل يمثل حدثا هاما يقام لأول مرة في البلاد".

وأضـاف دي كاردونا "نبذل كل مجهوداتنا لإنجـاح هذا المهرجان والنهوض بالسـياحة والأنشطة السياحية المرتبطة بالماء".

ووفق المنظمين ستشـارك فـي المهرجان قرابة 100 شـركة عارضة، ويستضيف أكثر من 400 لقاء ثنائي بين رجـال الأعمال إضافة إلى العشرات من الندوات وورش العمل.

وأكـد المنظمـون أيضـا أن المهرجـان الـذي سـتنطلق فعالياتـه في الفتـرة من 12 إلـى 16 أكتوبر المقبـل، يتضمن عروضا فنية ومسـابقات رياضية وعروض أزياء وعروضا خاصة بالأطفال.

وبالإضافـة إلـى مـا يمكـن أن يحظى به السـياح والسـكان المحليـون مـن عـروض وأنشـطة ترفيهية فإن قمرت تجتذب الحضور إلى التنزه بها وبالمناطق القريبة منها، إذ تعد امتدادا للخط السـاحلي الـذي يربط عدة مدن منها مدينتا قرطاج وسـيدي أبي سعيد، فهي منطقة سـياحية تقع في الضاحية الشـمالية للعاصمـة التونسـية بيـن مدينتي المرسـى ورواد. وتمتاز قمـرت بموقعها الطبيعي الذي يمسح حوالي 73 هكتارا تحدها ضفاف البحر الأبيض المتوسـط وغابة محمية تمسـح 150 هكتارا وسـيتم إثراؤها في وقت قريب بمنتزه يضـم منشـآت رياضيـة وتنشـيطية. كما أن قمـرت تضـم العديد مـن الفنـادق. وغالبا ما يفضل السياح التوجه إلى المناطق السياحية القريبة من قمرت، لا سـيما وأن لكل منطقة من هذه المناطق عوامل جذب خاصة بها تستقطب الـزوار من كامل أنحاء العالـم، فمدينة قرطاج مثلا يزورها على امتداد السنة أكثر من مليون سائح.

وتعتبـر قرطـاج مدينة حديثـة وعصرية تتعايـش مع مدينـة قرطـاج التاريخية، حيث تصل مسـاحة المدينـة الأثرية إلـى قرابة 65 بالمئـة مـن المسـاحة العامة لقرطـاج التي صنّفت ضمن قائمة مواقع التراث العالمي.

وتقـع قرطاج علـى بعـد 15 كيلومترا من تونـس العاصمـة شـمال شـرق الجمهورية، ويصل طول سـاحلها قرابـة ثلاثة كيلومترات على البحر الأبيض المتوسـط، فيما تقع بلدة سيدي أبي سعيد إلى شـمالها وبلدة المرسى غربها وبلدة الكرم جنوبها.

تحتـوي قرطاج علـى العديد مـن المراكز الثقافيـة ومتحف و20 رواقـا فنيا و20 متنزها عموميـا. ويقـع متحـف قرطاج فـوق هضبة بيرصـا وهو يحفظ ويعرض تحفا أثرية لثلاث فترات كبرى: الفترة الفينيقية البونية والفترة الرومانية الأفريقية والفترة العربية الإسلامية.

وتعـج قرطـاج بالمعالـم ومراكـز الجذب السـياحي، ومـن أهمهـا الحـي البونيقـي والفـوروم وهمـا بمحـاذاة متحـف قرطاج وداخـل نطاقـه ويشـكلان جناحـا تابعا له، وحمامـات أنطونيـوس على شـاطئ البحر وهي من أكبر ثالث حمامات في العالم حجما، وحي المنازل الرومانية والمسـرح الروماني، صهاريـج المعلقـة، المـدرج (أنفتياتر)، حي ماقون وغيرها.

وتعرف قرطاج عالميا بالمهرجان السنوي للموسـيقى، مـن منتصـف يوليـو وحتـى منتصف أغسـطس، وذلك في المسرح الأثري وهو من أبـرز المهرجانات العربية والعالمية وأعرقهـا. كما يقام في قرطـاج مهرجان "أيام قرطاج المسرحية".

وللمسـرح الـذي يقصده الآلاف سـنويا تاريـخ عريق فهـو يتميـز بروعة هندسـته المعمارية وبمدرجـه النصف دائري وتتخلله العديد من الأعمدة الرخامية المنتصبة.

وقد لعب المسـرح الرومانـي دورا هاما في حياة مواطني قرطاج الذين كانوا مولعين بالمسرح والموسـيقى وفن المحاكاة، إضافة إلى الفلسـفة، وهذا ما ساهم في نشر الثقافة في تلك الفترة من تاريخ قرطاج.

وما زال هذا المسرح مزارا هاما للوافدين من محبي الفنون المختلفة، ويحتضن سنويا أحـد أكبـر المهرجانـات الفنية فـي العالم العربي وهو مهرجان قرطاج الدولي. أما مناخ مدينة قرطاج فهو مختلف عن مناخ العاصمة، فهـو متوسّـطي وشـتاؤه لطيـف وصيفـه بارد.

وليـس بعيدا عن قرطاج يجـد القادم إلى تونس نفسـه في مدينة سـيدي أبي سـعيد التي تبعـد 20 كيلومترا عن تونس العاصمة، وهي مدينـة تعتبر مثالا للهندسـة والعمارة التقليديتين وتوجد بهـا العديد من المناطق التي تسـاهم في اجتذاب الزائـر إضافة إلى أماكن أخرى بالقرية.

وتعد هذه المدينة أول محمية طبيعية في العالم حيث تأسسـت في القرون الوسـطى، وذلك عائد إلى كونها واقعة على أعالي منحدر صخـري، فهي تطل على مدينة قرطاج وخليج تونس.

وتعتبر سيدي أبي سعيد من أجمل وأروع الأمكنة السياحية في تونس والعالم العربي، وتتحلى كامل المدينـة بطابع خاص يميزها عـن باقي المـدن المحيطة بهـا يتمثل في أن معظـم بيوتها بيضاء وأبوابهـا عتيقة يغلب عليهـا اللـون الأزرق والنقـوش والزخـارف العتيقة الجميلة.

ومن بين الأشياء التي يحظى بها السائح بهذه المدينة الإطلالة السـاحرة على الخليج من خلال الجلوس في مقهى "سيدي الشبعان" وهي مـن المقاهي التي تحظـى بإقبال كبير ومن أهم نقـاط الجذب بالمنطقـة، بالإضافة إلى "القهوة العالية" وهي أيضا إحدى مواقع تمركـز السـياح بكثرة لأن الكثيـر من الزوار يقصدونها.

ومن المأكولات التي لا يفوت فرصة تذوقها الأجانب والسكان المحليين "البمبالوني".

مهرجان اليخوت المتوسطي الذي تستضيفه تونس في ميناء قمرت خلال أكتوبر المقبل يمثل حدثا هاما يتضمن العديد من العروض

إلى أين تذهب

أفضل متحف في أوروبا يجتذب المزيد من السياح

❑ **سـان بطرسـبورغ (روسـيا)** – اسـتعاد متحـف الأرميتاج في سـان بطرسـبورغ لقب أفضل متحف في أوروبا، بحسـب التصنيف الذي نشره موقع تريب أدفيسور الخاص بالسياحة.

وكان المتحف أعلن عنه في 2014 كأفضل متحف في روسيا وأوروبا والثالث عالميا.

وقـد تم إعداد التصنيف حسـب الخوارزمية الخاصة التي تأخذ بالحسـبان نوعيـة آراء الضيـوف وتصانيف المتاحف فـي مختلف البلدان على مدى الـ12 شـهرا الماضية، حيث ذكر السـياح الأجانب هذا المتحف كأحد الأسباب الرئيسية لزيارة سان بطرسبورغ وروسيا.

يذكـر أن الأرميتـاج يتصـدر تصنيف المتاحف الروسـية أيضا، ويأتي بعده متحفا "تريتياكوف" و"تساريتسـينو" في العاصمة الروسية موسكو.

ويحتل الأرميتـاج ضمن تصنيف أفضل المتاحف العالمية العشـرة المرتبة الثالثة، في حين تعود المرتبة الأولى لمتحف متروبوليتان في شيكاغو، ويشغل معهد شيكاغو الفني المرتبة الثانية في التصنيف العالمي.

ويتوقع أن يكون متحف الأرميتاج الذي استعاد لقب أفضل متحف في أوروبا قبلة الكثير من السـياح على مدار السـنة، لا سيما عشاق المتاحف.

الشرفة الزجاجية التركية تحاول استقطاب 600 ألف زائر

❑ **قـره بوك (تركيا)** – اجتذبت الشـرفة الزجاجية المعلقة، على أخـدود جبلي، في ولاية قره بوك، شـمالي تركيا، 300 ألف زائر، خلال الأشهر التسعة الأولى من العام الجاري.

وأقيمت الشـرفة، وهي الأولى في تركيا عام 2012، على حافة جرف عال فـي أخدود إنجه كوي الجبلي، ويبلغ طولها 11 مترا، وهي قادرة على حمل أوزان تصل حتى 75 طنا.

ويبلغ عمق الأخدود 80 مترا تحت الشـرفة، التي تقع بالقرب من بيوت قره بوك التاريخية، المدرجة على قائمة التراث العالمي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة اليونيسكو.

وقال رئيس الشـركة، التي تدير الشرفة الزجاجية، نورالدين بهجه جي إن الشـرفة تقع عند نقطة التقاء ثلاثة أخاديد جبلية، وهي النقطة الأكثر جذبا للسياح في منطقة غرب البحر الأسود، التي يكثر السـائحين العرب في ارتيادها، ولربما هذه الشـرفة هي أكثر نقطة في تركيا تلتقط فيها صورا تذكارية.

وأشار بهجه جي إلى أن عدد زوار الشرفة، منذ يناير الماضي وحتى اليوم، بلغ نحو 300 ألف شـخص، مشـيرا إلى أن موسم السـياحة لم ينته بعد، وأنهم يطمحون لاستقبال ما بين 500 إلى 600 ألف زائر حتى نهاية العام.

بانكوك أكبر مقصد سياحي لـ2016 بانتظار 33 مليون سائح

❑ **بانكوك** – انتزعت العاصمة التايلاندية بانكوك من لندن مكانتها كأكبر مقصد سـياحي في العالم هذا العام، وذلك وفقا للتصنيف السـنوي الذي أعلنته شـركة ماسـتر كارد لبطاقـات الائتمان.

وأصبحت السياحة واحدة من نقاط التميز القليلة لتايلاند ثاني أكبر اقتصاد في جنوب شـرق آسيا. ويأتي هذا التصنيف على الرغم مما شـهده جنوب تايلاند الشـهر الماضي من تفجيرات.

وجاءت بانكوك التي تشـتهر باسم "مدينة الملائكة" في صدارة قائمة عام 2016 التـي تضم 132 دولة متفوقة على لندن وباريس ودبـي لتصبح أكبر المدن من حيث عدد السـياح الأجانب، وفقا لمؤشر ماستر كارد للمقاصد العالمية.

وقال يووا هيدريك وونغ كبير الاقتصاديين في ماسـتر كارد "لن تكون مجرد مرة وحسـب فبانكـوك في وضع قويّ يمكّنها من أن تصبح أكبر مقصد سياحي لفترة طويلة".

ومن المرجّح أن تسـتقبل تايلاند 33 مليون سائح هذا العام وهو رقم قياسي جديد بفضل قفزة في أعداد الزوار الصينيين.

ويتوقع أن تسـتقبل بانكـوك 21.47 مليون سـائح في 2016 متفوقة على لندن التي ينتظر أن يزورها 19.88 مليون سائح.

وكانـت العاصمة البريطانية صاحبـة الصدارة ضمن قائمة 2015.

استفسارات سياحية

◄ تطبيق يساعد على التحضير للسفر

❑ تطبيق "باك آند باغ" يتيح لمستخدمي أبل التجهيز للرحلة من خلال الحصول على عدد كبير من القوائم مسبقة الإعداد لمختلف الأغراض التي يحتاجها المسافر.

ومن بين هذه القوائم "السفر مع طفل رضيع" أو "رحلة تزلج". وكل فئة من هذه الفئات تحتوي على عدد كبير من بنود الملابس والمعدات التي يجب اصطحابها أثناء الرحلة، حيث يمكن للمستخدم الاختيار من بين هذه البنود لتجهيز قائمته الخاصة به والتي سيستخدمها في التأكد من وجود كل ما يريده في الحقيبة. ويقوم التطبيق بتذكير المستخدم بالأشياء المهمة التي يجب عليه القيام بها قبل السفر.

◄ خزنة غرفة الفندق غير آمنة

❑ الاحتفاظ بما قد يصطحبه المسافرون معهم من مقتنيات ثمينة في مكان آمن يعتبر شغلهم الشاغل على الدوام، وهذا ما يدفع بالكثيرين للاحتفاظ بها في خزنة غرفهم بالفنادق.

وبحسب أحد السياح الذي نشر شريط فيديو فإن على المسافرين الحذر من ذلك لأن خزنة الفندق يمكن فتحها من قبل أيّ شخص باستخدام رمز إعادة تعيين افتراضي، حيث تحتوي معظم الخزائن على رمز بديل وهو ستة أصفار ويمكن لإدارة الفندق تعديله لأيّ رقم آخر. ونصح السائح نزلاء الغرف بعدم ترك أشيائهم الثمينة داخل خزنة الغرفة والاحتفاظ بها معهم أينما ذهبوا.

◄ منتصف الطائرة أفضل مكان للجلوس

❑ البروفيسور أندرياس شتروماير يوضح أن الاضطرابات التي تحدثها الطائرة في الهواء لا تحدث بدرجة متساوية في جميع أرجاء الطائرة.

ويقول معهد تصميم الطائرات بجامعة شتوتغارت الألمانية "بشكل أساسي يشعر الركاب في منتصف الطائرة بأقل درجة من الاهتزازات والاضطرابات في الهواء". ويرجع ذلك إلى أنه يتم في هذه المنطقة تثبيت الجناحين في جسم الطائرة، وبالتالي فإن هذه المنطقة تكون الأكثر ثباتا واستقرارا. بالإضافة إلى أن الركاب في هذه المنطقة بالكاد يشعرون بقوى التحكم والتوجيه.

وعلى الجانب الآخر، يعتبر الجزء الخلفي هو أكثر الأماكن اضطرابا في الطائرة.

◄ غوغل تقدم دليلا سياحيا خاصا

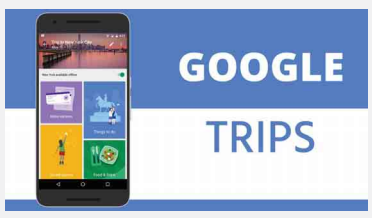

❑ شركة غوغل تطلق رسميا تطبيق الرحلات الذكي "غوغل تريبس" على نظامي "أندرويد" و"آي أو إس" مجانا، وذلك بعد فترة تجريبية استمرت خمسة أشهر.

ويهدف التطبيق الجديد من غوغل إلى مساعدة المسافرين على تخطيط العطلات والرحلات بطريقة منظمة وذكية والحصول على معلومات وافية حول وجهاتهم السياحية دون مشقة أو عناء.

وأفادت غوغل بأن التطبيق يسهّل على المستخدمين استكشاف العالم من خلال تنظيم المعلومات الأساسية في مكان واحد ومن ثم إتاحتها للمستخدم حتى في حال عدم الاتصال بالإنترنت، معتبرة أن التطبيق بمثابة الدليل السياحي الخاص.

خبرات علماء التكنولوجيا في خدمة مكافحة الجفاف

دبي تهيئ مدينة تقلل من استخدام الماء والصين تطلق غيوما اصطناعية

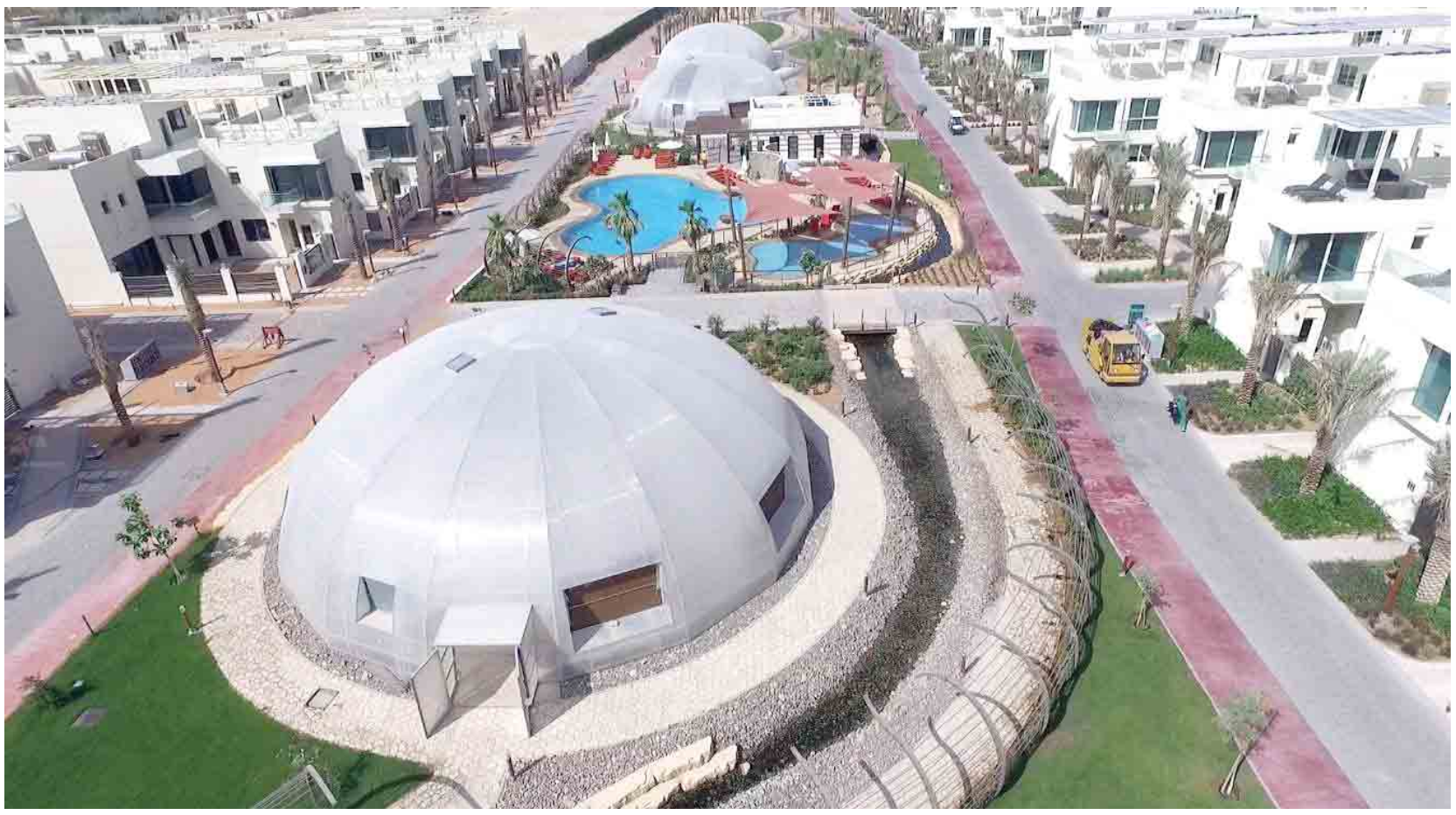

الحياة تكافح الجفاف

يعمل قطاع التكنولوجيا على إيجاد حلول ناجعة للخروج بالكثير من البلدان من حالات الجفاف التي اجتاحتها، كما يحاول الخبراء اختراع تقنيات جديدة قادرة على تجنيب العالم موجة الجفاف المتوقعة مستقبلا. وتداولت العديد من المصادر الإخبارية مؤخرا اعتكاف عدد من العلماء في مختلف الدول على الخروج باختراعات بإمكانها تخزين أو تقليل نسب استهلاك المياه الصالحة للشرب، بالإضافة إلى التحكم في المناخ، والحفاظ على الموائد الطبيعية وحماية الأنظمة البيئية.

❏ **لندن** – ترجح العديد من التقارير الواردة مؤخرا تزايد إمكانيات حدوث جفاف في الكثير من الدول، وهو ما أشار إليه عدد كبير من الدراسات، والتي توقع زيادة درجة حرارة كوكب الأرض حتى عام 2100 وتغير أنماط ونسب هطول الأمطار.

وأفاد خبراء تابعون لوكالة ناسا الأميركية في تقارير جديدة نشرت في الآونة الأخيرة، أن هناك نماذج مناخية عالية الجودة لتوليد واستخراج بيانات مناخية خاصة بكل نقطة على سطح الكوكب تقريبا وعلى مدار كل شهر من كل عام وهكذا حتى نهاية القرن.

وبحسب هذه النماذج سيصبح عشرة مليارات نسمة من سكان المناطق الأدفأ في العالم، كما سيهرب الكثيرون من المناطق ذات الحرارة التي لا تطاق والتي سيغمر فيها منسوب المياه المنازل والبيوت.

ومثّلت هذه التقارير وغيرها حافزا لدى العديد من العلماء لإيجاد حلول تنقذ العالم من موجات الجفاف المقبل عليها، ومن بين المحاولات مشروع المدينة المستدامة في دبي وهو من المشاريع السكنية الرائدة في العالم التي تطمح إلى الاعتماد على طيف واسع من الحلول المتكاملة والمستدامة سواء في إنتاج الطاقة، أو تقليل استخدام المياه، وهي ستساعد في تقليل البصمة الكربونية في العالم.

وقال رئيس الشؤون التجارية في الشركة المطورة دايموند ديفلوب إن مشروع مدينة دبي المستدامة سيحتوي على نظام فصل بين المياه السوداء والرمادية ومعالجة الرمادية منها لإعادة استخدامها في المدينة. وأبدى علماء وسياسيون في الصين، عزمهم على إطلاق برنامج واسع للتحكم بالمناخ فوق أراضي البلاد. ويقترح الخبراء بدء استحداث غيوم اصطناعية ممطرة فوق منطقة جبال التبت، والتي ستؤمن بدورها حوالي 5 ملايين متر مكعب من المياه سنويا، لتعويض نقص المياه في حوض النهر الأصفر.

كما أوضح الخبراء الجدوى الاقتصادية للمشروع الممول من سلطات مقاطعة شنغهاي، وهي بدورها وضعت مسائل التحكم بالمناخ ضمن أهم أولوياتها للخطة الخمسية القادمة.

وفي شرح عن خطة المشروع الجديد، قال وان غونتيان رئيس جامعة شنغهاي "توجد منطقة تقع على حدود طبقة التروبوسفير للغلاف الجوي، وهي عبارة عن قناة منظمة لنقل بخار الماء، تدعى بـ"النهر السماوي".

وخطة العلماء هي اعتراض المياه في تلك المنطقة وتحويلها إلى غيوم ممطرة، بواسطة مواد كيميائية سيتم إيصالها لتلك الطبقة من الغلاف الجوي عن طريق الصواريخ أو الطائرات.

ومن أجل ضمان تحكم أفضل بعمل البرنامج المتوقع، يقترح الخبراء إطلاق قمر صناعي مخصص لتلك الأغراض.

ورغم تأكيد غونتيان على وجود تلك الطبقة المسماة بالنهر السماوي، فقد شكك علماء آخرون من جامعة شنغهاي بإمكانية التحكم بتلك المساحات الواسعة من طبقات الغلاف الجوي.

وتعد مقاطعة شنغهاي، من أكبر المقاطعات وأكثرها جفافا في المنطقة الغربية للصين الوسطى. ويوجد فيها العديد من الأنهار، كنهر يانتسي وهوان هي وميكونغ.

وأمام ما يواجهه الآلاف من المجتمعات والملايين من الأسر في جنوب أفريقيا من نقص كبير في المياه، إثر أسوأ موجة جفاف تصيب البلاد في التاريخ، قدمت طالبة مدرسية لا يتخطى عمرها الـ16 عاما أواخر الشهر الماضي مشروعا للخروج من هذه الأزمة. وقد فازت كيارا نيرغين، وهي طالبة من جوهانسبرغ بجائزة "التأثير على المجتمع" لمنطقة الشرق الأوسط وأفريقيا، في معرض علوم غوغل، لمشروعها "لا محاصيل عطشى بعد اليوم".

وأوضحت نيرغين أنها استخدمت في مشروعها قشر البرتقال والأفوكادو لصنع بوليمر (مركب كيميائي) فائق الامتصاص، قادر على تخزين كميات مياه احتياطية بمئات أضعاف وزنها، ما يشكل خزّانات تسمح للمزارعين بالحفاظ على محاصيلهم بأقل تكلفة ممكنة. كما يتميز البوليمر بتوفير الاستدامة، إذ يستخدم منتجات النفايات المعاد تدويرها والقابلة للتحلل.

وتقول أندريا كوهين، رئيسة برنامج معرض علوم غوغل، إن كيارا استطاعت "إيجاد مادة مثالية وغير مكلفة في قشر البرتقال، ومن خلال أبحاثها خلقت وسيلة لتحويلها إلى مياه مخزنة جاهزة للاستخدام بمساعدة من الأفوكادو". وتشرح كيارا أنها أرادت تسليط الضوء ومعالجة أسوأ وأهم أزمة وطنية، للتقليل من آثار الجفاف على المجتمع وتأثيره على المحاصيل.

> قشر البرتقال والأفوكادو تتفاعل في ما بينها لتشكل بوليمر فائق الامتصاص، قادرا على تخزين كميات مياه احتياطية بمئات أضعاف وزنها

وأكدت كيارا أنها قامت بالعديد من التجارب وواجهت الكثير من الأخطاء قبل أن تتحصل على هذه النتيجة.

وأضافت كيارا "وجدت أن قشر البرتقال يحتوي على 64 بالمئة من السكاريد المتعدد وعامل التبلور البكتين، ولذا وجدته خيارا مناسبا. كما استخدمت قشر الأفوكادو لما يحتويه من زيوت"، ثم قامت المراهقة بجمع قشور البرتقال والأفوكادو وتركتها لتجف في الشمس، حيث تفاعلت لتشكل بوليمر شديد الامتصاص.

وقد عيّن مرشد من غوغل للعمل مع كيارا على تطوير البوليمر، كونها فائزة إقليمية، في أمل أن يُختبر اختراعها على الحقول ويضعها من بين المرشحين النهائيين الستة عشر لجائزة عمالقة التكنولوجيا العالميين.

وفي الوقت الذي تسبب فيه الجفاف في نفوق عدد من الأسماك ويصارع فيه العالم بأسره للحفاظ على الموائد الطبيعية وحماية الأنظمة البيئية، باتخاذ أقصى الإجراءات لمنع الصيد والاقتراب من المخلوقات البحرية المهددة بالانقراض، أعلن فريق من الباحثين اختراع روبوتات قاتلة للأسماك.

ويأتي هذا الاختراع في إطار عمل باحثين من شركة "أي روبوت للتكنولوجيا المتقدمة" على إيجاد طريقة للتخلص من أحد أكثر المخلوقات تدميرا لنظام المحيطات الإيكولوجي ألا وهي سمكة التنين.

ويحاول هؤلاء الخبراء الأميركيون القضاء على سمكة التنين التي تُعرف بقدرتها على تحويل الشعاب المرجانية المزدهرة إلى أراض قاحلة في غضون العديد من الأسابيع. كما تؤثر سمكة التنين على الأسماك المحلية التي تجهل وجود أنواع جديدة من الأسماك في بيئتها ولا تعرف كيفية تجنبها، إذ تقوم أسماك التنين بافتراس كمية كبيرة من الأسماك الأخرى دون توقف، حتى درجة السمنة المفرطة. وتتكاثر أسماك التنين بسرعة كبيرة وتعتبر مرنة وقابلة للتكيف إلى حد كبير، ما يشكل تحديا كبيرا لأنصار حماية البيئة في السيطرة على تقدمها. واستطاع هؤلاء الخبراء مؤخرا من تطوير تقنية قد تساعد على الحدّ من تكاثر هذا النوع المدمر من الأسماك، أي "الروبوتات القاتلة".

وقد بدأت الفكرة خلال رحلة غوص في جزر برمودا، عندما التقى مدير شركة أي روبوت التنفيذي، كولن أنغل، بأنصار حماية البيئة المحليين، حيث أخبروه بالمشكلة التي يواجهونها في مياههم. واستطاع أنغل وبعض العاملين في مجال البيئة تطوير فكرة صنع روبوت يقتل هذه الكائنات، لتصبح التقنية جزءا من الشركة غير الربحية أي "روبوتات في خدمة البيئة".

ويجمع تصميم قاتل سمكة التنين بين مركبة تعمل عن بعد وجهاز صعق كهربائي صُنع خصيصا لهذه المهمة. وسيعمل الجهاز بآلية رقابة تسيطر عليه بعد إسقاطه في الماء، إذ يستطيع المتحكم بالجهاز تحريكه داخل الماء مستخدما تقنيات الكاميرات المزودة للجهاز، بهدف الاقتراب من الأسماك والضغط على الزناد لصعقها.

وتشهد نماذج الروبوتات حاليا اختبارات لتقييم أدائها، وكمية الأسماك التي تستطيع التخلص منها، ومتطلبات طاقتها، وأنواع تصاميمها. وقد تستمر التجارب حتى العام المقبل، قبل أن تُرسل للاستخدام في المحيطات.

وكان فريق من العلماء من جامعة بلجيكية قد صرح في يوليو الماضي أنه تمكن من اختراع آلة تحوّل البول إلى مياه نقية للشرب وسماد باستخدام الطاقة الشمسية وهي تكنولوجيا يمكن تطبيقها في المناطق الريفية والدول النامية.

وعلى الرغم من وجود خيارات أخرى لمعالجة مياه الصرف يستخدم النظام المطبق في جامعة جينت غشاء خاصا يقول العلماء إنه أكثر ترشيدا لاستخدام الطاقة ويمكن تطبيقه في مناطق غير متصلة بشبكات الكهرباء.

وقال سيباستيان ديريز الباحث بالجامعة "تمكنا من إنتاج سماد ومياه شرب من البول باستخدام عملية بسيطة والطاقة الشمسية".

وتابع ديريز "يجمع البول في خزان كبير ويسخن باستخدام غلاية تعمل بالطاقة الشمسية قبل أن يمر عبر غشاء يفصل الماء عن مغذيات مثل البوتاسيوم والنيتروجين والفوسفور".

وتحت شعار "تبوّل من أجل العلم" عرض فريق البحث هذه الآلة في مهرجان للموسيقى والمسرح مدته عشرة أيام في وسط جينت وتمكنوا من استخلاص ألف لتر من ماء الشرب من بول المحتفلين.

وقال ديريز إن الهدف هو نشر نسخ أكبر حجما من هذه الآلة في الملاعب الرياضية والمطارات وأيضا الوصول بها إلى المجتمعات الريفية في الدول النامية التي تعاني من نقص إمدادات مياه الشرب والأسمدة.

جديد التكنولوجيا

❏ شركة غوغل تعلن أن متصفحها كروم الشهير سيقوم بتحذير المستخدم بدءا من يناير 2017 عند زيارة مواقع الويب بواسطة اتصال إنترنت غير مشفر.

وسيظهر إرشاد الأمان في البداية مع مواقع الويب، التي تشتمل على نطاقات لإدخال أرقام بطاقات الائتمان وكلمات المرور. ومن المفترض أن يظهر الإرشاد مستقبلا في سطر العنوان الخاص بمتصفح غوغل كروم.

ويمكن للمستخدم التعرف على الاتصالات غير المشفرة من خلال ظهور الحروف "إتش تي تي بي إس" قبل عنوان الإنترنت المعني.

❏ فريق من الباحثين بجامعة ميغيل هيرنانديز الأسبانية يعكف على تطوير روبوت يحمل اسم "أيسوي 1" للمساعدة في علاج الأطفال الذين يعانون من أعراض اضطرابات نفسية ناجمة عن مرض التوحد.

ويعتمد أسلوب العلاج المتّبع حاليا بالجامعة لمساعدة الأطفال مرضى التوحد على استخدام الروبوت أيسوي بالفعل كمساعد للأخصائي المعالج، ولكن أعضاء فريق البحث يريدون دمج خبراتهم في مجال العلاج النفسي السلوكي وعلوم الروبوتات في ابتكار أساليب جديدة لجعل الروبوت أكثر فائدة في جلسات العلاج.

ويعكف الفريق على تطوير الروبوت واختباره على الأطفال، على أن تطرح في يناير 2017 نسخة مجربة ومختبرة من البرنامج المستخدم لتشغيل الروبوت.

❏ شركة بانغ آند أولفسين تعلن عن إطلاق إثنين من السماعات الجديدة متعددة الغرف. وأوضحت الشركة الدنماركية أن السماعات الجديدة تمتاز بشكل مخروطي، وتصدح منها الموسيقى في كل الاتجاهات، لأنها تتمتع بتقنية صوت 360 درجة.

وتعمل السماعات بتقنية النطاق المزدوج لشبكة "دبليو إل إيه أن" اللاسلكية مع تقنية البلوتوث، ويتم ربط هذه السماعات بالهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر اللوحية عن طريق تقنية غوغل كاست وأبل آير بلاي.

❏ شركة فيليبس تقدم نموذجا بديلا للهواتف الذكية المالوفة والذي أطلق عليه اسم "أكسنيوم أي 570"، ويمكن لهذا الهاتف العمل لفترة تصل إلى 139 يوما من دون إعادة شحنه.

وتقول الشركة المصنعة أن فيليبس "أكسنيوم اي 570" يعمل لـ4.6 أشهر من دون إعادة شحنه، إذا كان في وضع الاستعداد. أما في وضع المحادثة فإن الهاتف يستمر بالعمل لمدة تصل إلى 48 ساعة، وبالإضافة إلى ذلك يمكن شحن أيّ جهاز آخر من بطارية الهاتف نفسه.

❏ فريق من المهندسين يتألف من 30 مهندسا ومهندسا معماريا، يشرف على تصنيع ما يشبه المختبر العائم، والذي يبلغ طوله 30 مترا. ويعتبر الزورق الذي أطلق عليه اسم "إنرجي أوبسرفر" سفينة ذاتية السير تماما، تعمل بالطاقة التي تجمعها البطاريات الشمسية وتوربينات الرياح، وكذلك الطاقة التي يولدها الهيدروجين المستخرج من الماء.

وقد نصبت في الزورق الأجهزة الخاصة بالتحليل الكهربائي التي تقسّم الماء إلى الهيدروجين والأكسيجين. ومن المفترض أن تغذي 130 مترا مربعا من البطاريات الشمسية وتوربينات الرياح المحركين الكهربائيين في ظروف الطقس الجيد. وسيعمل المحركان ليلا وفي ظروف الطقس السيء.

يوغا التأرجح تخفف حمل الرياضة على المفاصل والرجلين

تمارين تعتمد وضعيات مقلوبة لتقوية عضلات الجسم

يعمل الكثير من مدربي اللياقة على ابتداع أشكال جديدة ومختلفة من الرياضات وأنواع اليوغا لتوفير قدر أكبر من التمارين الناجعة لتقوية الجسم وتحسين المزاج والصحة.

برلين – تعدّ يوغا التأرجح من أشكال اليوغا الحديثة التي تشهد رواجاً كبيراً حالياً. ويعمل هذا الشكل الجديد الذي يمزج بين اليوغا والأكروبات الهوائية وتمارين اللياقة البدنية على تقوية عضلات الجسم من ناحية، ومنح الروح والنفس شعوراً بالاسترخاء والهدوء من ناحية أخرى. غير أن الاستفادة من هذه المزايا تتطلب التمتع بالصحة واللياقة البدنية؛ لأن ممارستها لا تخلو من المخاطر الصحية.

وأوضح مدرب يوغا التأرجح، الألماني بيورن هويكه، أنه ينبغي على مَن يتقدم للحجز في إحدى الدورات التدريبية لهذه النوعية من اليوغا أن يضع في حسبانه أنه سيخضع لمفاهيم غير معتادة ولتحديات رياضية مختلفة أثناء ممارستها؛ حيث يتخذ المتدرّب وضعاً معلقاً في الهواء بينما تشير رأسه إلى أسفل ويتأرجح بشكل أفقي فوق الأرض ويترك نفسه تنعم بالاسترخاء وكأنه على أرجوحة شبكية.

وإلى جانب بعض تمارين اليوغا العادية، التي تتمّ ممارستها في تلك الوضعية غير المعتادة، أوضح هويكه أن المتدرب يقوم أيضاً بممارسة بعض التمارين الهوائية وتمارين اللياقة البدنية ويقوم بممارسة هذه التدريبات بواسطة حزام قماشي مصنوع من النايلون يبلغ عرضه ثلاثة أمتار ويكون معلقا بالسقف على شكل أرجوحة، ولا يكون ذلك على ارتفاع كبير من الأرض، إنما على بُعد بضعة سنتيمترات فقط فوق الأرض.

التخلص من الجاذبية

كشف، هويكه، الخبير الرياضي المنحدر من العاصمة الألمانية برلين، أن المتدرب يعتمد أثناء تأدية هذه التدريبات على ثقل وزنه الخاص تقريباً دون تحكم قوة الجاذبية الأرضية، فيقوم بالتأرجح والتعلق واللف والدوران والتمدد مع الحزام القماشي وداخله. وأضاف "يدور الأمر عند ممارسة هذه النوعية من التمارين على اتخاذ الجسم لوضعيات مقلوبة".

ويُطمئن مدرب اليوغا الهوائية أنه يُمكن للمبتدئين اتخاذ وضعيات الرأس، التي لم يكن يستطيع سوى الأشخاص المدربين على اليوغا اتخاذها، في هذه النوعية من اليوغا من خلال الحزام القماشي، لا سيما إذا قاموا بلف سيقانهم داخله. وأشار هويكه إلى أن وضعية الرأس المقلوب تعمل على تحرير جميع أعضاء الجسم من الوضعيات المعتادة لها؛ ومن ثمّ تعمل على تحفيز الشعور بالاسترخاء لدى الإنسان.

وتلتقط خبيرة اليوغا الألمانية أوشي موريبادي طرف الحديث، موضحةً أن الفكرة الأساسية لهذه النوعية من تمارين اليوغا ليست جديدة على الإطلاق، قائلةً "هذه الطريقة في تأدية تمارين اليوغا بعيداً عن تحكم الجاذبية الأرضية معروفة منذ فترة طويلة في أشكال اليوغا الطبية أو اليوغا المستخدمة في العلاج الطبيعي، التي كانت تتم ممارستها في الهند في وضعيات متعددة باستخدام الحبال".

وأكدت الخبيرة الألمانية موريبادي، من الجامعة الرياضية للوقاية والإدارة الصحية بمدينة زاربروكين، أن المبدأ المتّبع في تمارين يوغا التأرجح هذه مجد للغاية. وأوضحت "إذا تأملنا الطريقة المتبعة في ممارسة هذه التمارين من الناحية الرياضية، سنجد أنه عادةً ما يستلزم الأمر تشغيل عضلات الجسم على نحو أكبر عند ممارسة التمارين دون تلامس مباشر مع الأرض؛ ومن ثم يتمّ تدريب الجسم بشكل أكبر عند ممارسة هذه النوعية من اليوغا".

وبينت موريبادي أن محاولة إبقاء الرياضي نفسه مثلاً داخل الحزام القماشي يعمل على تدريب عضلات الجذع لديه والتحميل عليها بشكل كبير، ما يؤثر بالإيجاب على العمود الفقري ومدى انتصابه ووضعيته بشكل عام.

تأثير ترفيهي

إلى جانب ذلك يأتي التأثير الترفيهي الناتج عن التأرجح داخل الحزام القماشي، وتقول الخبيرة الألمانية "إنه لشعور رائع عندما يتأرجح المتدرب داخل الحزام، تلك الحركات التي لا يُمكن للإنسان القيام بها في أيّ مكان آخر".

ويقول البروفيسور هيربرت لولغين، من الجمعية الألمانية للطب الرياضي والوقاية، إن بعض مزايا الطريقة المتبعة في هذه التمارين تتميز بأنه تتم ممارستها دون الخضوع لتأثير الجاذبية الأرضية بشكل جزئي. وبذلك يقل التحميل على مفاصل الورك والركبة عمّا يحدث عند ممارسة اليوغا دون الحزام القماشي المعلق".

وأردف لولغين أن الوضعية المقلوبة للرأس لا تعمل فقط على الاسترخاء من الناحية الذهنية، لكن من الناحية الجسدية أيضاً؛ حيث تعمل هذه الوضعية على توفير الاسترخاء للسيقان والعمود الفقري ويُمكنها أيضاً الحد من التشنجات العضلية. ومن خلال تغيير وضعية الجسم على هذا النحو، يدخل الجسد في رحلة بعيدة عن العالم الواقعي، ما يعمل على توفير الاسترخاء للذهن والروح أيضاً.

ويعتقد الكثيرون أن الوقوف على الرأس مضرّ بالصحة ويجهد الجسم ويؤدي إلى اختلال الدورة الدموية وانخفاض ضغط الدم، لكنّ الأمر ليس كذلك تماما. فوضعية الوقوف على الرأس هي الأساس في رياضة اليوغا، وأحد التمارين الشهيرة لرياضة الجمباز، والسبب هو أن هذه الوضعية والتي تعرف أيضا باسم "السيرسانا" لها فوائد كثيرة، وفيما يلي أحد عشر سببا وجيها استعرضها موقع "غيزوندهايت هويته" يدفعنا للوقوف على رأسنا يوميا.

1 – تحسين التركيز: للوقوف على الرأس دور كبير في تنشيط الدورة الدموية وزيادة تدفق الدم إلى الدماغ، الأمر الذي يساعد على تحسين قدراته وبالتالي ضخ الدم بشكل أفضل إلى باقي أعضاء الجسم، وهذا مفيد جدا لتحسين التركيز والأداء ويزيد من شدة النشاط واليقظة أيضا.

2 – التخفيف من الضغط: يعيش الكثيرون حالات توتر وممارسة الرياضة يمكن أن تكون حلاً ملائما للتخلص من الضغط، لكن قلة الوقت تحول دون ممارسة الرياضة. وهنا يمكن أن يكون الوقوف على الرأس وسيلة سهلة للتخلص من التوتر، فضلا عن أنها لا تحتاج إلى الكثير من الوقت. فشدة التركيز التي يحتاجها المرء للوقوف على رأسه تلفت انتباهه إلى ذاته، ما يساعد على تقليل القلق وتخفيض مشاعر التوتر.

3 – تقوية عضلات الكتفين واليدين: يحتاج الوقوف على اليدين إلى قوة عضلية كبيرة جدا في الكتفين والذراعين لتحمّل جزء كبير من وزن الجسم وتخفيف الحمل على الرأس، ما يعني أن الوقوف على الرأس له دور كبير في شدّ الأذرع المترهلة. وللحصول على فائدة هذا التمرين ينصح بممارسة ذلك يوميا لمدة 3–5 دقائق في البداية على الأقل، ثم زيادة تلك الفترة بالتدريج. وتمنح تمارين الوقوف على اليدين القدرة على بناء عضلات الأكتاف بشكل سليم.

4 – التخلص من تورم القدمين: يؤدي الجلوس أو الوقوف لفترات طويلة إلى احتباس السوائل في الساقين والقدمين، وبالوقوف على الرأس يمكن لهذه السوائل المحتبسة في الأطراف السفلية أن تتوزع ثانية في الجسم.

5 – تحسين الدورة الدموية: يوجد القلب تحت الرأس ما يعني أن على القلب بذل الكثير من الجهد لضخ الدم إلى الدماغ وبالوقوف على الرأس يتغير مسار الدورة الدموية نحو الرأس، ما يخفف الضغط على القلب قليلا.

6 – تحفيز الشعور بالقوة: يحفّز الوقوف على اليدين الشعور بالقوة، ولا يعني ذلك القوة الجسدية، فالوقوف على الرأس يتطلب الانضباط والحث على الوقوف بشكل متقن، وهو ما يجعل المتدرب يشعر بالارتياح ويزيد من ثقته بنفسه.

7 – تحسين الهضم: يعتبر الوقوف على الرأس مفيدا جدا لعملية الهضم، فهو يحفز الغدة النخامية والمسؤولة عن سلامة الجهاز الهضمي. كما يساعد أولئك الذين يعانون من مشكلة الغازات وانتفاخ البطن، فالوقوف على الرأس يحسّن من تدفق الدم إلى الجهاز الهضمي.

8 – الإحساس بالسعادة: من يرغب أن يكون سعيدا عليه الوقوف على رأسه، فزيادة تدفق الدم في الدماغ يعد محفزا طبيعيا لتهدئة الجسم، كما يمكن أن يساعد على تحفيز الغدة الكظرية لإفراز المزيد من الهرمونات التي من شأنها أن تخفف من الاكتئاب وتمنح المزيد من الطاقة الإيجابية.

9 – الحفاظ على التوازن: الوقوف على اليدين لفترة 3–5 دقائق يساعد على تقوية الجهاز العصبي، مما يعمل على الحفاظ على توازن الجسم، وبالتالي اكتساب رشاقة وليونة لا بأس بهما.

10 – تقوية عضلات البطن: الوقوف على اليدين يساعد على شد عضلات الجسم بصورة كبيرة، كما يعمل على تقوية أوتار الجسم، وعضلات الفخذين واليدين.

11 – تقوية العظام: الوقوف بوضعية مقلوبة يدعم تحمل الجسم وتقوية العظام وتقليل معدل الإصابة بهشاشة العظام.

مخاطر صحية

استدرك البروفيسور لولغين أن تمارين يوغا التأرجح هذه لا تتناسب مع كل الأشخاص، موضحاً أن تدلي الرأس من أعلى يتسبب في تعرض الأشخاص غير المدربين لبعض المخاطر؛ حيث ينتقل نحو لترين من الدم من الجزء السفلي بالجسم إلى الرأس، ما قد يؤدي إلى حدوث اضطراب في الدورة الدموية والإصابة باضطرابات في الرؤية وقد يصل الأمر إلى الإصابة بسكتة دماغية لدى مرضى ارتفاع ضغط الدم.

وأردف اختصاصي الطب الرياضي أن ممارسة هذه التمارين يُمكن أن تؤدي أيضاً إلى الإصابة بوذمة رئوية عند الأشخاص المصابين بضعف في القلب. لذا أوصى لولغين بضرورة الخضوع لفحص كامل لدى الطبيب قبل البدء في ممارسة هذه التمارين، محذّراً من محاولة اتخاذ الوضعية المرغوبة داخل الحزام القماشي أو باستخدامه بشكل عنيف أو بمقاومة الوضعية السليمة للمفاصل.

وتلتقط الخبيرة الرياضية موريبادي طرف الحديث من جديد مشددةً على ضرورة التمتع بقدر من اللياقة البدنية، كي تتم ممارسة تمارين يوغا التأرجح هذه على نحو سليم، لذا يُفضل ألا يمارسها الأشخاص المبتدؤون في ممارسة الرياضة.

بينما يرى مدرب اليوغا الألماني هويكه الأمر من ناحيتين، "تعتبر هذه التمارين سهلة للغاية من ناحية؛ لأنه سريعاً ما يُمكن للمتدرب خلالها معايشة أولى نجاحاته في ممارسة الرياضة عند قيامه مثلاً بتعليق رأسه خلالها بشكل سليم، ومن ناحية أخرى تتطلب قدراً كبيراً من التحميل على الجسم؛ ومن ثمّة لا بد من التدرب عليها بشكل جيد، كي يتم التحكم بها جيداً". لذا يعرق الأشخاص المبتدؤون في ممارسة الرياضة بشكل كبير عند ممارسة هذه التمارين، ما قد يجعلها غير مناسبة لهم.

وبالنسبة إلى مَن يجدِ ممارسة الرياضة في حالة انعدام الوزن بعيداً عن تأثير الجاذبية الأرضية فكرة مثيرة ويرغب في الاستمتاع بها دون التعرض للمخاطر الصحية المرتبطة بممارسة تمارين يوغا التأرجح، ينصحه اختصاصي الطب الرياضي لولغين بممارسة التمارين المائية؛ حيث يعمل الطفو فوق الماء على إدخال الجسم في حالة من التحليق، ما يُساعد في التخفيف عن المفاصل. ولفت لولغين إلى أن هذه التمارين تُمثل بديلاً جيداً لتمارين يوغا التأرجح بالنسبة إلى الأشخاص المصابين بالأمراض الروماتيزمية.

للتمرن بالمقلوب دور كبير في تنشيط الدورة الدموية

> المتدرب يتمرن بواسطة حزام قماشي مصنوع من النايلون يبلغ عرضه ثلاثة أمتار ويكون معلقا بالسقف على شكل أرجوحة مثبتة جيدا

> هذا الشكل الجديد من اليوغا يمزج بين اليوغا الكلاسيكية والأكروبات الهوائية وتمارين اللياقة البدنية

يوغا التأرجح ترتكز على التمرن باستخدام قماش معلق

العالمة المصرية.. تصفيات جسدية واغتيالات معنوية

فجوة عميقة بين المرأة العربية والعلوم تنشأ منذ طفولتها

لا تـزال عقول معظم المجتمعـات العربية متشبعة بفكرة التفوّق الذكوري، فتتجاهل عقل المرأة وتنظر إليه باستصغار، مكرسة صورة مغلوطة عنها مفادها أنها أقل كفاءة وذكاء في ابتكار النظريات وتقديم الحلول والبراهين في النواحي العلمية.

شيرين الديدامونى
كاتبة من مصر

❑ مُخترعـات عربيات لا يعـرف كثيرون عنهن شـيئا، بالرغم من توصّلهن بجهودهن الفردية إلـى إنجاز اختراعـات مهمة، فقـد أثروا مثلا الحياة العلمية، في الفيزياء والكيمياء والطب، تتجـاوز فائدتهـا حدود بلداهـنّ، وبَدَل من أن تتبنّى الـدُوَل اختراعاتهـن، وتضعها موضع التطبيـق العملي، نجدهـن يواجهن تصفيات، إما جسدية أو معنوية.

الاغتيـال الجسـدي كان مـن نصيـب أولَ امـرأة عالمة مصريـة في التاريخ، الفيلسـوفة السـكندريةً، شـهيدة العلم هيباتيا (370 – 415 ميلادية) التي عاشـت إبانَ العهدِ الروماني مع بدايةِ انتشـارِ الدينِ المسيحي فيَ العالم، وهي ابنةَ الفيلسـوفَ الفَيثاغوري ثيون الذي نشـأ بدوره في مصر وتعلم فيها.

كانـت هيباتيـا أول عالمة رياضيـاتٍ وفلك وفيزياء وفلسـفة، في وقت كانت تلك المَجالات حكـرا علـى الرجال فقـط، حيث قامـت بعمل رسـم الأجرام السـماوية، واخترعـت مقياس ثقل السـائل النوعي (الهيدرومتر) المسـتخدم في قياس كثافـة ولزوجة السـوائل، اخترعت أيضا نوعا من الإسـطرلاب (آلـة دقيقة تُصوَّر عليهـا حركة النجوم وتُسـتخدم فـي الملاحة وفي مجالات المسـاحة لتحديد الوقت بدقة ليلاً ونهارًا). ولأنها نشأت في مجتمع يحتقر المرأة ويكره نجاحاتها وتفوقها، تم اغتيالها لجعلها عبرة لكل أنثى تتجرأ على خوض مجال العلم.

مـع أن هيباتيا جاءت مـن المنطقة العربية وتعتبر مثالا عالميا لمشـاركة المـرأة في العلم، وألهمـت العديد مـن العالمـات العربيات على دراسـة علم الفلـك، إلا أنها غير مشـهورة ولا معروفة لكثيرين.

الفكر الذكوري وحقد الرهبان كانا السـبب في مقتل هيباتيا، لكـن الفكر التآمري والفاعل المجهول هما من اغتالا الدكتورة سميرة موسى أول عالمـة ذرة مصرية، بعد مـرور أكثر من 15 قرنا على وفاة هيباتيا. حصلت المصرية سميرة

> ليلى عبدالمنعم، مخترعة مصرية مقيمة في لندن، من أبرز اختراعاتها بحيرة اصطناعية تستغل كقاعدة لإطلاق صواريخ فضائية

أدوات المطبخ تلازم البنت العربية منذ الصغر

على درجة الماجسـتير عن "التوصيل الحراري مـن خلال الغازات" ثم سـافرت إلـى بريطانيا ودرست الإشعاع النووي، ونالت الدكتوراه في الأشعة السينية وتأثيرها على المواد المختلفة، وتوصلـت من خـلال أبحاثها لمعادلـة خطيرة تسـاعد فـي تفتيـت ذرّات المعـادن الرخيصة والمنتشـرة في كل بقـاع الأرض، مثل النحاس ما يعني إتاحة الفرصة للجميع لامتلاك القنبلة النوويـة بسـهولة. وبـدأت شـهرتها العالمية وأصبحـت خطـرا متحـركا، فتمـت دعوتهـا للولايات المتحدة لوأد هذا الخطر.

هناك أكثر من خمسـين بالمئـة من الفتيات غالبيتهنّ يدرسـن العلـوم أو التكنولوجيا أو الرياضيـات، إلا أن القليل منهن يدخلن معترك العمـل، ومع وجود نسـبة كبيرة من النسـاء الحاصلات على الدكتوراه في المجالات العلمية، فإن قليلات منهن يكملـن طريقهن في مواصلة الأبحاث.

بـرأي مديحـة عبدالقادر، أسـتاذة بالمركز القومـي للبحـوث العلميـة فـي القاهـرة، أن هناك جملة من التحديـات تواجه المرأة العالمة لمواصلـة أبحاثهـا. وقالت لـ"العـرب" إن ثمّة نساء حاصلات على درجات علمية من جامعات عالميـة مصنفة فـي المراكز المتقدمـة، إلا أنهن يصطدمن بتحديات مجتمعية وثقافية لا حصر لهـا، فالباحثـات لا يجـدن فـرص التوظيف، والطالبات لا يلقين الدعم من أسرهن.

البدايـة تكـون مع التنشـئة منـذ الصغر، فدائمـا ما يقول الأهل لبناتهـن إن الرياضيات والعلـوم صعبـة، وعليهـن أن تتجهـن للغات فهي الأسـهل، وعليهن أن يلعبن بالعرائس ولا تفكك السيارات، ويهدونهن أدوات المطبخ ولا يفكـر أحد أن يأتـي لهن بميكروسـكوب مثلا، وبالتالي يترسّخ لدى الفتيات أن خوض معترك التكنولوجيا معناه خسارة لأنوثتهنّ.

من وجهـة نظـر عبدالقادر، مـن الصعب تغييـر تلك الثقافـة بل يجـب التحايل عليها لدعم النسـاء في هذه المجـالات، وردم الفجوة بينهـن والرجال، ولن يتحقق ذلـك إلا بعد أن تشق الأعداد المتزايدة من خريجات الجامعات طريقهـا إلـى البحـث العلمي. لكـن غاب عن عبدالقـادر أنه بمجـرد دخول المـرأة للمجال البحثي سـتتعثر خطواتها، فمعظم الباحثات لا يحصلـن على فرص متسـاوية في مصر لما يحصـل عليه الرجال، مـن حيث الوصول إلى مصـادر التمويل أو المشـاركة فـي المؤتمرات العلميـة التي تتطلب إعـداد بحوث أو أوراق عمـل، بل قد لا توجه إليهن دعوات للمشـاركة من قبل الجهات المختصة.

أمـا إذا حـدث وتخطـت مرحلـة البحث العلمي ووضعت قدميها على سلم الاختراعات تجد نفسـها تحت وطأة تحديات أشد قسوة، فلا توجـد أيّ جهة تمـوّل الأفـكار الجديدة، وعليهـا أن تنفـق علـى اختراعها مـن مالها الخاص، إلى أن تحصل علـى براءة الاختراع ويتـم الاعتراف بهـا، لتدخل بعـد ذلك دوامة عدم وجـود مراكز بحثيـة تتبناها أو تطبقها علـى أرض الواقـع، فتصبح وكأنهـا لم تكن وتعود إلى نقطة الصفر. وإذا تجاوزت مرحلة الصفـر وتم تطبيق اختراعها وأصبحت عالمة ومخترعة قد يتم اغتيالهـا معنويا بتجاهلها من دولتهـا الأم التي لا تعترف باختراعها ولا تتبناه.

ليلى عبدالمنعم، مخترعة مصرية مقيمة في لندن، من أبـرز اختراعاتها بحيرة اصطناعية تُستغل كقاعدة لإطلاق صواريخ فضائية، وفي مؤتمر غلوبل بلندن تسـلمت وسام استحقاق عالمـي، وكان ترتيبهـا الثالث بـين ألف عالم وعالمـة مـن جنسـيات مختلفة في المسـابقة التي تقام سـنويا، قالت عنهـا لجنة التحكيم في المؤتمـر إنها "أمّ المخترعين التي تعمل في صمت أبـي الهول وشـموخ الأهرامات" ومع ذلـك لم تحصل على بـراءة اختراع واحدة من أكاديمية البحث العلمي في مصر.

وفـي الوقت الذي يهتم فيـه موقع "مكتبة جامعـة كورنيـل"، الـذي يعـود إلـى أبـرز الجامعـات الأميركيـة بالدراسـات عن وضع المـرأة العربيـة، يحصر تقاريـره على جرائم الشرف، ولا توجد دراسـات عن المرأة العربية في العلوم والتكنولوجيا. وربما نجح البعض في نقل تلك الصورة السيئة عن المرأة المصرية للخارج، فعندما كانت غادة محمد عامر، نائب رئيس المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا، في الأردن لمناقشة أحد الأبحاث سمعت تعليقا يقـول "ما هـذا هل هذا لديكم فـي مصر؟ كنا نعتقـد أن كل من بمصر جالسـون في شـارع الهرم".

المصريات واللبنانيات مخترعات وباحثات متميزات أيضا

شيماء رحومة
كاتبة من تونس

❑ "منذ متى كانت النساء المصريات أو اللبنانيات مخترعات أو باحثات في العلوم؟ فهن بارعات في الغناء والتمثيل فقط لا غير"، استوقفتني هذه التغريدة لأحد النشطاء على موقع التواصل الاجتماعي تويتر تعليقا على فوز خمس باحثات عربيات بجوائز برنامج "لوريال-يونسكو من أجل المرأة في العلم"، وما لفت انتباهي إصرار الناشط على تقييد المرأة العربية بالصورة النمطية التي تشدها بقوة إلى الوراء.

حاول ساخرا إفراغ صور العربية من أيّ نجاحات وربطها بالاستهتار والمجون، وهو أمر مستنكر من ناشط على مواقع التواصل الاجتماعي لأنه غالبا من المثقفين المواكبين لتطورات العصر وهي السمة الغالبة على مستخدمي هذه المواقع.

حقيقة بت أتسأل على أيّ أساس نشر الناشط تغريدته هل وجد خبر فوز الباحثات مصادفة على تويتر أم أنه فعلا يعرف البرنامج وأهدافه؟ وهل اطّلع على مضمون الخبر أم اكتفى بالعنوان؟

أرى أن التغريدة، والتغريدات التي على منوالها كثيرة، إن دلت على شيء فإنها تدل على أحكام مسبقة حول صورة المرأة العربية ولا تحتاج من بعض العقول الذكورية التوقف عند مثل هذا الخبر والتمحص فيه جيدا. لنحاول معا التعرف على ماهية برنامج لوريال-يونسكو من أجل المرأة في العلم ولنقل إنصافا للمرأة العربية التي صنعت من النظرة الدونية سلّما ارتقت به إلى العالمية، وهي فرصة لإيضاح أن المرأة مصرية كانت أم لبنانية، سورية أو أردنية أو عراقية، وما مهما كان البلد الذي جاءت منه، ما دامت تكافح باحثة في العلوم أو غيرها فنانة أو راقصة أو ممثلة أو ربة بيت فإنها جديرة بالاحترام والتقدير لا العكس.

ولعل ما يميز البرنامج الذي تأسس سنة 1998 بالتعاون بين مؤسسة لوريال ومنظمة اليونسكو أنه الأول من نوعه في العالم العربي الذي يسعى إلى إبراز دور المرأة العربية في العلم والحاجة إلى تعزيز مشاركتها في البحوث العلمية والتنمية، ويشجع على كسر الحواجز التي تعوق مشاركتها الفاعلة في تطور العلوم.

وقد حقق البرنامج تقدما كبيرا في مشاركة المرأة في العلم ودورها منذ إطلاقه، والدليل على ذلك تكريمه لحوالي 2530 امرأة، حيث دأب سنويا على اختيار خمس عالمات عربيات استثنائيات.

وعمل البرنامج منذ انطلاقه على تسليط الضوء على الدور الحاسم الذي تلعبه المرأة العربية في حقل العلوم من خلال تكريم باحثات عربيات متفوقات قدّمن أبحاثا جيدة في مختلف مجالات العلم.

وجاء تكريم البرنامج هذه السنة لـ5 باحثات عربيات من لبنان والأردن وسوريا والعراق ومصر، من أصل 89 باحثة من حملة شهادة الدكتوراه، نتيجة تقديمهن لأبحاث متطورة في شتى مجالات البحوث، ومنها المتعلقة بأبحاث السرطان، والمواد المشعة والتشخيص الطبي الإشعاعي والأبحاث الجوفية والمواد السامة.

هذه بعض النقاط حول البرنامج وطبيعته وهي تبدو، حسب اعتقادي، كافية لتعزيز وتشجيع دور المرأة العربية في مجال العلوم والأبحاث، وإبراز دورها الرائد في تطور العلم والكسر مع صورتها النمطية، وخير إثبات على ذلك وجود سوريّة ضمن الفائزات تحدت الوضع الراهن في بلادها وكافحت رغم الحرب والتشتت ونجحت.

وأرجو أن يحاول سواء النشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي أو قراء الصحف أو مشاهدو القنوات التلفزيونية التركيز على ماهية الخبر لا البناء على بعض المفردات من قبيل فازت امرأة عربية باحثة وغيرها من الكلمات التي تثير في بعض النفوس ضغينة تقزيم الآخر لا سيما إذا ما كان امرأة.

ومن المعلوم أن أغلب الفنانات والممثلات العربيات حاصلات على شهائد علمية بدرجة حسن جدا وهنّ متفوقات على جميع المستويات، ولسن مجرد قوام رشيق وجمال صارخ فحسب بل وعقول تفتقت على جلّ العلوم. ولعل هذه رسالة ضمنية من مؤسسة لوريال التي اشتهرت بمستحضرات التجميل مفادها أن لا تعارض بين الجمال والعقول المتقدة.

«لوريال- يونسكو» يكرم سيدات عربيات لتفوقهن في العلوم والأبحاث

المرأة العربية رائدة في العلم

❑ **بيروت** – احتفل برنامج "لوريال-يونسكو من أجل المرأة في العلم" بتكريم خمس باحثات عربيات من لبنان والأردن وسوريا والعراق ومصر، برعاية نائب رئيسة الهيئة الوطنية لشؤون المرأة اللبنانية رندة عاصي بري، وذلك في المعهد العالي للأعمال.

وشهد الاحتفال مشاركة بارزة من شخصيات عربية ودولية، فقد حضر الأمين العام للمجلس الوطني اللبناني للبحوث العلمية معين حمزة، والمدير العام للوريال المشرق العربي فيليب باتساليديس، والأمينة العامة للجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو زهيدة درويش جبور، بالإضافة إلى سفراء وقناصل وممثلين عن هيئات علمية ومؤسسات أكاديمية، وجمعيات نسائية وأهلية وإعلاميين.

وأعلن بيان للمؤسسة لوريال أن برنامج لوريال-يونسكو من أجل المرأة في العلم حقق تقدما كبيرا في مشاركة المرأة في العلم ودورها منذ إطلاقه عام 1998. وقد بلغ العدد الإجمالي للباحثات المكرمات 2530 حتى العام 2016 وقد حازت منهن 2438 باحثة على زمالة البرنامج من 112 دولة حول العالم. كما حصلت 92 باحثة على درجة تكريم عليا لنجاحهن في مجال العلوم ومن بينهن حائزات على جوائز نوبل.

وعلى الرغم من نجاحات هذا البرنامج، ومن أجل تمكين مشاركة المرأة في العلوم، فإنه استكمل بإطلاق بيان (مانيفستو) لوريال-يونسكو من أجل المرأة في العلم وهو وثيقة عالمية من ست نقاط للتوعية على أهمية مشاركة المرأة في العلم. ويتضمن البيان تعهدا لتمكين المرأة من لعب أدوار قيادية ومتقدمة في العلوم، ومواجهة العقبات التي ما زالت تؤثر سلبا على إمكانيات نجاح النساء في هذا المجال.

وتوج الاحتفال برعاية رندة عاصي بري، التي ألقت كلمة قالت فيها "لا يجوز التذرع بأيّ حجة من الحجج مثل ضعف الإمكانات أو عدم وجود أموال أو العادات والتقاليد لوضع عراقيل تهمّش المرأة العالمة والباحثة. وحري بحكوماتنا في لبنان أن تقتدي ببرنامج لوريال-يونسكو من أجل المرأة في العلم لتحفيز وتشجيع المرأة نحو البحث العلمي، واتخاذ القرارات التي تعزز مشاركة المرأة في البحث العلمي".

وتم خلال الاحتفال تكريم خمس باحثات فائزات بزمالة برنامج لوريال-يونسكو من أجل المرأة في العلم.

وقد تم اختيار العالمات العربيات المميزات من الأردن، سوريا، مصر، العراق ولبنان كالتالي:

– أماني الغرايبة (الأردن): أستاذة مساعدة في قسم الهندسة الطبية بكلية الهندسة في جامعة عمان الأهلية.

– غنوة خضور (سوريا): باحثة في قسم بحوث الموارد الطبيعية بالهيئة العامة للبحوث العلمية الزراعية، وزارة الزراعة والاستصلاح الزراعي، دمشق.

– مي طلبه (مصر): أستاذة مساعدة في علم الأدوية والسموم في كلية الصيدلة جامعة عين شمس القاهرة.

– شذى الطائي (العراق): أستاذة مساعدة في قسم علوم الحياة بكلية العلوم في الجامعة المستنصرية، بغداد.

– تمارا الزين (لبنان): باحثة مشاركة في الهيئة اللبنانية للطاقة الذرية بالمجلس الوطني للبحوث العلمية.

وقال باتساليدس في كلمته "في النسخة الثالثة من هذا البرنامج الإقليمي العربي لتكريم نساء متميزات، لا يسعنا سوى التنويه بجهودهن وتفانيهن في سبيل العلم وعملهن الدؤوب لتوفير حلول جديدة لمشاكل تعصف بالعالم العربي. إن برنامج من أجل المرأة في العلم الذي تنظمه كل من لوريال واليونيسكو قد أثبت نجاحه كونه إحدى المنصات القليلة في المنطقة التي تشجع العالمات العربيات وتسلط الضوء على إنجازاتهن كما تساعدهن على التقدم في أبحاثهن".

ثم توجه حمزة إلى الفائزات قائلا "بفوزكن اليوم انضممتن إلى شبكة عالمية من الباحثات التي ستقدم لكنّ فرصا للتطور اليوم وغدا. ولنا كامل الثقة أنكن، كما الفائزات قبلكن، ستتمسكن بالقيم والأخلاقيات التي تصون مهنة البحث العلمي وتشكل أساس عملية التطور العلمي".

وفي الختام، قام كل من بري، وباتساليديس، وحمزة، وجبور والمكرّمات ومجمل الحضور بتوقيع "البيان من أجل المرأة في العلم"، واعتبرت هذه خطوة أولى لجمع أكبر عدد من التواقيع في المشرق العربي ومصر عبر الإنترنت، معتبرين أن هذا البيان هو محفز للرأي العام لتسريع وتيرة التحول نحو دعم المرأة في العلم.

فقدان الأقرباء والأصدقاء يفاقم من اكتئاب كبار السن

نقص القدرة الجنسية يسبب اضطرابات نفسية للمسنين

خلال فترة الشيخوخة يشعر الإنسان بالوحدة، وأنه أصبح عبئا ثقيلا على أفراد أسرته، وتؤدي هذه المشاعر السلبية إلى أن يفقد المسن بهجة الحياة وينزوي في ركن من أركان المنزل ينتظر الموت، وهو ما يؤدي بالمسنّ للاكتئاب، وقد يصدر عنه سلوك عدواني تجاه الآخرين.

الاكتئاب والعزلة يهددان كبار السن

❏ **القاهرة** – أفادت دراسة حديثة أن احتمالية الإصابة لدى كبار السن بالاكتئاب ومشاعر الخوف والقلق كبيرة، وتنبع أهمية هذه الدراسة أنها أظهرت أن نسبة الإصابة لكبار السن هي مرتفعة جدا وهو ما لم يكن معروفا في السابق.

وقالت الدراسة إن كبار السن يعانون من أعراض الكآبة بشكل أكبر من صغار السن، ووفقا لمجلة "برتش جورنال" للدراسات النفسية فإن كبار السن الذين تتراوح أعمارهم بين 65 و85 عاما تتزايد لديهم احتمالية الإصابة بأعراض الكآبة أو الشعور المتكرر بالخوف. وتنبع أهمية هذه الدراسة من أنها تؤكد أن أعراض الإصابة بهذه الأمراض لدى كبار السن أعلى مما كان متوقعا. وقام العلماء بدراسة حالة 3142 من الرجال والنساء تتراوح أعمارهم بين 65 و85 عاما وتبين أن واحدا من كل ثلاثة ظهرت لدية بعض الأعراض النفسية، وأن واحدا من كل أربعة يعاني فعلا من القلق والخوف وتظهر لدية أعراض الاكتئاب.

وكانت دراسة سابقة أكدت أنه كلما زاد إحساس كبار السن تجاه أنفسهم بأنهم "عجائز أو أكبر من أعمارهم الحقيقية زادت احتمالات تدهور الإدراك في السنوات التالية، حيث قال الباحثون في دورية "جيرونتولوجي" إن المشاركين في الدراسة المصابين بالاكتئاب ولا يمارسون الرياضة عند تقييم أنفسهم كانوا يميلون إلى الشعور بأنهم أكبر من أعمارهم الحقيقية في البداية.

وقالت الدورية المتخصصة بالعلوم الصحية "إن هذا يتماشى مع أبحاث سابقة تشير إلى وجود صلة بين الاكتئاب والخرف".

من جانبه أكد مدحت الشافعي، أستاذ المناعة الإكلينيكية والروماتيزم بكلية الطب جامعة عين شمس في مصر أن كبار السن يحدث لهم العديد من المتغيرات الفسيولوجية من بينها ضمور الأنسجة والتباطؤ في انقسام الخلايا وقدرتها على النمو والتباطؤ في معدل تأكسد الأنسجة وضعف سرعة وقوة واستمرار التجاوب العضلي العصبي، مع تدني قوة العضلات الحركية وتحلل وضمور الجهاز العصبي المركزي وضعف السمع والبصر والانتباه والذاكرة.

> كبار السن الذين تتراوح أعمارهم بين 65 و85 عاما تتزايد لديهم احتمالية الإصابة بأعراض الكآبة أو الشعور المتكرر بالخوف

كما أشار إلى تغيّرات أخرى تحدث لكبار السن تشمل السمات النفسية والعقلية، مثل الإحساس بالفراغ خاصة بعد التقاعد، مما يؤدي إلى الخمول الجسمي والعقلي وضعف التقدير للذات، ثم الاكتئاب ونقص الحيوية بصفة عامة.

إلا أن الدكتور الشافعي أشار في نفس الوقت إلى أن نقص القدرة الجنسية بصفة خاصة تسبّب اضطرابات نفسية لكبار السن، وتؤدي بهم للانعزال والاكتئاب أو العدوانية ضد المحيطين بهم خاصة الزوجة والأبناء، وتزيد هذه العدوانية مع فقدان الأقرباء والأصدقاء بالوفاة، مما يزيد من عزلة كبار السن ومن إحساسهم بقرب نهايتهم أو أنهم ينتظرون الوفاة.

وحذّر من أن المسنّين هم أكثر الفئات ضحية للأدوية الحديثة شديدة المفعول، ويرجع ذلك إلى تعدد الأمراض، مما يؤدي إلى وصف العديد من الأدوية ربما من أطباء متعددين دون التنسيق فيما بينهم، كما أن المسنين أكثر الفئات العمرية تأثرا بسموم الأدوية، وذلك بسبب نقص وزن الجسم نسبيا مع زيادة نسبة النسيج الدهني لمجموع وزن جسم المسن، مما يؤدي إلى تخزين بعض الأدوية في الدهون، وبذلك يطول مفعولها، ويؤدي ذلك مع عوامل أخرى لضعف وظائف الكبد والكلى بنسبة 30 بالمئة في المتوسط وضعف الإنزيمات، مما يتسبب في تراكم الأدوية بشكل خطير في جسم المسن.

أما أحمد عبداللطيف، أستاذ الطب النفسي بجامعة القاهرة، فيقول "إن الشيخوخة ظاهرة بيولوجية اجتماعية تحدث في أعمار تختلف من شخص إلى آخر فكلما كان أسلوب الحياة يعتمد على غذاء صحي تأخر حدوث الشيخوخة".

وأكد أن الحركة تؤخر من زحف الشيخوخة على جسم الإنسان، كما ينصح بضرورة حرص الإنسان الذي يتقدم به العمر على اتّباع نظام غذائي صحي كتناول السوائل الكافية والأغذية الغنية بالفيتامينات التي تقاوم عملية الأكسدة.

وأوضح عبداللطيف أن طبيعة الحياة التي يعيشها الإنسان والمشاكل الصحية والنفسية من حوله لهما تأثير على سرعة بلوغ الشيخوخة، ويؤكد في هذا الصدد على أن تنشيط العقل وممارسة التمرينات الذهنية من أهم الخطوات التي يجب أن يحرص عليها الإنسان، مثل قراءة الكتب الشيقة وإجراء العمليات الحسابية ومتابعة المسلسلات التلفزيونية بتركيز، مشيرا إلى أن كل هذه العمليات تؤدي إلى تحفيز العقل على أداء وظائفه بشكل أفضل وعلى تجديد خلاياه.

من ناحيته، يقول جمال شعبان، استشاري أمراض القلب بجامعة عين شمس "إن الإنسان يجب عليه الاهتمام بحياته وتوجيهها في مسار مختلف مهما كان عمره". ويؤكد أن" قرار تغيير الإنسان لمسار حياته عندما لا يكون راضيا عن هذا المسار قرار لا يحتمل أيّ تأجيل"، معتبرا أن "هذا القرار لن يكون قرارا متأخرا حتى لو تخطى الإنسان منتصف عمره"، لافتا إلى ضرورة أن تتضمن رعاية المسن جانبين لا يمكن الاستغناء عن أحدهما، الأول هو العلاج، ويتضمن هذا الجانب علاج المسنّ من الأمراض التي لحقت به وأصابته، وجعلته فريسة لمجموعة من الأمراض.

ويشير إلى أن الرعاية الصحية في هذا الإطار تهدف إلى عدم تدهور الشخص المسن ومحاولة إطالة عمره، أو على الأقل جعل حياته أكثر حيوية ونشاطا.

أما الجانب الثاني من العلاج فيتضمّن الوقاية، ويتمثل في ابتعاد المسنّ عن بعض المواد الغذائية الضارة بحالته، ويحرص على تناول الغذاء قليل السعرات الحرارية الغني بالألياف والفيتامينات إلى جانب الخضراوات والفواكه، مما يقلل من معدل تشكل الجزيئات الضارة، مع ضرورة الامتناع عن التدخين أو شرب الكحول.

وينصح جمال في نفس الوقت بممارسة الصلاة والصيام والتعبد، معتبرا أن الصيام بصفة خاصة يؤدي إلى تنشيط الجينات المسؤولة عن إفراز الهرمونات، والتي تساعد الخلايا على مواجهة عمليات الشيخوخة، وتزيد من حيوية الجسم، وتجعل الخلايا تقاوم الموت وتعيش فترة أطول.

كما ينصح بعدم التوقف عن تناول مواد غذائية تحتوي على منشطات طبيعية تساعد على زيادة إفراز هرمون الميلاتونين المسؤول عن الشباب، والذي يؤخر بدوره أعراض الشيخوخة، مثل الذرة والأرز وفول الصويا والشوفان والزنجبيل والطماطم والموز والجزر والخميرة. إضافة إلى ذلك لا بد للمسن من أن يتدرب على ممارسة بعض الأنشطة الجسمية كالمشي والسياحة وركوب الخيل، لأنها تزيد المحتوى العضلي للمسنّين، وتقلل المحتوى الدهني، وتحسن غضاريف المفاصل، وتقلل من خطر تعرض المسن للخرف وفقدان الذاكرة ومرض الزهايمر.

طبق اليوم

لازانيا بالباذنجان

* **المقادير:**

- 6 حبات باذنجان.
- ملعقة كبيرة ملح.
- 6 ملاعق كبيرة زيت عباد الشمس.
- 2 ملاعق كبيرة صلصة البيشاميل.
- 2 ملاعق كبيرة قشدة طرية.
- 80 غراما من جبن الموزاريلا المفروم.
- 80 غراما من مركز الطماطم.
- 6 أوراق ريحان.
- 3 ملاعق كبيرة ريحان.
- 3 ملاعق كبيرة من البصل المفروم.
- 250 غراما من اللحم المفروم.
- فص ثوم مفروم.
- زيت زيتون.
- ملح وفلفل أسود.

* **طريقة الإعداد:**

- يقطع الباذنجان إلى شرائح رفيعة. يرش الباذنجان بالملح ويترك داخل إناء فيه ماء طبيعي للتصفية. تشطف شرائح الباذنجان في الماء ثم تجفف، وتدهن بزيت عباد الشمس. وفي مقلاة تطهى شرائح الباذنجان من الجهتين.
- في إناء على نار متوسطة، تحضر صلصة طماطم كثيفة انطلاقا من مركز الطماطم مع 4 ملاعق كبيرة من زيت الزيتون والماء والملح والفلفل الأسود. تتبّل صلصة الطماطم بأوراق الريحان المفرومة.
- في صحن الفرن، تصفف شرائح الباذنجان، تسقى بالصلصة ثم تزين باللحم المفروم والجبن المبشور.
- تطهى لازانيا الباذنجان في الفرن المسخن على درجة حرارة 180 لمدة 30 دقيقة. وتقدم اللازانيا بالباذنجان ساخنة.

موضة

أزياء تتسم بالرقة والعفوية

❏ قدمت المصممتان البحرينيتان الشيخة نور بنت راشد آل خليفة، والشيخة هيا بنت محمد آل خليفة اللتان تُعرفان بأسلوبهما البسيط والشبابي في مجال التصميم، آخر تصميماتهما لربيع وصيف 2017 ضمن فعاليات أسبوع نيويورك للأزياء.

طغت أربعة ألوان على جميع إطلالات علامة "نون باي نور" الأبيض الناصع والبيج الذهبي والزهري المبودر والأسود. واتسمت الأقمشة التي استُعملت لتنفيذها بالشفافية والخفّة متنوّعةً بين التول الناعم والكريب الحريري والأورغنزا ذات اللمعة المشرقة.

جاءت القصات، التي اعتمدت في جميع الإطلالات، بسيطة ومريحة، مركّزةً على لعبة الشفافية والشعور بالراحة الذي يواكب جميع التصاميم، وحافظت القصات الواسعة والبعيدة عن التكلّف على أنوثتها وطابعها الرقيق بفضل خليط الأقمشة المستعملة.

الغربة العائلية

هيفاء بيطار
كاتبة من سوريا

❏ لا يكفي أن نعيش تحت سقف واحد حتى يدّعي كل منّا أنه يعرف الآخر، وكم طالعنا الإعلام بقصص غريبة حصلت في الأسر التي اعتقد الوالدان أنهما يعرفان كل شيء عن أولادهما؟ فإذا بهما يُصعقان بتصرفات لم يكن الوالدان أو حتى بقية الأسرة تتوقع تلك التصرفات. وأحب أن أعطي بعض الأمثلة التي كنت شاهدة عليها ومُقربّة من تلك الأسر.

1 – أحد الشبان وهو في السابعة عشرة من عمره وطالب في الشهادة الثانوية ومجتهد ويرغب أن يحقق مجموعا يخوله دخول كليه الصيدلة، ووالداه مثال الوالدين المُضحيين المُحبين، وكانا يدخلان في جمعيات مالية ليتمكنا من دفع ثمن الدروس الخصوصية لابنهما، ولا يبخلان عليه بشيء حتى أن هاتفه الخلوي أحدث بكثير من هاتف والديه، واختفى الشاب فجأة دون أن يترك أثرا ممّا تسبب في حدوث زلزال في الأسرة، وبعد بحث يطول شرحه والتحدث مع رفاقه جميعا تبين أنه التحق بجبهة النصرة، ولم يكلف نفسه الاتصال بأهله إلا بعد شهر من هروبه من المنزل.

السؤال الذي يطرح نفسه بقوة هنا: إلى أيّ حد يعتقد الأهل أنهم يعرفون أولادهم؟ وما أدراهم مع من يتواصل هؤلاء الأبناء عبر الإنترنت؟ ولا أنسى تصريح أحد أطباء علم النفس بأنه بالإمكان جعل معظم الشباب يصير داعشيا خلال أسبوعين فقط! إذ لا تكفي التربية بتأمين المأكل والمشرب والدروس الخصوصية للأبناء، فيجب أن يعرف الأهل ما يدور في فكر أبنائهم وطريقة تفكيرهم؟ وكم من أهل ينامون باكرا قبل العاشرة مساء بسبب التعب غير عارفين أن أولادهم يقضون الليل متنقلين بين مواقع التواصل الاجتماعي ومعرضين لغزو رهيب من الأفكار المُضللة والخطيرة. وقد تناولت العديد من الروايات ووسائل الإعلام هذه الظاهرة.

2 – كي لا نكون مثل النعامة تطمر رأسها في التراب كي لا ترى الحقيقة، أحب أن أذكر مئات الحوادث التي شهدتها من خلال عملي الطبي في المستشفى الحكومي في اللاذقية، حوادث يتم طمسها كُليا من قبل الأسرة والمجتمع بأسره كما لو أن هنالك تواطؤا بينهما. وهذه الحوادث هي سفاح القربى، وفي العديد من الحالات التي كان يحصل فيها سفاح قربى سواء أب يعتدي جنسيا على ابنته أو أحد المقربين، كان موقف الجميع الصمت وطمس الحقيقة، لأن الضحية تخسر شرفها وسمعتها رغم كونها ضحية!

في عالمنا العربي تتساوى الضحية مع الجلاد، بل ثمة قانون يعتقد بأنه يحلّ المشكلة حين يُجبر المُغتصب أن يتزوج المُغتصبة أي الضحية. بينما في الإعلام الغربي تُخصص قنوات خاصة مع طاقم من علماء الاجتماع والنفس لدراسة هذه الظاهرة وتقديم الدعم النفسي للفتيات المُغتصبات ومُحاكمة المُغتصب بإنزال أقصى العقوبات به والتشهير به. واسمحوا لي أن أستعمل تعبيرا طبيا لكنه ينطبق تماما على أمراضنا الاجتماعية التي نعالجها بالصمت والكتمان، فالجرح لا يندمل إن لم يُكشف. وأمراضنا الاجتماعية لن تُحل وسوف تظل تنخر وتؤذي أذى رهيبا وسوف تمتد أجيالا إن لم نمتلك الجرأة على مواجهة هذه الأمراض، والأهم إن لم تتغير القوانين! أيّ قانون لا إنساني ولا أخلاقي هذا يسمح للجاني والمُغتصب أن يتزوج الضحية!

وأيضا تغيير العقلية الاجتماعية والتعاطف ومؤازرة الشابة التي تخضع للاغتصاب وليس تجريمها ومساواتها بمغتصبها وتصير غير مرغوبة في سوق الزواج! وللأسف شهدت حالات مُخزية من معرفة الأمّ بأن الأب يغتصب ابنته أو بناته وهي صامته وتتظاهر بأنها لا تعرف لأنه ينفق عليهم وهي عاجزة عن إعالة أسرتها .

3– أظن أن هذه الظاهرة الأكثر شيوعا وهي تعاطي المخدرات بين المراهقين وحتى الأطفال أحيانا، وعادة لا ينتبه الأهل لتغيرات سلوك أولادهم من حيث ضعف التركيز أو تراجع العلامات الدراسية أو السّهو والذهول وكثرة النوم، ويعتبرون تلك المظاهر من مميزات المراهقة، إلى أن تحدث فضيحة كأن ينهار الابن فجأة أو يتم القبض عليه بتهمة التعاطي، عندها نجد الأهل مذهولين ومذعورين ويرددون كالببغاء: لكننا ربيناهم ونربيهم أحسن تربية. وأحسن تربية برأيهم هي الأكل والملبس والدروس الخصوصية والمدارس ذات المستوى الجيد.

أما ما يدور في عقول هؤلاء الناشئة وأيّ مؤثرات تؤثّر عليهم في ثورة الاتصالات وعبر الإنترنت فهذه أمور لا تدخل في حسبان الأهل أو يقللون من أهميتها .

لا يكفي أن يعيش الناس، خاصة الأسرة، تحت سقف واحد كي يعرف كل واحد الآخر، معرفة الآخر الحقيقية تكون بالحوار المستمر والعميق بين الطرفين، وكما قرأت في إحدى روايات بالزاك حين كتب عبارة رائعة "صحيح أن المسافة بيني وبينك عشرة سنتمترات لكن الحقيقة تفصلني عنك أميال".

من شوارع ضاحية عين البنيان إلى الكينغ باور ستاديوم

إسلام سليماني: موهبة ذهبية تتوهج في سماء البريميرليغ

وضع الجزائري إسلام سليماني بصمته في الدوري الإنكليزي الممتاز وقدم أوراق اعتماده بنجاح رفقة ليستر سيتي. وكان ليستر قد نجح في ضم إسلام سليماني صاحب الـ28 عاما في آخر أيام الميركاتو الصيفي الماضي قادما من سبورتينغ لشبونة البرتغالي مقابل 30 مليون جنيه إسترليني بالإضافة إلى خمسة ملايين أخرى كحوافز.

صابر بليدي

❑ **الجزائر** – لما كان المنتخب الجزائري في العهد الأخير للمدرب رابح سعدان، يبني استراتجيته التكتيكية على النهج الدفاعي والاعتماد على المرتدات والكرات الثابتة، بسبب افتقاده لمهاجمين حقيقيين، وعد الرئيس السابق لنادي شباب بلوزداد والرئيس الحالي لرابطة كرة القدم محفوظ قرباج، رئيس اتحاد الكرة محمد روراوة، بأن الدوري المحلي سيكتشف مهاجما من الطراز الرفيع وسيكون عمود المنتخب الوطني في المستقبل، وكان يقصد بذلك صاحب الجمجمة الذهبية وأغلى لاعب عربي وجزائري في الدوري الإنكليزي إسلام سليماني.

في شوارع وأزقة ضاحية عين البنيان بالعاصمة، بدأ اللاعب الجزائري إسلام سليماني، مسيرته الكروية الناجحة، ومن فريق الضاحية المحاذية للبحر، انتقل إلى فريق الشراقة الناشط في الأقسام الدنيا بالدوري الجزائري، ومن هناك بدأت ملامح البروز تبدو عليه، حيث استقدمه نادي شباب بلوزداد (الدوري الممتاز) إلى صفوفه، ومن هذا النادي العاصمي فتحت أمامه أبواب الاحتراف، حيث انتقل إلى نادي سبورتينغ لشبونة البرتغالي، في صفقة لم تتجاوز 300 ألف يورو، ولم يشأ مسؤولي ناديه الأول التشدد في شروطها، لأنهم لم يكونوا يتوقعون أن لاعبهم سيبيض ذهبا في المستقبل.

وشكلت صفقة انتقال المهاجم سليماني من سبورتينغ لشبونة إلى بطل الدوري الإنكليزي نادي ليستر سيتي، تحوّلا كبيرا في مسار اللاعب والمنتخب وحتى نواديه الصفقة، وصارت بمثابة "الصدقة الجارية"، بعدما تضمّنت بندا يقضي بتحويل نسبة خمسة بالمئة من مبلغ الصفقة البالغ 35 مليون يورو، إلى نواديه السابقة كحقوق تكوين من انطلاقته إلى سن الـ23 عاما، وهو ما لم يكن يحلم به ناد كعين البنيان أو الشراقة وحتى شباب بلوزداد.

ومع افتتاحه عداد التهديف مع ناديه الجديد منذ ظهوره في مقابلة بيرنلي، يكون إسلام سليماني قد فتح لنفسه آفاقا جديدة في عالم البريميرليغ الذي يعج بالنجوم الكبار من مختلف القارات، حيث نصّب نفسه نجما بلا منازع مع فريق "الثعالب"، وتوقيعه أول هدفين له في أول ظهور بجمجمته الذهبية.

وسلطت وسائل الإعلام المختصة خاصة في بريطانيا والبرتغال الأضواء على هداف منتخب "محاربي الصحراء"، وأثنت على إمكانياته وبدايته القوية مع نادي ليستر سيتي.

وعرض موقع مرور الإنكليزي تقريرا حول أهم النقاط الإيجابية في المباراة، وأرجع كاتب المقال الفضل لسليماني في قيادة ناديه نحو تحقيق انتصار مهم وذلك بعد تسجيله هدفين، ونوه إلى نقطتين إيجابيتين في اللقاء، وهما قوة سليماني في الكرات العالية، والعودة القوية لمواطنه رياض محرز، صاحب لقب أحسن لاعب في الدوري الإنكليزي خلال الموسم الماضي.

سليماني محارب جديد يلهم «كتيبة الثعالب»

وقال موقع مرور "صاحب صفقة الـ35 مليون يورو كان موفقا في بداياته برابطة أبطال أوروبا ضد بروج البلجيكي، قبل أن يؤكد ذلك في الدوري، بعد افتتاحه لعداده التهديفي بثنائية في مرمى بيرنلي، ويبدو أن لاعب سبورتينغ سليماني مميز جدا في الكرات العالية".

> المهاجم إسلام سليماني كان قد أكد أن مواطنه وأفضل لاعب في الدوري الإنكليزي الممتاز خلال الموسم الماضي رياض محرز، كان من بين أهم أسباب انتقاله لنادي ليستر سيتي تشكيل ثنائي نادر

صفقة تاريخية

تعدّ صفقة إسلام سليماني (35 مليون يورو) الأغلى في تاريخ نادي ليستر سيتي، والأغلى عربيا، وكان بالإمكان أن يحطم الرقم القياسي، لو لم تتعثر صفقة انتقال النجم الجزائري الآخر ياسين براهيمي، من نادي بورتو البرتغالي إلى نادي إيفرتون الإنكليزي، في آخر أنفاس الميركاتو الصيفي، بعدما بلغت سقف 40 مليونا.

وذكرت صحف ومواقع برتغالية، على غرار "أوجوغو" و"أبولا" والنسخة المحلية لموقع "غول"، بأن سليماني أدخل ليستر التاريخ، كونه يعد أول مهاجم يوقع ثنائية في أول مباراة له في البريميرليغ.

وأشادت بدوره في تحريك القاطرة الأمامية لنادي ليستر، وتوقّعت له أن يكون له دور بارز في قادم المواجهات المحلية والأوروبية.

أما الموقع العالمي "يورو سبور" فقد أثنى بدوره على سليماني، وعلى عودة نادي ليستر القوية في ملعبه "كينغ باور ستاديوم"، وكتب "إن المدرب الإيطالي كلاوديو رانييري وجد المفاتيح لفك الشفرة من خلال اعتماده على الثلاثي محرز، فاردي، سليماني، حيث ركز على الدور الفعال الذي قام به المهاجم السابق للشبونة، ودرجة تفاهمه مع فاردي ومحرز .

وكان صاحب الموهبة الذهبية محلّ ثناء وإشادة من طرف زملائه في النادي، حيث عبّر لاعب الوسط داني درينك ووتر، عن سعادته بالأداء الذي قدمه إسلام سليماني، رفقة مواطنه رياض محرز.

وقال "أداء سليماني كان مميزا في أول لقاء له، إنه يستحق الأهداف التي سجلها، لقد تدرب بشكل جيد طوال الفترة الماضية، إنه إضافة جيدة لقائمة الفريق، ولقد استفاد من الأداء الإيجابي والعودة القوية لرياض محرز، وأنا سعيد أيضا بعودته إلى مستواه المعهود، لأن الفريق بحاجة إلى إبداعاته". أما المدرب الإيطالي كلاوديو رانييري، فقد صرح قائلا "سليماني وزملاؤه في الفريق قدموا مردودا رائعا، هذا أول ظهور لسليماني والجماهير تابعته عن قرب ورأت قوته وقدرته على العودة للدفاع والضغط على المنافس في كل أرجاء الميدان".

ثنائي نادر

كان المهاجم إسلام سليماني، قد أكد أن مواطنه وأفضل لاعب في الدوري الإنكليزي الممتاز خلال الموسم الماضي رياض محرز، كان من بين أهم أسباب انتقاله لنادي ليستر سيتي، فقد نقل له الأجواء في النادي وطموحاته الكبيرة، كما وعده بمساعدته للتألق سويا لتشكيل ثنائيا نادر.

وصرّح للموقع الرسمي للنادي "صديقي العزيز محرز تحدث لي كثيرا عن الفريق وطريقة العمل، كما قدّم لي مجموعة من النصائح، وأنا أشكره على ذلك كثيرا.. لقد كان من بين أهم أسباب انتقالي لليستر، فقد رأيت أن اللعب سويا في المنتخب والنادي أمر رائع وسيفيدنا كثيرا، وسنحاول مساعدة بعضنا البعض، وأتمنى أن ننجح في مهامنا معا".

وأضاف "ليستر هو بطل البريميرليغ كما يعلم الجميع، واللعب له أمر يشرفني ويجعلني فخورا جدا، وأنا هنا لأتطور بشكل أكبر وأساعد المجموعة على تحقيق الانتصارات والدفاع عن اللقب، وهذا الفريق هو بلا شك الأكثر شعبية في الجزائر، بفضل محرز والنجاحات الباهرة التي بصم عليها رفقته".

وسمح الأداء المميز للمهاجم سليماني خلال الموسم الماضي مع نادي لشبونة البرتغالي، برفع مؤشراته في سوق الانتقالات، وسعت العديد من النوادي الإيطالية والأسبانية والإنكليزية لإبرام صفقة انتقاله، خاصة مع المميزات التي تميزه كرأس حربة من الطراز الرفيع، يهوى التسجيل بالرأس، ويحسن الأداء بالرجل، إلى جانب السرعة والبنية المورفولوجية، التي تسمح له باختراق الجدران الدفاعية.

ورأى مختصون أن نادي أرسنال، كان بحاجة إلى رأس حربة بمواصفات عالية على الرغم مما قدمه أوليفييه جيرو، من مستوى مميز خلال الموسم الماضي، وحتى والكوت الذي كان يمثل بديله، إلا أنّ كونه ليس مهاجما في الأساس، دفع إدارة النادي للتفكير في التعاقد مع سليماني، ورأت فيه بديلا جيدا، وأن إمكانياته البدنية تؤهله للعب في البريميرليغ، وأن المدرب آرسن فينغر قادر على تطويره، إلا أن خطة 4–2–3–1، ظلت مصدر تخوف من عدم قدرة سليماني على التكيف معها.

أما نادي ميلان الإيطالي، فقد شكلت إمكانية التعاقد مع مهاجم الخضر، إحدى الحلول الأفضل في الدوري الإيطالي، خاصة لأن ميهايلوفيتش يعتمد في أغلب الأحيان على خطة 4–4–2 وهي الطريقة التي يلعب بها فريق سبورتينغ، بالإضافة إلى أنه نوعية يمكنها تحقيق التكامل مع الكولومبي كارلوس باكا في الخط الأمامي، على عكس نيانغ أو لويز أدريانو، وبالتالي رأى المختصون أن مشاركة سليماني قد تكون أساسية بصفة كبيرة، إلا أن القيمة السوقية الكبيرة للصفقة جعلت إدارة النادي تتردد. وفي الدوري الأسباني شكلت إمكانية تعاقد أتليتيكو مدريد، حلا مناسبا لخطة المدرب دييغو سيميوني 4–4–2 في الوقت الحالي، بتواجد أنطوان غريزمان في أحد مركزي رأس الحربة وبقي المركز الأخر متنقلا بين أنخيل كوريا أو فييتو أو فيرناندو توريس، وهو ما طرح جدوى تعاقد النادي مع سليماني، لأنه يشكل الحل الأفضل، خاصة وأنه من النوعية التي يفضلها الأرجنتيني في هذا المركز، لا سيما مع الاعتماد بالدرجة الأولى على الحماس في الأداء إلى جانب القدرات البدنية، وهي ميزات تتوافر في المهاجم الجزائري فضلا عن التوافق الخططي.

كما شكل سليماني برأي الفنيين، أحد الحلول لفريق ليفربول في الهجوم، في ظل معاناة المدرب يورغين كلوب، في هذا المركز خاصة مع الإصابات التي تضرب الفريق، والتي أجبرته الموسم الماضي على الاعتماد على روبيرتو فيرمينو في هذا المركز، بالرغم من أنه ليس رأس حربة صريحا من الأساس، ولذلك شكل سليماني حلا جيدا ليورغن كلوب، لا سيما مع إمكانياته البدنية وقدراته التهديفية، التي تؤهله لشغل هذا المركز.

مسيرته تهديفية تاريخية

❑ بدأ إسلام سليماني المولود في 1988، مسيرته التهديفية المحترفة بـ43 هدفا سجلها مع نادي شباب بلوزداد في 122 مباراة، و56 هدفا مع نادي سبورتينغ لشبونة في منافسات الدوري والكأس والدوري الأوروبي، كما سجل 23 هدفا مع المنتخب الجزائري منذ التحاقه به العام 2012.

ويحظى المهاجم سليماني، بشعبية خاصة لدى الشارع الجزائري، كونه اللاعب الوحيد من الجيل الحالي، الذي يعدّ خريج الدوري المحلي وتدرج على مختلف النوادي العاصمية، عكس رفاقه في المنتخب الذين تكونوا ويلعبون في الدوريات الأوروبية، على غرار رياض محرز وياسين براهيمي ورشيد غزال.. وغيرهم.

مانشستر سيتي يواصل انطلاقته الرائعة في البريميرليغ

«الشياطين الحمر» يستعيدون ذاكرة الانتصارات من بوابة ليستر سيتي

أفلت مانشستر سيتي من كمين مضيفه سوانسي سيتي وانتزع فوزا غاليا 1/3 عليه، السبت، في المرحلة السادسة من الدوري الإنكليزي لكرة القدم ليواصل فريق المدرب الأسباني جوسيب غواردیولا عزفه المنفرد على قمة جدول المسابقة.

❑ **لندن** – على إستاد "ليبرتي" واصل مانشستر سيتي انتصاراته المتتالية في الموسم الحالي وحقق فوزه السادس على التوالي في المسابقة، ليرفع رصيده إلى 18 نقطة في صدارة جدول البريميرليغ، فيما تجمد رصيد سوانسي سيتي عند أربع نقاط بعدما مني بالهزيمة الرابعة في المسابقة هذا الموسم، وفشل في تحقيق الفوز للمباراة الخامسة على التوالي.

ومدد مانشستر سيتي سجل انتصاراته المتتالية وحافظ على العلامة الكاملة بقيادة غواردیولا، حيث حقق الفريق، السبت، انتصاره العاشر على التوالي في عشر مباريات رسمية خاضها بقيادة المدرب الأسباني في مختلف البطولات.

وكانت المباراة أفضل استعداد لمانشستر سيتي قبل مباراته المقررة الأربعاء المقبل أمام مضيفه سلتيك الأسكتلندي في دوري أبطال أوروبا.

وفي لقاء الجولة استعاد فريق مانشستر يونايتد، ذاكرة انتصاراته في الدوري الإنكليزي لكرة القدم البريميرليغ بعد هزيمتين متتاليتين، وأمطر مانشستر يونايتد مرمى ضيفه ليستر سيتي (حامل اللقب) بأربعة أهداف لهدف في المباراة التي جرت بينهما على ملعب "أولد ترافورد" ضمن منافسات الجولة السادسة للمسابقة.

وأنهى مانشستر يونايتد المباراة لصالحه في شوط المباراة الأول بتسجيله لأربعة أهداف عن طريق كريس سمولينغ، والأسباني خوان ماتا، وماركوس راشفورد، والفرنسي بول بوغبا في الدقائق 22 و37 و40 و42.

ومع بداية الشوط الثاني، حاول ليستر سيتي تقليص النتيجة وهو ما تحقق في الدقيقة 60 عن طريق ديماراي غراي بتسجيل الهدف الأول لفريقه، وتوالت الفرص الضائعة من جانب لاعبي الفريقين ليطلق على إثرها حكم اللقاء صافرة النهاية معلنا فوز مانشستر يونايتد بثلاث نقاط غالية.

وبهذا الفوز، ارتفع رصيد مانشستر يونايتد إلى 12 نقطة في المركز الثالث، بينما تجمد رصيد ليستر سيتي عند 7 نقاط في المركز الثاني عشر.

وبذلك، أوقف مانشستر يونايتد سلسلة الهزائم المتتالية التي تعرض لها بالدوري والتي بدأت بالهزيمة من مانشستر سيتي بهدف مقابل هدفين، ثم الهزيمة من واتفورد بهدف مقابل ثلاثة أهداف.

بينما فشل ليستر سيتي في تحقيق فوزه الأول على مانشستر يونايتد منذ عامين، وتحديدا منذ عام 2014 حيث فاز ليستر سيتي وقتها بخمسة أهداف لثلاثة.

وشهدت مباراة، السبت، العديد من الأرقام أبرزها تمكن سمولينغ من تسجيل هدف ليكون هو هدفه الأول له بالدوري الإنكليزي مع يونايتد منذ هدفه في شهر ديسمبر 2015، والذي كان ضد مانشستر سيتي في المباراة التي انتهت لصالح يونايتد بأربعة أهداف لهدفين.

وتمكن بوغبا من تسجيل هدفه الأول مع مانشستر يونايتد منذ انتقاله إليه مع بداية الموسم الحالي قادما من يوفنتوس الإيطالي، كما شهدت المباراة غياب واين روني قائد الفريق لوجهة نظر فنية من قبل البرتغالي مورينهو.

وقال جوزيه مورينهو، المدير الفني لنادي مانشستر يونايتد، إنه لا زال يثق بقائد الفريق المهاجم واين روني، على الرغم من عدم مشاركته اليوم أساسيا أمام ليستر سيتي.

وأضاف مورينهو، في تصريحات لشبكة "سكاي سبورتس"، بعد الفوز على ليستر سيتي "روني لاعب كبير بالنسبة إليّ ولهذا البلد، إنه لا يزال رجلي وأنا أثق به تماما، وهو سعيد".

وتابع "كنت أتوقع الأسئلة حول قائد الفريق، روني لعب المباراة الماضية كاملة، لذلك نحن لم نشركه اليوم، لدينا لاعبون حصلوا على الراحة".

وختم مدرب "الشياطين الحمر" مورينهو تصريحاته بقوله "إذا لم يلعب واين روني، السبت، فهذا يعني أنه قد يلعب في المباراة المقبلة، أعتقد أن القرار لي وهو قرار طبيعي لا داعي لخلق حالة سلبية بين اللاعبين".

وفي بقية مباريات السبت، فاز ليفربول على هال سيتي 1/5، وتوتنهام على مضيفه ميدلسبروه 1/2، وبورنموث على إيفرتون 1/صفر، وكريستال بالاس على مضيفه سندرلاند 2/3، وتعادل ستوك سيتي مع ويست بروميتش ألبيون 1/1.

> مانشستر سيتي مدد سجل انتصاراته المتتالية وحافظ على العلامة الكاملة، محققا انتصاره العاشر على التوالي في عشر مباريات رسمية خاضها بقيادة المدرب الأسباني في مختلف البطولات

حصد العلامة الكاملة

عشر سنوات إلى الوراء

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❑ هذا الزمن لم يعد زمنك يا روني، ربما لن يكون بمقدورك أن تنهي الموسم مع مانشستر يونايتد ضمن الصف الأول والتشكيل الأساسي لمانشستر يونايتد، فما حصل البارحة في مباراة فريق "الشياطين الحمر" ضد ليستر سيتي، يؤكد أن هذا هو التوجه السائد الذي يبدو أنه يقضي بمنح رخصة التقاعد المبكر والخروج من "مسرح الأحلام"، أي ملعب "الأولد ترافورد" التابع لمانشستر يونايتد، فروني دفع ثمن المردود المهزوز الذي قدمه الفريق والنتائج المخيبة في بداية الموسم.

في الأمس غاب روني وجلس بعيدا عن الخطوط الأولى والصفوف الأمامية للفريق، فتحسن الأداء وقدم "الشياطين الحمر" شوطا أوّل غاية في الروعة والامتياز، بل إن بول بوغبا الذي كانت خطواته متعثرة في البداية، استعاد بقدرة قادر سالف تألقه وتوهجه وقدم مستوى مقنعا ومبدعا، تماما مثل إبراهيموفيتش، فهل السر يكمن في إبعاد روني عن التشكيل الأساسي؟

الأمر الثابت أن هذا ما حصل فعلا، ومن سوء حظ روني أن مورينهو أدرك فعلا أن وجود الفتى المدلل لمانشستر وإنكلترا بأسرها شكّل في المباريات الماضية نقطة ضعف في وسط ميدان الفريق، ففكّر ودبّر، ثم قرّر اتخاذ القرار الثوري، ألا وهو الإبقاء على واين خارج التشكيلة المثالية، وكانت النتيجة جيدة فيما يتعلق بأداء خط الوسط الذي تخلّى عن بطئه وتثاقله، وقدم أداء رفيعا ساهم في فرض مانشستر سيطرة واضحة وخاصة في الشوط الأول.

لقد أدرك مورينهو مكمن الخلل، فحرر أجنحة الفريق وعبّد طريق "الحرية" والتألق أمام بوغبا في وسط الميدان، وخلق آليات جديدة حسّن محرك مانشستر الذي استفاد من بقاء روني خارج المستطيل الأخضر أكثر من وجوده بكثير في السابق، بل إن معوضه الأسباني خوان ماتا استغل الفرصة كما ينبغي فاستفاد من عودة العبقرية للفرنسي بوغبا كي يسجل ويرسّم نفسه ضمن الأساسيين، قبل أن يسجل بوغبا بدوره هدفا رائعا.

لهذه الأسباب وبالعودة إلى مستوى المان يونايتد وخاصة في الشوط الأول من مباراته الأخيرة فإن روني بدا وكأنه عاد سنوات طويلة إلى الوراء.

عاد حوالي عشرة أعوام إلى الخلف، وتحديدا حينما قدم إلى معقل "الشياطين الحمر" عندما كان لاعبا فتيا ونجما قويا، ففي موسم 2004-2005 وقّع روني مع الفريق قادما من نادي إيفرتون، كانت خطواته الأولى متعثرة نسبيا ولم يقدر بسهولة على الاندماج مع الفريق، لكن بوجود زمرة من اللاعبين الرائعين آنذاك فضلا عن المدرب الحكيم السير أليكس فيرغسون، تمكن "الفتى الذهبي" من أن ينجح شيئا فشيئا ويكتب اسمه بأحرف من ذهب في تاريخ مانشستر يونايتد الحافل بالألقاب والبطولات.

لقد نجح روني أيضا بفضل قوته وبنيته الجسمانية المتميزة وموهبته الفذة، وأيضا بفضل صغر سنه وسرعته الفائقة، لكن اليوم كل شيء تغيّر وروني في طريقه إلى الخروج من دائرة الضوء، وقد يغادر في نهاية الموسم الفريق ليبحث عن نهاية هادئة لمسيرته الرياضية.

صحيح أن روني مازال بمقدوره اللعب لسنوات قليلة إضافية، بما أنه لم يحتفل بعد بعيد ميلاده الحادي والثلاثين، لكنه لم يعد أبدا ذلك الشاب الفتيّ الذي يتحكم في الكرة كيفما يشاء ويجري في الملعب مثلما يريد.

اليوم تغيرت الموازين والمعادلة وقدم بعض اللاعبين الجدد الذين يبدون أكثر حياة وحيوية منه، وهم قادرون لو أحسن مورينهو التصرف في قدراتهم على إعادة مانشستر إلى الطريق السويّ والأضواء من جديد.

في بطولة أمم أوروبا، لم يجرؤ أيّ أحد على نقد روني علنا، وحتى بعض المحللين الذين اختصوا في تقييم مستوى منتخب إنكلترا لم يقدروا على الإعلان بصراحة وثقة عن أن روني لم يعد له مكان ثابت صلب التركيبة المثالية للمنتخب، فكلما لعب "الفتى الذهبي" كلما كان مستوى إنكلترا تنقصه السرعة والإبداع، وكلما غادر روني الميدان في مباريات اليورو، كلما ارتقى أداء هذا المنتخب.

وهذا ما ينطبق حاليا على أداء مانشستر، ولعل المباراة الخيرة للمان تعد مقياسا صحيحا ومؤشرا على أن روني لن يعود نجم الشباك الأول في الفريق ولن يكون صانع الربيع والفرح الوحيد، بل العكس صحيح، فروني ربما يكون "مجرد رقم للتكملة"، ربما يكون ذلك اللاعب الذي يدخل خلال الشوط الثاني كي "يقتل" نسق المباريات ويساهم نسبيا في إراحة بقية زملائه.

هذا ما سيحدث لروني في عهد المدرب مورينهو، وبوجود بوغبا على وجه الخصوص، فإن وجود روني لن يضيف للفريق شيئا، خاصة وأن "الغزال الفرنسي الأسمر" يريد أن يكون حرا طليقا فوق الميدان دون أن يجد إلى جانبه لاعبا بمثل مواصفات روني الحالية.

صحيح أن روني يبدو حاليا بمثابة "الأيقونة" للفريق الأحمر، وهو اللاعب الوحيد الباقي الذي يذكّر عشاق مانشستر يونايتد بسنوات الزمن الجميل مع فيرغسون، لكن وقت الرحيل اقترب أكثر من أيّ وقت مضى، وذاك الزمن التليد والجميل رحل دون رجعة، في انتظار ما سيقدمه مورينهو مستقبلا، لكن بتركيبة جديدة ونجوم جدد، من المؤكد ألا يكون روني "الفتى الذهبي" من بينهم، إلا إذا حصلت المعجزة وتراجع عشر سنوات إلى الوراء.

كيفن غارنيت يعتزل لعبة العمالقة

❑ **لوس أنجلس** – بعد كوبي براينت وتيم دنكان، قرر كيفن غارنيت أحد رموز الدوري الأميركي في كرة السلة للمحترفين، في سن الأربعين، الاعتزال ووضع حد لمسيرة غنية أحرز خلالها لقبا واحدا في البطولة المحلية وذهبية أولمبية مع منتخب بلاده ولقب أفضل لاعب.

وقال غارنيت في مقطع فيديو بالأبيض والأسود "وداعا.. شكرا لهذه المغامرة، أنا شاكر للجميع لأنّي لم أتوقع أن أحظى بكل هذا الحب".

ويرتبط غارنيت بعقد مع مينيسوتا تمبروولفز حتى نهاية 2017-2016، لكنه توصل إلى اتفاق مع ناديه لفسخ العقد بينهما.

ولعب العملاق غارنيت (2.11 م و115 كلغ) 21 موسما في دوري المحترفين دافع خلالها عن ألوان تمبروولفز (2007-1995، ثم 2016-2015)، وبوسطن سلتيكس (2013-2007)، وبروكلين نتس (نيوجيرزي سابقا، 2015-2013).

وأحرز اللقب مع بوسطن (2008) وذهبية أولمبياد سيدني (2000) ولقب أفضل لاعب في الدوري (2004)، وشارك 15 مرة في مباراة كل النجوم التي تجمع سنويا نجوم المنطقة الشرقية مع نجوم المنطقة الغربية.

وسجل غارنيت خلال مسيرته 26071 نقطة في المواسم النظامية (قبل البلاي أوف)، ما يجعله اللاعب رقم 17 الأكثر تسجيلا في تاريخ الدوري، وبمعدل وسطي 17.8 نقطة في المباراة الواحدة.

وهو اللاعب الوحيد الذي سجل أكثر من 25 ألف نقطة مع أكثر من 10 آلاف متابعة (14662)، مع أكثر من 5 آلاف تمريرة حاسمة (5445)، مع أكثر من 2000 هجمة معاكسة (2037). وأمضى غارنيت معظم مسيرته مع مينيسوتا الذي انتقاه من بين لاعبي الجامعات عام 1995، وأحرز معه لقب أفضل لاعب في (2004-2003)، حيث بلغ النهائي وسقط أمام لوس أنجلس ليكرز ونجميه كوبي براينت وشاكيل أونيل.

وتعين على غارنيت الانتظار حتى 2007 لإحراز اللقب الوحيد في البطولة في الموسم الأول مع بوسطن سلتيكس (2008-2007)، وعاد إلى ناديه السابق مينيسوتا في فبراير 2015 بناء على طلب المدرب فيليب سوندرز الذي توفي بعد أشهر قليلة.

وداعا كرة السلة

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

ذكر سلحفاة مسن ينقذ نوعه 800 مرة من الانقراض

❏ **بويرتو آيورا (الأكوادور) –** يبلغ ذكر السلحفاة دييغو أكثر من مئة عام، ومع ذلك ما زال "نشطا جنسيا" مساهما في الحفاظ على نوعه من الاندثار، حيث أنجب 800 سلحفاة في جزر غالاباغوس في الأكوادور.

ويقول واشنطن تابيا المستشار في الحديقة الوطنية في غالاباغوس "لقد ساهم دييغو بشكل كبير في تنشيط هذا النوع في جزيرة أسبانيولا".

وفي صباح كل يوم، ومع هبوب النسيم البارد، يخرج دييغو رأسه من قوقعته ويتحرك ببطء باحثا عن أوراق الشجر ليقتات عليها.

ويبلغ وزن ذكر السلحفاة دييغو ثمانين كيلوغراما، وطوله قرابة التسعين سنتيمترا، ويصل طوله إلى متر وخمسين سنتيمترا حين يمد أطرافه، وينتمي إلى نوع يطلق عليه اسم "كيلونوديس هودينسيس"، أما اسم دييغو فقد أطلق عليه تيمنا بالحديقة التي جلب منها في العام 1976.

ويقول واشنطن تابيا "إنه ذكر ذو نشاط جنسي كبير في هذه الجزيرة الواقعة في المحيط الهادئ على بعد حوالي ألف كيلومتر عن بر الأكوادور".

ويعيش دييغو مع ست إناث، في مركز "بي إن جي" المتخصص في تربية السلاحف في بويرتو آيورا عاصمة جزيرة سانتا كروث، كبرى جزر غالاباغوس.

ويعود له الفضل الأكبر في تنشيط هذا النوع المهدد في جزيرة أسبانيولا التي تنقل إليها صغار السلاحف من نسله، ففي الجزيرة الواقعة في جنوب شرق الأرخبيل، كان عدد السلاحف قبل خمسين عاما يقتصر على ذكرين و12 أنثى، وكانت السلاحف القليلة موزعة في أرجاء الجزيرة، فكان من الصعب أن تلتقي وتتزاوج في ما بينها، أما اليوم فإن عددها يناهز الألفين، بحسب تابيا.

وإزاء الخوف من اندثار هذا النوع من السلاحف، أسفرت جهود حملة دولية عن العثور على دييغو الذي أبعد عن جزيرته مطلع القرن العشرين ووضع في حديقة للحيوانات في كاليفورنيا، فأعيد إلى الأرخبيل، لكن أيّ من العلماء لم يكن يتوقع أن تكون مساهمته كبيرة إلى هذا الحد في حماية نوعه من الانقراض.

وقبل ست سنوات أصيب الباحثون بدهشة كبيرة حين أدركوا بفضل دراسة وراثية أن دييغو أنجب حوالي 40 بالمئة من السلاحف في جزيرة أسبانيولا، ومع بلوغ عدد السلاحف الألفين، بات من الممكن القول إن هذا النوع لم يعد مهددا، وكانت جزر غالاباغوس تضم خمسة عشر نوعا من السلاحف، اختفت ثلاثة منها بسبب هجمات القراصنة في القرن الثامن عشر.

ويشكل دييغو النقيض التام لذكر سلحفاة يطلق عليه اسم جورج وينتمي لنوع "كيلونيديس أبيغدوني" رفض أن يتزاوج في الأسر في جزيرة بينتا، ونفق في العام 2012 عن 100 عام.

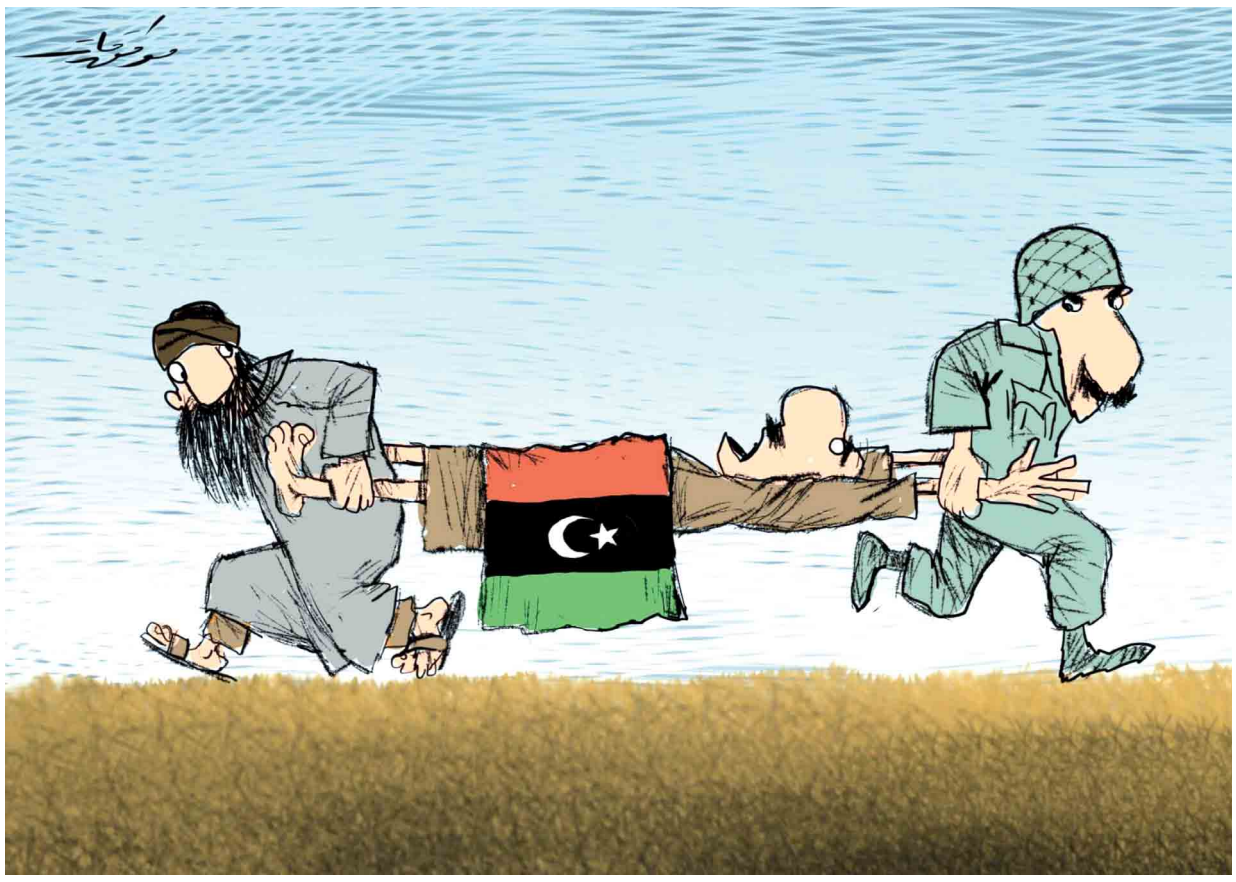

بانوراما من الفنون الدينية تجتمع في مصر

تحول شارع المعز لدين الله الفاطمي في قلب القاهرة القديمة إلى ساحة كبيرة للاحتفال والاستعراض، شارك فيها العشرات من الفرق الغنائية من كافة أنحاء العالم، وهو تقليد سنوي يقام ضمن فعاليات "مهرجان سماع للموسيقى الصوفية" الذي يحتفى به في مثل هذا الشهر من كل عام.

ناهد خزام

❏ ما يلفت الانتباه في "مهرجان سماع للموسيقى الصوفية" بالعاصمة المصرية القاهرة، ذلك التمازج المبهر بين الأصوات والألحان واللهجات واللغات والأزياء، وكذلك التجاوب الملحوظ من قبل الجمهور الذي ملأ جنبات شارع المعز لدين الله الفاطمي في قلب القاهرة القديمة لمشاهدة الفرق الغنائية والتقاط الصور التذكارية مع أعضائها.

وكانت فرقة التنورة المصرية قد افتتحت المهرجان في دورته التاسعة بمجموعة من الرقصات الصوفية والتواشيح الغنائية، ثم تلتها الفرقة الإندونيسية، وهي ضيفة شرف المهرجان هذا العام، بتقديم العديد من الفقرات الغنائية والموسيقية، ثم أعقبتهما بقية الفرق الأخرى في مسيرة امتدت بطول الشارع الأثري القديم الذي يحوي أكبر مجموعة من الأبنية الأثرية الإسلامية في مصر، ويقطع مخطط القاهرة بأسوارها القديمة من باب الفتوح شمالا وحتى باب النصر جنوبا.

ومنذ انطلاقه قبل ثمانية أعوام استطاع "مهرجان سماع" استيعاب كافة النماذج الموسيقية والغنائية الروحية بغض النظر عن العقيدة الدينية التي تنتمي إليها، ففيه تجتمع ثقافات العالم بلغاته المختلفة وألوانه المتعددة لتجسد في شكل عملي فكرة الإخاء الإنساني.

وتتجاور في المهرجان التواشيح الدينية الإسلامية وتراتيل الغناء الكنسي وموسيقى الفرق الهندية والآسيوية بمعتقداتها المختلفة، ويشارك في المهرجان هذا العام 24 فرقة من بينها فرقة "سونام كارلا" و"كورال الإنجيل الصوفي" من الهند، وفرقة "الأصالة للمديح النبوي" من المغرب، و"الفرقة الوطنية النيجيرية"، وفرقتا "النجاح للموسيقى الروحية والإنشاد الديني" و"سلامية الهناء بالمنستير" من تونس، وفرقة "آلجرو" النسائية للإنشاد من البوسنة والهرسك، وفرقة "بروكلين للغناء المسيحي" من الولايات المتحدة الأميركية، بالإضافة إلى فرق من الأردن وسوريا والجزائر والكويت والمالديف وزامبيا والصين وباكستان وفرنسا واليونان وتايلاند.

ويشارك من مصر كل من فرقة "سماع للإنشاد الصوفي والموسيقى الروحية"، و"مجموعة سماع للتراتيل والألحان القبطية"، و"فرقة السباعية للإنشاد الديني"، و"فريق راشي للألحان القبطية"، و"فرقة النيل للإنشاد الديني".

وكان للفرقة الهندية "سونام كارلا" حضور لافت في المهرجان، وهي التي تضم ستة أعضاء ينتمون جميعا إلى إحدى الطوائف الدينية التي يعود تاريخها إلى ألف عام مضت، كما يقول بورنا داس زعيم الطائفة وأحد المشاركين بالغناء في عروض الفرقة.

ويؤكد داس أن طائفته تضم مجموعة من البدو الذين ترجع فلسفتهم الدينية إلى أكثر من ألف عام مضت، وأن أحد المبادئ لهذه الطائفة هو حب البشر جميعا، بغض النظر عن طبقتهم الاجتماعية أو عقيدتهم أو إيمانهم أو ديانتهم أو لونهم أو عاداتهم.

وعن فلسفة الفرقة يقول "يتحدث أعضاء تلك الطائفة عن أسرار الحياة بكلمات بسيطة تلمس قلب الإنسان العادي، فهم يسعون لتحقيق ذواتهم من خلال إنشاد التراتيم الروحية، ويؤمن أفراد الطائفة بأن الروح ليست إلاّ إلها كامنا في النفس يجب إدراكه والوصول إليه من خلال الاستنارة الداخلية، فالشخص الذي ينتمي إلى هذه الطائفة ويؤمن بها إيمانا حقيقيا، هو ذلك الشخص الذي يبحث عن الإله في الإنسان".

ويكرّم المهرجان الذي يستمر حتى الثلاثاء الـ27 من سبتمبر الجاري الراحل الشيخ مصطفى إسماعيل، وهو أحد الأصوات الشهيرة في مجال التواشيح والابتهالات الدينية، كما يكرّم في مجال التراتيل الكنسية المعلم فهيم جرجس رزق، ومفتي الديار المصرية الأسبق علي جمعة، والأنبا موسى أسقف الشباب والمنشد عبدالقادر المرعشلي.

ألوان من الإخاء الإنساني

ماغي بوغصن تتسلق الجدران في «ولعانة»

❏ **بيروت –** أعلنت النجمة اللبنانية ماغي بوغصن أنها ستطل على جمهور السينما اللبنانية والعربية في منتصف شهر ديسمبر المقبل، بدور كوميدي اجتماعي من خلال فيلمها الجديد "ولعانة".

و تجسد بو غصن في الفيلم الذي يخرجه إيلي ف. حبيب شخصية شابة جميلة اسمها سمر، تضطرها ظروفها الصعبة للعيش مع أشقائها الثلاثة لتكون بمثابة الأم والشقيقة لهم، فيما يقوم شخص بمساعدتهم لمجابهة مصاعب الحياة، إلاّ أنه يستغلهم للعمل معه في أعمال غير قانونية، ومنها السرقة.

ومن أجل تنفيذ عملية سرقة تضطر سمر للتطوّع في الدفاع المدني اللبناني، ولكنها تعيش خلال عملها قصة حب مع أحد المتطوعين، كما تساعده في الحفاظ على الأرض التي بُني عليها مركز الدفاع المدني من شخص يحاول استغلالها وأخذها بأيّ طريقة، لتظهر من خلال أحداث الفيلم موهبة سمر في تسلق الجدران والقيام بالمهام الشاقة، التي تمرّنت عليها للعديد من الأيام قبل البدء في التصوير الفعلي لفيلمها اللبناني الرابع.

وقالت كاتبة الفيلم كلود صليبا "يتحدث الفيلم عن بنت وثلاثة شبان: شريف وعفيف ووسام، وهم حسين مقدم وكريستيان زغبي ووسام صباغ وشقيقتهم سمر الممثلة ماغي بوغصن، لا علاقة لهم بالدفاع المدني ويعيشون كسائر الشباب في لبنان، لكنّهم من طبقة اجتماعية فقيرة، لتتغير الأمور عندما ينضمون إلى هذه المؤسسة، ويتعرفون إلى عامر، الممثل كارلوس عازار، أما سمر فهي فتاة طموحة، لكنها تعاني من ذكورية المجتمع وإخوتها الذين يقمعون أحلامها".

وتابعت الكاتبة "العمل يعالج موضوع الشباب في لبنان والفتيات اللبنانيات اللواتي يعانين من ذكورية المجتمع اللبناني، من خلال فكرة تطوعهم في الدفاع المدني".

ويشارك في بطولة "ولعانة" إلى جانب ماغي بوغصن نخبة من الممثلين اللبنانيين من بينهم كارلوس عازار، كريستيان زغبي، وسام صباغ، أنطوانيت عقيقي، بيار شمعون، وحسين مقدم وغيرهم، وهو من إخراج إيلي ف. حبيب ومن كتابة كلود صليبا.

صباح العرب

حكيم مرزوقي

أجمل الصفعات

❏ أول لمسة وأول همسة وأول صفعة تأتي من القابلة، إنها أول امرأة تلتقيها على عتبة الحياة، تسحبك إليها، تصرخ في وجهها احتجاجا، فتمسك من كاحليك، ثم تقلبك على رأسك كي لا تعتاد رؤية العالم من زاوية واحدة، بعد أن تقطع حبلا كان يغذيك في أول تلويح بالعقوبات الاقتصادية، مستعملة في ذلك أول آلة بشرية مخيفة تلمحها عيناك الناعستان واسمها: المقص.

القابلة تعرف الناس قبل أنفسهم وأسمائهم وأهاليهم، تحفظ خرائط أجسادهم وأسرارها شامة شامة.. ثم تسلمهم إلى مصائرهم.

عرف عن القابلة الشعبية روح الفكاهة وسلاطة اللسان، كيف لا وهي التي تعرفت إلى الناس قبل أن يتعرفوا إلى الأثواب، وقبل أن يعتلوا المناصب والألقاب، لكنها تحتاج إلى زميلة لها عند الولادة، تماما كالحلاق عند ضرورة حلاقة شعره أو طبيب الأسنان عند قلع ضرسه.

التقيت سيدة مسنة وعزباء اسمها "عيشة" كانت تعمل قابلة قانونية في المستشفى اليتيم الذي تركه الفرنسيون في بلدتي المنسيّة، اشتممت في يديها وابتسامتها أمومة فائضة.. إنها صاحبة أوّل وألطف صفعة أتلقاها قبل أن أبصر الشمس.

حضنت عيشة مئات الرضع من الأطفال وبشّرت مئات الآباء المنتظرين في الممرات، ومشت حتى في جنائز من ولّدتهم.. لكنها لم تجد الرجل الذي تبشره زميلة لها بقدوم طفله.

من الناس من يفني حياته مدافعا عن اسم أو مؤسّسا له، ومنهم من يحتمي تحت مظلة اسم، ومنهم من يأتي ويمضي غير عابئ بالأسماء، إنها معضلة الهوية والانتماء بعد أن نغادر حضن القابلة في اتجاه أحضان كثيرة أخرى، كالجنس والأسرة واللغة والدين وحتى الوطن.

نولد عراة ونبدأ مرحلة الإكساء ومتاهة التصنيف، وحمّى التعريف التي طالت حتى الجنس الحيواني.

ثمة أفراد يكبرون ببلدانهم وثمة بلدان تكبر بأفرادها، فالعربي الذي يتجول في مدن الغرب، قد يشاهد أشخاصا لا يستحقون هوياتهم وهويات وجوازات لا تستحق حاملها.. فيتألم لهذا التوزيع الجائر.

كيف يستظل متسكّع وأرعن إنكليزي أو فرنسي أو نمساوي مثلا بإرث شكسبير وبودلير وموزارت، دون أن يعرف أو يتذوّق إبداع هؤلاء؟! أليس مثقف الضفة الأخرى أولى بالامتيازات التي تمنح لهذا المتسكع في بلده؟

أليس لوي ماسينيون الذي حقّق كتاب "الطواسين" أقرب إلى الحلاج ممّن صلبوه، أو ليس بلاشير في الشعر الجاهلي أقرب لطرفة بن العبد من قبيلته التي طردته؟

كم من انتماء أخجل صاحبه وكم من مبدع رفع من شأن حاملي جنسيته، وقال له البسطاء من الطيبين "الله يرحم القابلة التي ولّدتك".

العنصريون قوم صغار لأنهم يحاسبونك عمّا لم تختره، وينظرون في جيوبك قبل أفكارك، الجيوب التي تحوي النقود وبطاقة الهوية.

أمّا القابلة فتفرح دائما، ولم تقل يوما لأب وهي تبشره "لماذا لم تستخدم مانع الحمل؟".

مهرجان بيونغ يانغ يستثني هوليوود

❏ **بيونغ يانغ –** أقيم مهرجان بيونغ يانغ الدولي للفيلم بعد أسبوع على تجربة كوريا الشمالية النووية الخامسة التي أثارت استنكارا عالميا واسعا، وقد حضرت فيه أفلام روسية وبوليوودية وغابت عنه هوليوود بالكامل.

وفي حين تقف أسماء معروفة في لجان التحكيم في كان أو برلين أمام وسائل الإعلام على السجادة الحمراء، شارك أعضاء لجنة التحكيم في بيونغ يانغ في سباقات بأرجل ثلاث وتمرمغوا على العشب في محاولة لتفجير بالونات، في نشاط رياضي بين عرضين.

ويؤكد المهرجان أنه منفتح على العالم بأسره، إلاّ أن ثمة استثناءات واضحة، إذ لم يتضمن يوما أيّ أفلام أميركية، وهو أمر لا يتوقع أن يتغير نظرا إلى الأجواء الدبلوماسية الراهنة.